مجلة الدراسات الإنسانية
تصدرها كلية الآداب والدراسات الإنسانية – كريمة – جامعة دنقلا
مجلة نصف سنوية – محكمة- العدد الخامس عشر يونيو 2016م

هيئة التحرير

رئيس هيئة التحرير:
د. عبد الحكيم حسن إبراهيم

رئيس التحرير:
د. محمد عز الدين على

نائب رئيس التحرير:
د. الرشيد محمد إبراهيم

سكرتارية التحرير :
د. السيد بخت أحمد
د. مجدي سليمان حمزة
د. أميرة علاء الدين صالح

مستشارو التحرير
أ. د. عباس سيد أحمد زروق
أ. د. حسن على الساعوري
أ. د. عبد القادر محمود عبد الله
أ.د. على عثمان محمد صالح
أ. د. محمد المهدي بشرى
أ. د. كباشي حسين قسيمة
أ. د. نصر الدين سليمان على
أ.د. محمد مهدي إدريس

قواعد النشر

تُعنى المجلة بترقية البحث العلمي في مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية وتهتم – على نحو خاص – بنشر البحوث والدراسات ومراجعات الكتب والتقارير العلمية والندوات المتخصصة، كما ترحب بالمناقشات الهادفة والموضوعية لما ينشر فيها.

قواعد النشر بالمجلة:

* يقدم المقال أو الدراسة مطبوعاً على ورق A 4 ومرفقاً معه قرص مدمج 3.5 فيما لا يزيد عن (7500) كلمة (25 صفحة) سواء باللغة العربية أو الإنجليزية أو الفرنسية.
* ألاَّ يكون المقال قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى، كما لا يجوز إعادة نشره - كاملاً أو جزئياً - في وعاء آخر، إلاَّ بأذن خطي من المجلة.
* توضع إحالات المراجع في داخل النص وفق طريقة جامعة هارفارد (الطريقة الأمريكية) للتوثيق، وهي كما يلي: (الإسم الثالث سنة النشر، ص). هذا في حال أسماء الكتاب الأجانب ومؤلفي المصادر العربية **كالطبري**. أما أسماء مؤلفي المراجع العربية، فتكتب ثلاثية مثل (أميرة علاء الدين صالح 2008م، ص109).
* أما ترتيب المراجع في قائمة المراجع فيرد وفقاً لما يلي: في حال المراجع الأجنبية والمصادر العربية: اسم العائلة /اسم الشهرة، الاسمين الأولين سنة النشر، عنوان الكتاب/المقال، دار النشر، مكان النشر، (تضاف صفحات المقال في حال الدوريات)؛ بينما تكتب أسماء مؤلفي المراجع العربية ثلاثية في هيئتها العادية، وتليها بقية البيانات.
* عرض المقالات والبحوث على محكمين مختصين في مجالات المجلة لإجازتها وتقوم المجلة بإخطار أصحاب المقال بقرار المحكمين، ولها حق إجراء أي تعديلات شكلية جزئية قبل نشر المادة دون أن يخل ذلك بمضمون المادة المنشورة في حالة الموافقة بنشرها.
* تقبل البحوث من كافة الباحثين من داخل وخارج السودان.

* الأفكار والمعلومات الواردة في البحوث تعبر عن آراء كتابها وليس بالضرورة تبنيها من قبل كلية الآداب والدراسات الإنسانية.
* تمنح المجلة كاتب المقال ثلاث نسخ من العدد الذي يحتوي على مقاله.
* أصول المقالات التي ترد إلى المجلة لا تسترجع سواء نشرت أم لم تنشر.
* تحتفظ المجلة بكافة حقوق النشر.
* ❖ ترسل البحوث باسم السيد / **رئيس هيئة التحرير** ـ كريمة ص. ب 58 أو على البريد الإلكتروني على عنوان المجلة magazinearts@yahoo.com أو بالفاكس 0024923122954 تلفون 00249231820098

كلمة العدد

القارئ الكريم يسعدنا ونحن على أعتاب العام الثامن لصدور مجلة الدراسات الإنسانية، أن نضع بين أيديكم العدد الخامس عشر، ونحن أكثر سعادة بدعمكم المتواصل بالأبحاث والملاحظات العلمية التي كان لها الفضل في خروج إصدارتنا بهذا الشكل الذي وجد الإشادة والإستحسان من العديد من الجهات والمؤسسات العلمية داخلياً وخارجياً، ونأمل في مواصلة مشاركتكم بالأبحاث وإبداء الرأي والملاحظات.

جاء هذا العدد حافلاً بالموضوعات المتنوعة في مجالات العلوم الإنسانية بمشاركة الإخوة الباحثين داخل وخارج السودان.

إننا مدينون بالشكر لكل من أمدنا بالبحوث، وساهم في تقييم وتحكيم الأبحاث والشكر موصول إلى إدارة جامعة دنقلا وكلية الآداب والدراسات الإنسانية لما قدموه من عون، سائلين المولى عز وجل أن يوفقنا في خدمة العلم والمعرفة.

وفقكم الله وسدد خطاكم.

هيئة التحرير

محتويات العدد

1- كلمة العدد 4

2- المكتبات المدرسية بولاية الخرطوم: دراسة حالة 7

أ. ريا الفكي محمد أحمد ، نجاة أحمد محمد العوض.

3- مقارنة الاديان: مفهومه وموضوعه وطبيعته 29

د.هاني بن عبدالله الملحم.

4- دور المتغيرات التنظيمية في تقييم أداء أعضاء الهيئة التدريسية . . . 63

د.عاطف محمود عوض.

5 – من آداب الخط والكتابة 90

د.هشام إبراهيم عز الدين محمد.

6- أثر العلاقة مع مصر في بناء التحصينات في مقرة.. 121

د. محمد أحمد عبد المجيد.

7- حضارة المجموعة (أ) أو العصر البرونزي المبكر: أصلها وانتشارها. . 137

د. أحمد ابو القاسم الحسن.

8- عمرو بن حيان رئيس الحجر في القرن الميلادي: هل كان حاكماً أم تابعاً ؟ . . 185

د. ضيف الله الطلحي.

9- حول المؤتمر العالمي الثالث للدراسات النوبية 2014م 205

أ.د. عبد الرحيم الخبير

10- ELEMENTS LINGUISTIQUES POUR UNE TERMINOLGIE ARABE 213

Dr. Fadl Allah Ismail Ali

المكتبات المدرسية بولاية الخرطوم: دراسة حالة لمكتبات الهيئة القومية لرعاية الموهوبين

أ. ريا الفكي محمداحمد
أ. نجاة احمد محمد العوض
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

مقدمة:

تعتبر القراءة من العمليات المهمة والأنشطة الهادفة التي تتبنى عليها مختلف العمليات التعليمية الأخرى وتعد من أهم وسائل كسب المعرفة المؤثرة في تكوين شخصية المتعلم وتكوينها، فهي تمكن الإنسان من الاتصال المباشر بالمعارف الإنسانية في حاضره و ماضيه، وستظل دائماً أهم وسيلة لاتصال الإنسان بعقول الآخرين وأفكارهم.

ونتيجة للاهتمام بأساليب التعلم الذاتي والتعليم المستمر برزت الحاجة إلى زيادة الاهتمام بالعمليات القرائية لدى التلاميذ من مراحل تعليمهم الأولى وحثهم على النمو القرائى والثقافي من خلال مختلف الوسائل المتاحة بالمكتبات المدرسية وذلك لإكساب التلاميذ مهارات الحصول على المعلومات المختلفة، بجانب الكتاب المقرر، ويجب أن لانغفل تعدد وسائط المعلومات في عصرنا الحاضر بتقنياتها المختلفة مع احتفاظ الكتاب بخصائصه المتفردة من بين تلك الوسائط.

مشكلة الدراسة:

تحاول هذه الدراسة التعرف على واقع المكتبات المدرسية بولاية الخرطوم وذلك من خلال دراسة لحالة مكتبات مدارس الموهوبين بهدف الوصول إلى فهم أفضل لواقعها ومن ثم محاولة وضع برامج وسياسات تعمل على دعم وتطويرهذا النوع من المكتبات، ويمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الآتي:

ماهو واقع المكتبات المدرسية السودانية ممثلة في المكتبات المدرسية لمدارس الموهوبين بولاية الخرطوم ؟

أسئلة الدراسة:

1. ماهو الهيكل الإداري الذى تتبعه المكتبات؟
2. ما هى مؤهلات القوى العاملة بهذه المكتبات ؟
3. ما هى نوعية أوعية المعلومات المتوفرة بالمكتبات ؟
4. ما مدى استخدام التلاميذ للمكتبة ؟
5. مامدى مطابقة مباني المكتبات للمواصفات والمقاييس المعيارية ؟
6. مامدى إمكانية تأهيل هذه المكتبات لكي تصبح مراكز لمصادر التعلم ؟

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة من خلال محاولتها لمعرفة واقع المكتبات المدرسية لمدارس الموهوبين التي يمكن أن تمثل ملاذاً لفئة الموهوبين يجدون فيه ضالتهم لما يتميزون به من مقدرات خاصة وقابلية للتعلم، ،فهي تجربة رائدة لهذا النوع من التعليم الخاص.ومما يزيد أهمية هذه الدراسة أنها تعتبرالأولى لهذه المكتبات وذلك من أجل الوقوف على مجموعاتها، وعملياتها الفنية، ودراسة خدماتها التي تقدمها لمستفيديها، ومدي نجاحها في تأدية مهام المكتبة المدرسية في التربية والتعليم والثقافة ومواكبة المنهج الدراسي.

منهج الدراسة:

استخدمت الدراسة المنهج الوثائقي لأدبيات الدراسة، كما استخدمت منهج دراسة الحالة لمناسبته لمتطلبات الدراسة وللتركيز على حالة واحدة ومن ثم تعميم النتائج، وكانت المقابلة هي الأداة لجمع بيانات الدراسة حيث قامت الباحثتان بإجراء مقابلة مع أمينة المكتبة المركزية والمشرفة على المكتبات الفرعية بغرض جمع بيانات عن الحالة المدروسة.

الإطار النظري

مفهوم المكتبة المدرسية:

تعتبر المكتبة المدرسية بؤرة إشعاع ثقافي وعلمي ويقع على عاتقها مسؤولية تكوين المجتمع القارئ، وهي جزء مهم من المدرسة ولا غنى عنها وأداة فاعلة تساعد في إثراء المناهج الدراسية، وتزويد التلاميذ بالخبرات والمهارات التي تساعدهم على توسيع أفقهم، وتنمية العادات القرائية لديهم، وتعرفهم بمحيطهم المباشر، و بيئتهم المحلية، والمجتمع المحلي.

ويمكن تعريف المكتبة المدرسية (المكتبة التي تلحق بالمدارس سواء الابتدائية أو الاعدادية أو الثانوية ويشرف على ادارتها وتقديم خدماتها أمين المكتبة وتهدف إلى خدمة المجتمع المدرسي المكون من الطلبة والدارسين) (ربحي، 2009، ص38)

ولابد أن تتنوع الأوعية من علمية وأدبية وثقافية تتناسب مع العمر الزمني والفكري والمرحلي للتلاميذ، وأن تكون لها علاقة بالمناهج الدراسية وأهداف العملية التعليمية التربوية، حتى تسهم إسهاماً فاعلاً في رفع مستوى أبنائنا وبناتنا العلمي والثقافي والفكري والتربوي. وقد إتسع معني المكتبة المدرسية (http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=593 ليشمل المجموعات كافة والمختارة من المواد التعليمية والدراسية والتثقيفية إضافة إلى المواد التوضيحية، ويتمثل بعضاً من ذلك في المواد السمعية والبصرية كالأفلام التعليمية، والشرائط الفيلمية، والشرائح والصفائح الشفافية وغير ذلك مما ساهم في تنويع مصادر التعلم وزيادة حجمها وبالتالي أثر ذلك إيجابياً في الاتفاق مع الاتجاهات التعليمية الحديثة التي تستهدف تنمية مهارات المتعلم الشخصية على البحث والحصول على المعلومات بنفسه.

أهمية المكتبات المدرسية:

تمتاز المكتبات المدرسية بأنها أول نوع من المكتبات يقابل القارئ في حياته، وسوف تتوقف علاقته بأنواع المكتبات الأخرى الموجودة في المجتمع على مدى تأثره بها، وانطباعه عنها، وعلى مدى ما يكتسبه فيها من مهارات مكتبية في القراءة، والبحث، والحصول على المعلومات (http://www.drmosad.com/index90.htm).

وتمثل المكتبة المدرسية المرفق الحيوي المهم بالمدرسة الذي يعمل على تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية لها، وذلك عن طريق توفير مصادر معلومات متنوعة من أوعية مطبوعة أو غير ذلك، ويقوم الأخصائيون بتنظيمها لتيسير تداولها للتلاميذ والمدرسين على اختلاف تخصصاتهم، ويقوم بالإشراف على المكتبة متخصصين بالمكتبات والمعلومات، لأن الاتجاهات التعليمية الحديثة تؤكد على أهمية المكتبة المدرسية وما تؤديه من دور فاعل في تحقيق أهداف التعليم، فهي مرتكز لكثير من العمليات والأنشطة التربوية والتعليمية داخل المدرسة، وفي معظم دول العالم المتقدمة أصبحت جزءاً متكاملاً من العملية التربوية.(سهير، 2001، ص113)

كما أن للمكتبة المدرسية أهمية أيضاً في كونها وسيلة من أهم الوسائل التي يستعين بها النظام التعليمي في التغلب على كثير من المشكلات التعليمية التي نتجت عن المتغيرات و التى حدثت نتيجة للتطورات العلمية والتكنولوجية الكثيرة والمتسارعة.

أهداف المكتبة المدرسية:

يمكن اجمال أهداف المكتبة المدرسية في الاتي:

((http://www.bibionat.dz/index.php?option=com.content&view=article

1- **الهدف التعليمي**: توفير الكتب والأوعية الأخرى بما يتناسب مع المنهج الدراسي واحتياجات التلاميذ على اختلاف ميولهم وقدراتهم، بحثاً عن الحقائق التي يمكن أن تجيب عما لديهم من تساؤلات. ويجب أن تكون أيضاً بمثابة المختبر من أجل الاستكشاف والحصول على حقائق يجهلها التلميذ، وهذا يتطلب إعادة النظر في ظروف العملية التعليمية كما هي عليه الآن بحرصها على تكريس التلقين سواء من جانب المدرس أو من جانب ما يسمى بالكتاب المدرسي، لهذا يجب التحول من ثقافة الذاكرة إلى ثقافة الإبداع. ولكي تتاح للتلميذ فرصة السعي وراء الحقائق بنفسه واكتساب مهارة الاستكشاف، فإنه ينبغي أن يحدث تغير حقيقي في أهداف الكتاب المدرسي ومحتواه بحيث يصبح دليلاً يسترشد به كل من التلميذ والمدرس في التعامل مع المكتبة بحثاً عن المحتوى الخاص بالمقرر الدراسي. وينبغي أن يصاحب ذلك تطوير إمكانات المدرس وقدراته لتنمية كفاءته في التعامل مع مثل هذا النظام وبدون مثل

هذا التغير الجوهري القائم على دعم إمكانات المكتبة المدرسية مادياً وبشرياً، وتطوير الكتاب المدرسي، وتنمية قدرات المدرس لا يمكن أن يتطور نظام التعليم. وهناك أيضاً التزام تجاه المدرسين والإدارة يتمثل في توفير مقومات التنمية المهنية والتعلم المستمر.

2- **الهدف التربوي**: تعني التربية دعم وتعزيز قيم معينة، وهي مجال خصب نحو تنمية ميول واتجاهات التلاميذ من خلال الأنشطة المكتبية المختلفة التي تنمي المعرفة، ومن هنا تتضح أهمية المكتبة كمؤسسة تربوية قادرة على تنمية القيم والاتجاهات الإيجابية نحو الانضباط والالتزام واحترام النظام، وتقدير قيمة الوقت، واحترام الملكية العامة وهذه أمور لا تلقن وإنما تكتسب بمعايشة القدوة والمثل. فالمكتبة بطبيعتها نموذج للنظام المنضبط، وتقدم خدماتها للكافة على قدم المساواة،حيث تعمل على توفير الكتب والمراجع والوسائل التعليمية والتربوية التي تحتاج إليها المقررات الدراسية وأوجه النشاط التربوي في المدرسة.

3- **الهدف التثقيفي**: تعمل المكتبة المدرسية على توفير مقومات الثقافة من خلال توفيرها لأوعية المعلومات القادرة على تنمية ثقافة الفرد، وكذلك ما تنظمه من أنشطة تشمل المحاضرات والندوات، والمعارض والمسابقات.

4- **الهدف الإعلامي**: الإعلام هو إتاحة فرصة الإحاطة بما هو جار في محيط الفرد وفي حدود اهتمامه بمتابعة الأحداث، فالمكتبة المدرسية تتيح فرصة الاطلاع على الصحف اليومية، ومتابعة المستجدات على الساحة العامة وللوسائل الحديثة دور في هذا السياق،ولاننسي ماتقوم به المكتبة المدرسية من اصدار جرائد من إعداد التلاميذ أنفسهم.

5- **الهدف الترويحي**: توفر المكتبة المدرسية مقومات قضاء وقت الفراغ في نشاط مقبول اجتماعياً، وهو غرس عادة القراءة والاطلاع حيث ينبغي عليها توفير المواد القرائية التي تجذب القارئ وهي فرصة لتشجيع التعلم مدي الحياة.

مباني المكتبة المدرسية:

لمبنى المكتبة الأثر الكبير على الخدمة المكتبية المدرسية الناجحة و الفعالة فلا يعقل وجود خدمة مكتبية حقيقية دون مبنى مناسب تمارس فيه هذه الخدمة ويركز المكتبيون على ضرورة توافر عدد من المواصفات التي تجعل من مبنى المكتبة مكانا مناسبا لأداء وظائفها وخدماتها، ومن أهم هذه المواصفات (http://www.wikibrary.org/wiki) :

- مناسبة موقع المكتبة وذلك حتي يمكن الوصول اليه بسهولة ويسر لكل الفئات.
- جودة الأثاثات والتهوية و الإضاءة الطبيعية، فالمكان الجيد يحقق لرواده الحرص على البقاء أو ارتياد المكتبة بصفة مستمرة.
- توافر المساحة الكافية المناسبة لاحتياجات المكتبة من توفير مكان للكتب والمواد المكتبية ومكان للمطالعة والخدمات المكتبية الأخرى والأعمال الإدارية والفنية الخاصة بالمكتبات، مع توافر امكانيات التوسعات المستقبلية من غير تكلفة في النفقات.

العاملون بالمكتبة المدرسية:

نصت كثير من المعايير الموحدة للمكتبات المدرسية في عدد من دول العالم على ضرورة توافر مستويات معينة من العاملين في المكتبة المدرسية من حيث العدد و التأهيل المهني، سواء أكان على المستوى الأكاديمي في مدارس و معاهد علوم المكتبات ، أو على مستوى التدريب على أعمال المكتبات.

و تتراوح هذه المعايير بين وجود أمين مكتبة بمفرده في المكتبات التي يقل عدد التلاميذ فيها عن 300 تلميذ ، و بين وجود عدد أكبر من الأمناء و المساعدين والإداريين.

مجموعات المكتبة المدرسية:

إن الركيزة الأساسية لتقديم خدمة مكتبية على مستوى عال وفعال هي مجموعات المكتبة من المصادر التعليمية والثقافية التي تقتنيها المكتبة المدرسية ولابد من توفر سياسة واضحة لتنمية المجموعات وذلك لأن المكتبات بحاجة إلى تنمية

مستمرة بتزويدها بالجديد من الكتب والدوريات والأوعية الأخرى (http://sandoub.ahalmontab.net/t1291-topic)

ومن الضروري أن يتمثل في مكتبة المدرسة التنوع والتكامل في المواد لتلبية كل الاحتياجات القرائية التي تختلف من مرحلة لأخرى فينبغي الاهتمام بحسن اختيار مواد المكتبة وتزويدها بصفة منتظمة بالجديد من أوعية المعرفة من كتب ودوريات ومواد غير الكتب مثل الخرائط والمواد السمعية والبصرية مثل الأشرطة الصوتية والأفلام التعليمية والاوعية الالكترونية وأن تكون المواد ملائمة للعمر الزمني والعقلي للتلاميذ في كل مرحلة.

الإجراءات الفنية بالمكتبة المدرسية:

تعد الفهرسة والتصنيف من الأسس المهمة لتنظيم المواد في المكتبات ومراكز المعلومات وذلك لتيسير الوصول، وكذلك العمل على إدخال الأنظمة الآلية لزيادة الكفاءة والسرعة في إجراء العمليات الفنية. ويفضل في

(http://www.thanwya.com/vb/showthread.php?t=153659

تصنيف المكتبات المدرسية أن نقوم بتصنيف مصادر المعلومات بأعتماد الأرقام الثلاثة المعطاة لنا من الخلاصات الثلاثة دون استخدام الفاصلة العشرية، والاكتفاء بنظام تصنيف واسع، والبعد عن التصنيف الضيق الذي يستخدم الفاصلة العشرية والتحديد الدقيق لموضوع الكتاب، نظراً لصغر حجم المكتبات المدرسية وقلة محتوياتها من المصادر.

خدمات المكتبات المدرسية:

1- خدمة المراجع:

إن خدمة المراجع هي السبيل الأساسي للحصول على المعلومات لذا فان تكوين مجموعة أساسية من كتب المراجع يعد من ألزم الأمور وأهمها لإي مكتبة من المكتبات لمساعدة المستفيد في الحصول على ما يحتاجه للإجابة على استفساره.(ايمان، 1995، ص67)

2- **الإطلاع بالمكتبة:**

http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=12972))

الإطلاع الداخلى يعتمد على دخول الطالب إلى المكتبة واختيار الكتاب الذى يتناسب معه من على أرفف المكتبة وقد تتم الاستعانه بأمين المكتبة لارشادهم للوصول إلى الكتاب الذى يريده أو توجيهه إلى مجموعة من الكتب التى تلبى رغباته

3- **خدمة الإعارة:**

http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=12972))

ان خدمة الاعارة الخارجية ذات صلة وثيقة بينها وبين خدمة الإطلاع الداخلى فقد يحتاج الطالب بعد إطلاعه على الكتب بالمكتبة إلى أن يذهب بها إلى المنزل لتكملة هذه الكتب أو الاقتباس منها سواء بالتصوير أو نقل بعض المعلومات إلى مذكراته الخاصة وهنا تظهر أهمية خدمة الإعارة الخارجية فهى تعتبر امتداد لمهمة المكتبة بعد انتهاء اليوم الدراسى لذلك يجب توفير عدد من النسخ لكل كتاب بالمكتبة بالإضافة إلى سجل الإعارة الخاص بالمكتبة

4- **الإحاطة الجارية:**

http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=12972)

المكتبات المدرسية تقوم بإحاطة الطلاب بالكتب الجديدة التي دخلت المكتبة عن طريق عرض قائمة بأسماء الكتب الجديده والمضافه إلى قائمة المكتبة في لوحة الإعلانات الخاصة بالمكتبة وذلك حتى يراها طلاب المدرسة ويعرف كل طالب إذا كان في وسط هذه القائمة بعض الكتب التى قد تفيده في دعم المناهج الدراسية، أو زيادة المعرفة لديه، أو تتناسب مع ميوله القرائية فهذه الخدمة تفيد في أن تجعل طلاب المدرسة يقفون على كل ما هو جديد داخل المكتبة المدرسية ولذلك فهذه الخدمة تساعد في جذب التلاميذ إلى المكتبة وكذلك زيادة أعداد رواد المكتبة من التلاميذ والمعلمين.

5- الأنشطةالثقافية:

http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=12972)

تتمثل الانشطة الثقافية في إصدار النشرات والمجلات وإعداد البرامج الإذاعية وتنظيم الندوات والمحاضرات، والمناظرات، والحديث عن الكتب وعرض ملخصاتها والقيام بمسابقات القراءة الحره ومسابقات المعلومات العامة والقصة والشعر وتشكيل جماعة أصدقاء المكتبة وتدريبهم على العمل التطوعى الجماعى في الأعمال التنظيمية داخل المكتبة فكل هذه الأنشطة تساعد على زيادة الوعى الثقافى لدى طلاب المدرسة.

6- دعم المنهج الدراسي

http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=12972)

أصبح الاهتمام بالتعليم الذاتى والاهتمام باحتياجات الفرد وميوله ومشكلاته جزءاً من العملية التربويه لذلك نجد أن الاتجاهات الحديثة قد تحولت من المفهوم التقليدي للمنهج الدراسي الذي لايتفق مع احتياجات العصر، وهذه تتطلب ان يكون الكتاب المدرسى إطاراً عاماً يحدد الاتجاهات والمفاهيم الأساسية للمادة الدراسية ويترك للطالب حرية البحث والتنقيب عن المعلومات بنفسه من المصادر التعليمية المتاحة بالمكتبة وبأشراف أمين المكتبة وبالتعاون مع أستاذ المادة الدراسية مما يؤكد الدور الجديد لأمين المكتبة مع دور المعلم في تدريب الطالب على القراءة والفهم،والتلخيص والشرح والتحليل،وإعداد التقارير والتعبير بإسلوب سليم، وبذلك يسهم في نمو شخصية المتعلم بجوانبها المتعددة نمواً يتفق مع الأغراض التعليمية والتربوية

7- حصة المكتبة:

يتم تحديد حصة لكل فصل دراسي للحضور للمكتبة حسب عدد الفصول وامكانيات المكتبة وتشغل هذه الحصة بالأنشطة المكتبية المختلفة كالقراءة الحرة، والارشاد القرائي،التدريب على استخدام المكتبة وخدمة المناهج الدراسية (حسن، 1987، ص119- 120). والهدف الاساسي من حصة المكتبة هو توفير الوقت اللازم

لاستخدام المكتبة وتقريب مصادرها، وتتاح الفرصة لاستخدام المكتبة من وقت لاخر خلال اليوم الدراسي وحسب رغبات واحتياجات التلاميذ الخاصة.

8- **خدمات الإنترنت:**

المكتبة والإنترنت ليست مكتبة وتكنولوجيا بل هي المكتبة بكل نظم المعلومات والمصادرالتي تستخدم من أجل التعليم والتعلم ففي البداية علينا أن نعلم التلاميذ المهارات المكتبية وكيف يستطيعون أن يصلوا إلى المعلومات فالمكتبة أولاً ثم يأتي استخدام الانترنت الذي تحويه المكتبة ثانياً فالمكتبة هي أكثر من مصادر للمعلومات (مي، 1997، ص29) فهي المعلومات والتقنيات معاً حيث تلعب هذه التقنيات الحديثة الدور الكبير في عمليتي التعليم والتعلم وتتجسد هذه الأهمية الكبرى في الرفع من مستوى التعليم والتعلم وزيادة الخبرة التعليمية التي تعتبر أبقى أثراً وأقل احتمالاً للنسيان، وأن ظهور هذه الشبكة الدولية الانترنت (Internet) التي تجري فيها المعرفة من اي مكان إلى أي مكان اضافت تميزاً للحاسوب في خدمة المكتبات والمستفيدين من تقنياتها كالاعارة والتزويد والفهرسة والتصنيف والخدمات المرجعية.

وقد ساعد الإنترنت على وجود المكتبة الإلكترونية داخل المدرسة في جميع المراحل التعليمية، وكثير من المكتبات المدرسية في الدول العربية استثمرت الخدمات التي تقدمها الإنترنت وقامت بتدريب المعلمين والطلاب على استثمارها في تنشيط القراءات وفي تنمية مهارات التفكير وتوفير الوقت والجهد.

ميزانية المكتبات المدرسية:

يحتاج أي عمل أو برنامج إلى تمويل كافٍ واذا لم تتوفر المبالغ الكافية فإن العمل يتعثر،لذا تحتاج مكتبات المدارس تحديد ميزانية للشراء والصرف على الأوعية.

المكتبة المدرسية ومصادر التعلم:

بتوفر التقنيات الحديثة في المكتبات والبرامج الخاصة بالمكتبات المدرسية أصبحت عملية الحصول على المعلومات بسيطة جداً وسهلة وسريعة بنفس الوقت ومتاحة لجميع

منسوبي المدرسة ومتعددة المصادر وبأوعية معلومات مختلفة. و قد برزت الكثير من السياسات

(http://vb.arbsgate.com/showthread.php?t=530977)

التي تحتم على القائمين على النظام التربوي ملاحقة التطوّرات والمستجدات في الساحة، لذلك نرى عبرّ الأعوام الكثير من المشاريع التي تهدف إلى تطوير المكتبة المدرسية لتصير مركز تعلّم.

ومرّت مراكز مصادر التعلّم بمراحل عدّة حتى وصلت إلى ما هي عليه اليوم ولا زالت قابلة للتطوير، فالبداية الحقيقة للمكتبات المدرسيّة و التي تعتبر مرحلة سابقة لمركز مصادر التعلّم هي مكتبة الصفوف، جاءت بعدها المكتبة المدرسيّة التي تلحق بالمدارس و التي تطوّرت بحيث شملت بعض الوسائل والمواد الأخرى غير المطبوعة وأطلق عليها المكتبة الشاملة، وأخيراً مرحلة مراكز مصادر التعلّم التي تهتم بجميع المصادر المعرفيّة على اختلافها وضرورة الانتقال من التركيز على عمليّة التعليم إلى التركيز على عمليّة التعلّم، فضلاً عن تطوّر مفهوم وأهداف مركز مصادر التعلّم ومشروع توظيف الإنترنت في التعليم عبرّ إدخاله مراكز مصادر التعلّم، والتعليم الالكتروني في العملية التربوية.

مركز مصادر التعلّم وعلاقته بالعمليّة التربوية:

عرفت ويكيبيديا الموسوعة الحرة مركز مصادر التعلّم بانه مكان للتعلم والدراسة الفردية والجماعية يتيح فرصة الإطلاع الفردي أو الاستماع أو المشاهدة الفردية كما يتيح فرصة للمدرس أن يوجه المتعلم ويقود عملية التعلم وأن يكون محتواه شاملاً لكل المواد التعليمية التقليدية منها وغير التقليدية كالكتب والمطبوعات بأنواعها، والخرائط والتسجيلات الصوتيةوالمصورة، والوثائق والأفلام السينمائية، وآلات التعلم، والاختبارات التربوية الحديثة (http://ar.wikipedia.org/wiki).

وقد ارتبط مركز مصادر التعلّم بالمدرسة بصفته مظهراً من مظاهرها وأحد عوامل تقدّمها، فمركز مصادر التعلّم جزء متكامل من المؤسسة التربويّة يتأثر بالفلسفة التربويّة التي تتبعها أو تطبقها هذه المؤسسة. ويتلوّن ويتشكّل مركز مصادر

التعلّم وفقاً لنوع الدّراسة ومستوى التعليم وطبيعة المؤسسة التربويّة، ولا يمكن أن يعمل مركز مصادر التعلّم منفصلاً أو بمعزل عن غيره من وسائل التربيّة والتثقيف والتدريس الأخرى بالمؤسسة التربويّة، بل يمكن القول إنّ مركز مصادر التعلّم بما يحويه من مصادر تعلّم متنوّعة وأساليب تعليميّة مختلفة؛ يُعدّ مركز الصدارة من بين جميع المصادر والأساليب التعليميّة الأخرى في المؤسسة التربويّة. لهذا نجد أنّ جميع الأدبيّات التربويّة تؤكّد أهميّة مركز مصادر التعلّم وقيمتها التربويّة، بعد أن أصبحت محوراً من المحاور الأساسيّة للمنهج الدراسي، ومركزاً للمصادر التعليميّة التي يعتمّد عليها في تحقيق أهدافه

(http://vb.arbsgate.com/showthread.php?t=530977).

وارتبط تطوّر مركز مصادر التعلّم بتطوّر العمليّة التربويّة، إذ ظهرت نظريات وأساليب حديثة في مجال التعليم، تبرز أفضل أنواع التعليم، وهو الذي يتمّ عن طريق الخبرة وخلق الرغبة والدافعيّة لدى المتعلّم في البحث عن المعلومات بنفسه ومن مصادرها المتعدّدة، وذلك بتأكيد التعلّم الذاتي، (احمد، 1997، ص64) والتعليم المستمّر، الذي يتطلب توجيه الطلبة نحو مركز مصادر التعلّم، لذا كان على المكتبة المدرسية مواكبة هذه التطوّرات المستمرة والنظريات التربويّة الحديثّة لارتباطها الوثيق بالعمليّة التربويّة.

وبالرغم من الدور المهم الذي لعبته المكتبات المدرسيّة بمسماها التقليدي أو مراكز مصادر التعلّم باصطلاحها الحديث عبرّ تاريخها الطويل في دعم العمليّة التربويّة، فإنّها اعتمدت لفترة على الأوعيّة التقليديّة وبخاصّة الكتب والأوعيّة الأخرى. ومع وجود بعض المحاولات لتطويرها وإخراجها من هذا الإطار واجهت الكثير من الصعوبات الإداريّة والماليّة، وعندما كانت تنمو كان نموها تراكميّاً وليس تكامليّاً، ولم تلّعب دوراً ايجابيّاً في إدخال المصادر و النظم التكنولوجيّة التربويّة الحديثة، مما حال دون استخدامها من قبل الطلبة والمعلّمين. كذلك أغفلت المكتبة المدرسيّة في

صورتها التقليديّة أهم عنصر من عناصر العمليّة التربويّة وهو المتعلّم بصفته محور العمليّة التربويّة

(http://vb.arbsgate.com/showthread.php?t=530977)

ولكن عندما انعكست الاتجاهات والتطوّرات التربويّة على مركز مصادر التعلّم بصفتها محوراً تلتقي فيه الأنشطة التعليميّة، ومركزاً يواجه الاتجاهات التي تؤكّد التعلّم الذاتي و التربيّة المستمّرة، وتهتم بالمتعلّم بصفته المحور الرئيسي في العمليّة التربويّة، وتوفّر المصادر التعليميّة المختلفة لتكون بحق مركز لمصادر التعلّم؛أصبحت تشكل ضرورة تربويّة للمؤسسة التربويّة. ولتأكيد ذلك " ونتيجة للكم الهائل من المعلومات التي تحتويها أوعية الفكر المختلفة، ونمو المعارف البشرية نمواً كبيراً في كل يوم وكل ساعة، وجد رجال التربيّة أنّه لزاماً عليهم الانتقال بالمناهج الدراسيّة من حدود الكتاب الدراسيّ المقرّر إلى الأفاق الواسعة لمصادر المعلومات الأخرى في شتى صورها وموضوعاتها، وتحويل الخطة الدراسيّة إلى فترات يمارس فيها التلاميذ أوجه النشاط التربويّ والمهارات التي تهدف التربيّة إلى تحقيقها"، ولذا برز مركز مصادر التعلّم لمواجهة هذا التدفّق الكبير في المعلومات كعامل من أهمّ عوامل تحقيق الأهداف التربويّة، عبر توفير أكبر قدر من هذه المصادر، بحيث تكون وحدة متكاملة وشاملة تمتاز خدماتها بالتنوّع والثراء و القدّرة على مواجهة التغيرات والتطوّرات المستمّرة في المناهج والمقرّرات الدراسيّة والنظم التربويّة

(http://vb.arbsgate.com/showthread.php?t=530977)

كذلك ضرورة الاهتمام بالمتعلّم بصفته محور العمليّة التربويّة عبرّ إلمامه الكافي وتدريبه المستمّر على استخدام مصادر التعلّم المختلفة بحيث يكون مؤهّلاً وقادراً على استخدام هذه المصادر والإمكانيّات، و من ثمّ يتعوّد على استخراج واستخدام المعلومات من مصادرها المتنوّعة دون الحاجة إلى المعلّم آو اختصاصي مصادر التعلّم وهذا ما يحقق مبدأ التعلّم الذاتي، بهذا يمكن القول إنّ مركز مصادر التعلّم على علاقة بالعمليّة التربويّة، استمدّ وجوده وكيانه من المؤسسة التربويّة، واستمر

باستمرارها، وتطوّر بتطوّرها، وذلك عبرّ علاقته العضويّة التي لا تنفصل بينه وبين جميع العمليّات التربويّة.

دراسة الحالة: (مكتبات الهيئة القومية لرعاية الموهوبين)

نشأة الهيئة: (مريم،2009)

يعد الموهوبون والمبدعون في أي أمة أغلي الثروات وأعظمها، وهو ما حدا برئيس الجمهورية بتبني تعليم الموهوبين وإصدار القرار رقم 221 بتاريخ 18 يونيو 2006 بإنشاء الهيئة القومية لرعاية الموهوبين حيث تقوم بالاختصاصات والمهام الآتية:

- إعداد الدراسات ووضع الخطط والاستراتيجيات اللازمة لتنفيذ المشروع واكتشاف ورعاية الموهوبين.
- اكتشاف وحصر الموهوبين بالبلاد.
- تصنيف الموهوبين ومعرفة اتجاهاتهم وميولهم.
- توفير الرعاية المناسبة لهم ولأسرهم.
- العمل على استقطاب الدعم لرعايتهم.
- توفير الإمكانيات المادية والبشرية لإنفاذ المشروع.
- متابعة توظيف القدرات العقلية والعلمية للموهوبين لخدمة المجتمع.

مفهوم الموهبة والموهوبين:

إن الهدف الأساسي من التعرف والكشف عن الأطفال الذين يمتلكون قدرات ومواهب غير عادية هو إعداد برامج تربوية خاصة لا تتوفر في المدارس العادية تستجيب لهذه القدرات غير العادية التي يتمتعون بها والخطوة الأولي في تحقيق هذا الهدف هي تحديد تعريف لمفهوم الموهبة والموهوبين وهذا يتطلب تحديد الخصائص والسمات والسلوك المرتبط بالنجاح في برامج الرعاية التربوية للموهوبين.

لذا يمكن تعريف التلميذ الموهوب بأنه: (التلميذ الذي يوجد لديه استعداد أو قدرة غير عادية أو أداء متميز عن بقية أقرانه في مجال أو أكثر من المجالات التي يقدرها المجتمع وخاصة في مجالات التفوق العقلي، والتفكير الابتكاري، والتحصيل

الأكاديمي، والمهارات والقدرات الخاصة،ويحتاج إلى رعاية تعليمية خاصة لا تستطيع المدرسة تقديمها له في منهج الدراسة العادية) (عبدالله، 2000، ص11).

ويمكن تصنيف التلاميذ الموهوبين بالفئات التالية:

- التلاميذ الأذكياء
- التلاميذ الموهوبون في التفكير الابتكاري
- التلاميذ الذين لديهم استعدادات في القدرات والمهارات الخاصة

رعاية الموهوبين:

تفيد برامج رعاية الموهوبين

(http://www.kfnl.org.sa/idart/KFNLJOURNAL/KFNL/MagPages/52.htm)

بأنها تحميهم من التعرض لأية عوامل قد تؤثر على تفوقهم وتخفض من تحصيلهم الإبداعي، لأن العناية المبكرة تساعد على الاستفادة من إمكاناتهم إلى أقصى حد يمكنهم من إظهار قدراتهم، ويساعدهم في النهاية على خدمة مجتمعهم الخدمة المرجوة وأن من أهم أساليب العناية بالموهوبين وطرائق رعايتهم هو عنصر البرنامج أو البرامج المقدمة لهم، وأهم ما يمكن أن يساند تلك البرامج هي المكتبات التي تخدم تلك البرامج وإمكاناتها المادية والبشرية، حيث إن البرامج المعدة لتأهيل الموهوبين مهما كانت قوتها وتكاملها تعد قاصرة ما لم تعودهم اللجوء إلى استخدام المكتبة، وتنمية شخصياتهم بأنفسهم في مختلف العلوم التي يميلون إليها.

المكتبات المدرسية التابعة للهيئة: (سنية، 2012، مقابلة)

توجد مكتبة مركزية وتتبع لها ستة مكتبات فرعية بمرحلتي الأساس والثانوي لكل من البنين والبنات والمكتبات هي كالآتي :

1. مكتبات مرحلة الاساس (مكتبة مدرسة محجوب عبيد بأمدرمان- مكتبة مدرسة عبدون حماد بالخرطوم –مكتبة مدرسة الشهيد محمد فؤاد ببحري).
2. مكتبات المرحلة الثانوية (مكتبة مدرسة محمد سيد حاج بامدرمان- مكتبة مدرسة التجاني الماحي بالخرطوم – مكتبة مدرسة البروفسير عبدالله الطيب ببحري).

الهيكل التنظيمي للمكتبات بالهيئة:

الهيكل الفني الداخلي لمكتبات الهيئة يتكون من المشرف (أمين المكتبة المركزية) الذي يتبع إدارياً لرئيس الهيئة ثم رئيس الشعبة بالمرحلة الدراسية وأمناء المكتبات المدرسية، ويقوم المشرف (أمين المكتبة المركزية) بالمهام الآتية:

1. وضع الخطط واللوائح المنظمة للعمل.
2. الإشراف والمتابعة للإجراءات الفنية.
3. متابعة ودراسة تقارير تقاويم الأداء لاختصاصي المكتبات.

أما رئيس الشعبة بالمرحلة الدراسية فيقوم بالآتي:

1. تقديم الخدمات المكتبية المدرسية.
2. التنسيق مع المشرف في الجوانب المختلفة.
3. الإشراف على شعبة المكتبات في المرحلة الدراسية.

ويقوم أمناء المكتبات بالاتي:

1. تقديم الخدمات المكتبية المدرسية، والمقترحات والتوصيات وفق التسلسل الإداري.
2. القيام بالعمليات الفنية التي تطلب منهم في المكتبة المركزية.
3. تدريس المواد الأساسية وقد تم تفريغهم بناء على طلب أمين المكتبة المركزية عدا أمين مكتبة واحدة
4. الإشراف على بحوث التلاميذ توثيقاً واخراجاً وتسهيل الوصول إلى المراجع.
5. متابعة الأنشطة في المكتبة.

كما تمت الاستعانة بالدكتور حسب الرسول عثمان من مكتبات جامعة الرباط كمستشار لمكتبات الهيئة للمشاركة في وضع الخطط واللوائح المنظمة للعمل ومتابعة كافة الإجراءات الأخرى، وتم تعيين مساعد لأمين المكتبة المركزية (غير متخصص بالمجال)

العاملون بالمكتبات:

يوجد عدد سبعة أمناء مكتبات بكل من المكتبة المركزية والمكتبات الفرعية عدا المركزية التي يوجد بها مساعد أمين مما يجعل الأعباء كبيرة مقارنة بالأنشطة التي تقوم بها هذه المكتبات.

المجموعات:

تتكون المجموعات بالمكتبة المركزية من مجموعات من الكتب المرجعية المتخصصة والثقافية، وبعض الدوريات، والقليل من الرسائل الجامعية ذات العلاقة بهذه الفئة وتفتقر جميع المكتبات للمواد السمعية والبصرية، و مجموعات المكتبات الفرعية بالمدارس ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمناهج الدراسية.

كما تحتوي المكتبات الفرعية في جزء منها على أجهزة للحاسب الآلي لخدمات الإنترنت وكذلك بعض اللوحات للشخصيات الوطنية بالبلاد لربطهم بثقافة الوطن، وكذلك الجرائد التي يقوم التلاميذ بتحريرها بأنفسهم، وايضاً البحوث التي ينجزها التلاميذ.

ويمكن **حصر** مجموعات المكتبات بالجدول الآتي:

المكتبة	عدد الكتب
المركزية	1413 كتاب
مكتبات الاساس	7000 كتاب
مكتبات الثانوي	1300 كتاب

المباني والأثاث:

المباني غير مهيأة كمباني مكتبات، وإن كانت هذه المكتبات قادرة على استيعاب مستفيديها و بعضها مكيف وبه تهوية جيدة.

فالمساحة المخصصة لمكتبات مدارس الأساس عبارة عن صالة مساحتها (4×8 متر)، أمابالنسبة للمدارس الثانوية فمساحة اثنان منها (4×6 متر) والثالثة مكتبتها عبارة عن غرفة سعة (3×3 متر).

المستفيدون:

المستفيدون من المكتبات هم تلاميذ هذه المدارس والبالغ عددهم أكثر من (600 تلميذ) والأساتذة وعددهم (138 أستاذاً)، وقد أوضحت أمينة المكتبة المركزية أن هناك اقبالاً كبيراً من التلاميذ على المكتبة، وكذلك يرتاد المكتبة المركزية بعض الباحثين.

العمليات الفنية:

- لاتتم عمليات الفهرسة والتصنيف بالمكتبة ولكن هناك قرار بأن تتم بصورة مركزية (مع ملاحظة توفر أدوات العمل من خطة تصنيف ديوي العشري ووقوائم زؤوس الموضوعات) ومرد ذلك لعدم وجود آلية لتدريب أمناء المكتبات وكذلك قلة عددهم مقارنة بالأنشطة المتعددة التي يقومون بها، ولديهم مقترح لتشغيل برنامج CDS/ISIS وربما الاتجاه نحو نظام كوها لإدارة المكتبات.
- اما التزويد فقد كان يتم بصورة منفردة لكل مكتبة على حدا قبل قيام المكتبة المركزية، وتتبني سياسة التزويد على توفير كتب داعمة للمنهج إضافة إلى الكتب الثقافية التي تتناسب وأعمارهم.وبالنسبة لمصادرالتمويل فلاتوجد ميزانية مخصصة لهذه المكتبات وأول تمويل تم بدعم من وزارة التربية والتعليم، ويتم الدعم حالياً من وزارة المالية (سنية، 2013، مقابلة).
- توجد سجلات بالمكتبة المركزية والمكتبات الفرعية وذلك كالآتي:
  - سجل الكتب الواردة.
  - سجل الإعارة (أساتذة فقط).
  - سجل تردد التلاميذ في غير حصص المكتبة.

ونجد أن هذه السجلات تتبع المعايير الفنية، كما توجد قوائم بالإهداءات التي قدمت للمكتبات.

الخدمات والأنشطة:

تقوم مكتبات هذه المدارس بتقديم خدمات الإطلاع الداخلي بالمكتبة وخدمة الاعارة الخارجية (معلمين فقط) وكذلك الإحاطة الجارية بكل مايرد من مواد دعماً

للمنهج، والإشراف على بحوث التلاميذ وتقييمها وإيداعها بالمكتبة من بعد ذلك وهنالك لوحة شرف بالمكتبة للمتميزين منهم،وأيضاً تقدم خدمة الإنترنت كتطور طبيعي للعملية البحثية، كما تقوم بالمشاركة في مختلف الانشطة الثقافية مثل الآتي:

1. الصحافة المدرسية حيث تم إعداد أكثر من 100 جريدة حائطية في هذا العام.
2. تكوين أصدقاء المكتبة.
3. مسابقة القصة القصيرة بالتعاون مع مؤسسة أروقة الثقافية.
4. المشاركة في المعارض الآتية:
   - ورشة مؤتمر التعليم.
   - مؤسسة أروقة الثقافية.
   - أعياد الاستقلال.
   - المدرسة المتميزة والإدارة المتميزة والمعلم المتميز.
   - لجنة وزارة التربية والتعليم.
   - الدورة المدرسية.
5. الزيارات: هناك عدد من الزيارات قام بها التلاميذ لمؤسسات معلوماتية مثل زيارة مكتبات جامعة الخرطوم ودار الوثائق القومية، ويقوم التلاميذ بكتابة تقارير مفصلة بعد كل زيارة، وكذلك أتت لهذه المكتبات عدد من الوفود مثل زيارة الوفد الأمريكي لمكتبات الهيئة.

أوقات فتح المكتبة:

تفتح المكتبات أبوابها خلال ساعات اليوم الدراسي من الساعة (8 صباحاً – 3 بعد الظهر).

حصة المكتبة:

النظام المتبع بهذه المكتبات يشتمل على تقسيم حصة المكتبة إلى حصص موجهة وأخرى حرة بالإضافة إلى منهج المكتبات الذي يعطي أفكاراً عامة عن كل قسم من أقسامه والذي يدرس كالآتي:

- بالنسبة لمرحلة الأساس يخصص المنهج للتعريف بالمكتبات وأنواعها ومصادر المعلومات.

- أما المرحلة الثانوية فيخصص المنهج لدراسة الخدمات المكتبية والشبكات ووسائل الاتصال.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج

1. مجموعات المواد بمكتبات مدارس الموهوبين ضعيفة وذلك لعدم توفر ميزانية كافية مخصصة لها.
2. اقتصار مجموعات المواد بالمكتبات المدرسية على الأوعية التقليدية وخدمات الإنترنت الذى يتوفر لبعض المكتبات فقط.
3. عدم الاشتراك في الدوريات العامة والمتخصصة في فروع المعرفة المختلفة. المباني غير مصممة كمبني للمكتبة وكذلك تعذر وجود التكييف والتهوية الجيدة في بعض المكتبات.
4. تنظيم هذه المكتبات يتم بطريقة غيرمقننة وليس عن طريق أنظمة الفهرسة المعروفة.

ثانياً: التوصيات:

1. وضع مخططات للنهوض بالمكتبات المدرسية عامة ومكتبات الموهوبين بصفة خاصة والاهتمام بتنفيذها من أجل تحسين مستوى التعليم ورفع كفاءته.
2. التعريف بالمكتبة المدرسية وأهميتها عبر وسائل الإعلام بمختلف أنواعها وخاصة بالبرامج التعليمية وبرامج الاطفال.
3. ضرورة تدريب أمناء المكتبات المدرسية للقيام بالعمليات الفنية وذلك من أجل تنظيم المواد المكتبية.
4. العمل على تأهيل أمناء المكتبات لتمكينهم من مواكبة الجديد من البرامج والأنشطة، وتزويدهم بأغلب المواد التي تخدم حقل المكتبات المدرسية وتعرفهم عن قرب بأحدث البرامج التعليمية والتثقيفية.
5. تخصيص ميزانيات سنوية كافية لمواد المكتبات المدرسية و تنويع مصادر المعلومات فيها.

6. تصميم وإنشاء مباني ملائمة للمكتبات المدرسية وفي مواقع مناسبة ضرورة إدخال الأنظمة الآلية المفتوحة المصدر وذلك للمساعدة على إنشاء شبكات للمكتبات المدرسية لربطها وتعميم الفائدة و تحقيق التعاون فيما بينها.
7. ضرورة تفعيل المكتبات المدرسية وامدادها بالوسائل الحديثة لتصبح مراكزاً لمصادر التعلم.

قائمة المراجع والمصادر

أولاً: الكتب والدوريات

1. إيمان فاضل السامرائي. الاتجاهات الحديثة في الخدمات المصدرية – خدمات المعلومات في المكتبات ومراكز المعلومات. _ المجلة العربية للمعلومات، مج16، ع1، 1995
2. احمد عبدالله العلي. المكتبات المدرسية والعامة: الأسس والخدمات والأنشطة. _ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 1997
3. حسن محمد عبد الشافي. المكتبة المدرسية ودورها التربوي. _ ط 2. _ القاهرة: مؤسسة الخليج العربي، 1987
4. ربحي مصطفي عليان. إدارة المكتبات (الأسس والعمليات). _ عمان: دار صفاء، 2009
5. سهير احمد محفوظ. تكنولوجيا المعلومات ومكتبات الأطفال على مشارف القرن 21. – القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 2001
6. عبد الله النافع آل شارع. برنامج الكشف عن الموهوبين ورعايتهم. _ الرياض: مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، 2000
7. مي شبر.المكتبة المدرسية قلب البرنامج التربوي. _ رسالة المكتبة، مج32، ع1، 1997
8. ناصر بن محمد السويدان. المكتبات المدرسية في دول الخليج العربي: واقعها وسبل تطويرها. _ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1996

ثانياً: المصادر والمواقع الالكترونية

1/ الخدمات المكتبية أساليب تقديمها ومعوقاتها في المكتبات المدرسية. _ متاح على:
http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=12972

2/تصنيف ديوي العشري في المكتبات المدرسية . _ متاح على
http://www.thanwya.com/vb/showthread.php?t=153659

3/دور مركز مصادر التعلم في تطوير العملية التربوية. _ متاح على:
http://vb.arbsgate.com/showthread.php?t=530977

4/ رزيقة مداحي. المكتبة المدرسية في الجزائر – آفاق التطوير._ متاح على:
http://www.bibionat.dz/index.php?option=com.content&view=article

5/ كيفية تطوير المكتبات المدرسية (2009). – متاح على:
http://sandoub.ahalmontab.net/t1291-topic

6/ مسعد محمد زياد. المكتبة المدرسية: أهميتها – أهدافها – استثمارها ؟ - متاح على:
http://www.drmosad.com/index90.htm

7/ المكتبة المدرسية من الألف إلى الياء. _ متاح على:
http://alyaseer.net/vb/showthread.php?t=5938

8/ نجاح قبلان القبلان. خدمات المكتبات المدرسية للموهوبين: دراسة استطلاعية. –متاح على:
http://www.kfnl.org.sa/idart/KFNL.JOURNAL/KFNL/MagPages/52.htm

9/ ويكيبيديا الموسوعة الحرة.مراكز مصادر التعليم . – متاح على
http://ar.wikipedia.org/wiki

10/ ويكيمكتبات الموسوعة الحرة في علم المكتبات والمعلومات. المكتبات المدرسية. –متاح على
http://www.wikibrary.org/wiki/%D8%A7%D9

ثالثاً: المقابلات والتقارير

- سنية محمد فتح الرحمن. أمين المكتبة المركزية _ (مقابلة شخصية). _ بتاريخ2012/4/25، الساعة 10 صباحاً
- _____ . أمين المكتبة المركزية _ (مقابلة شخصية). _ بتاريخ2013/9/18، الساعة 11صباحاً
- مريم حسن عمر. تقرير حول الهيئة القومية لرعاية الموهوبين، 2006

مقارنة الأديـان
مفهومه وموضوعه وطبيعته

هاني بن عبدالله الملحم
كلية الآداب، جامعة الملك فيصل
المملكة العربية السعودية

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومصطفاه وبعد:

فبعد عدة ورش علمية ومحاضرات تخصصية في رحاب الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، والتي تضع أهمية كبيرة بعلوم مقارنة الأديان، بل لديها تخصص مستقل هو" أصول الدين ومقارنة الأديان" يجعل الوقوف على المفاهيم والتمحور حول موضوعه وطبيعته أمر ذو أهمية معرفية، كونها تساعد على الوقوف على حقيقة الأديان، والتعرف على مدى التشابه والتباين فيما بين الأديان، كما أنها في المقابل تساعد الإنسان على تحديد موقفه واتجاهاته، مع أن الجميع يقر بأهمية الدراسات الخاصة بمقارنة الأديان ""comparative religion، لكونه مرشداً إلى فهم ما تصوره الإنسان من أفكار نبيلة، وما يشعر به من عواطف سامية تجاه الحياة الإنسانية، وما تصوره الإنسان عن العالم المادي وعالم ما وراء الطبيعة.

ولا شك أن علم مقارنة الأديان يوقفنا على حقيقة المعتقدات الدينية والتعرف على مدى صحتها، ثم الوقوف على ما تشابه منها، ومواطن الخلاف بينهما، إلا أن المسائل المتعلقة بمفهوم ومقاصد هذا العلم لم تكن محل اتفاق بين العلماء على مر العصور، وذلك لأسباب منها المسائل المتعلقة بتحديد المنهجية المتبعة في دراسة الأديان، ومنها تلك الإشكاليات التي تتعلق بمدى موضوعية علم مقارنة الأديان، ومنها ما يتعلق بطبيعة الموضوع الذي يتعلق به هذا العلم، وهو: الدين وتحديد مفهومه.

أهمية الدراسة:

تعد دراسة علم مقارنة الأديان والتوقف عند المشتركات بينها ومعرفة نقاط الوحدة التي تجمع بين الأديان وغايات هذا العلم وتحديد آليات دراسة الدين وفهم طبيعته وموضوعه من أهم الرؤى لبسط القيم الأخلاقية للتدين، وبسط أثره في التعايش والتفاعل بين المجتمعات البشرية كلها والتي لم يعد للحدود الجغرافية دور تقليدي في تحديد الهوية الفكرية والثقافية للفرد، كما في المقابل تؤسس قانون التسامح حتى مع المحاربين والأعداء والمخالفين في الدين من المعتدين فضلاً عن غيرهم من المسلمين المخالفين في فرع أو جزئية من الدين، كون هذا التفاعل يتم عبر مستويات متباينة كونها متداخلة في الوقت نفسه.

وفي ضوء ما سبق تتجلى أهمية الموضوع كونه مسلطاً الرؤية على استثمار علم مقارنة الأديان في تحقيق الفهم لطبيعة الدين الذي أنزله على أنبيائه، وكيفية تحقيق الانسجام والتكامل الإنساني والتنموي والحضاري، فإن احتياجنا إلى معرفة عملية رصينة ودقيقة، وصفية وموضوعية، محايدة وتاريخية، بخصائص الأديان السماوية وغير السماوية، وتفاصيل تواريخها ومرتكزات عقائدها، أشد من أي وقت مضى، خاصة والدين له دوره المحوري في صياغة التصورات الفكرية وأنماط الحياة للمجتمعات البشرية "، ومنها تظهر إشكالية البحث في تحديد ماهية الدين ومفهوم مقارنة الأديان ومعرفة طبيعته، لما لها من دور كبير في تشكيل معالم الرؤية العالمية للدين والحياة المعاصرة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسات إلى الآتي:

- التعرف على حقيقة وماهية مصطلح "مقارنة الأديان".
- الوقوف عند موضوع علم مقارنة الأديان.
- التعرف على علاقة الدين بالطبع الإنساني وفطرته.
- كيفية استثمار هذا العلم وغاياته الثقافية من الأديان.

مشكلة البحث:

يمكن أن نحدد مشكلة البحث في السؤال الديني التالي: هل لعلم مقارنة الأديان

مفهوم وموضوع وطبيعة واحدة تمثل مشتركاً ثقافياً للمتدينين على اختلاف أديانهم؟ أم أن ثمة خلافات معرفية جذرية لا يمكن تجاوزها؟ وقد تفرع هذا السؤال الرئيسي لعدة تساؤلات فرعية تمثل كل مبحثاً فرعياً في البحث، وهذه الأسئلة هي:

1- ما مفهوم علم مقارنة الأديان؟
2- ما أهمية علم مقارنة الأديان في الدراسات الاجتماعية؟
3- هل يعد مقارنة الأديان من العلوم المعيارية أم من العلوم الذاتية؟
4- ما المقصود بالمقارنة في هذا العلم، وهل هي مقارنة أفكار أم مقارنة أديان؟
5- ما المقصود بالدين من منظور إسلامي ومن منظور غربي؟
6- ماهي ظاهرة التدين وتجلياتها عند علماء مقارنة الأديان؟

المبحث الأول: علم دراسة الأديان ماهيته ومفهومه:

لعل الحديث عن الدين ومكانته وطبيعته ودوره الفاعل على الإنسان وأهميته في تشكيل المعالم الفكرية والنفسية وأيضاً للحياة المعاصرة أمر ظاهر وواضح لكل العقلاء والدارسين للتراث الديني وتاريخه أمثال العامري(ت:381هـ) في كتابه الإعلام بمناقب الإسلام، [1] وأبو الريحان البيروني (ت:440هـ) في كتابه تحقيق ما للهند من مقبولة بالعقل أو مرذولة، [2] وإسماعيل الفاروقي[3]، الذي أفرد أبحاثاً علمية قيمة للدرس

(1 عند مقارنته الإسلام بالأديان الأخرى، ذكر العامري (ت381هـ) أن الدراسة المقارنة للدين ليست ممكنة فقط من الناحية النظرية، وإنما ممكنة من الناحية العلمية. وفي رأيه أن هذا الدرس لا يشمل فقط الأركان الاقتصادية للأديان، بل إنه يشمل النظم السياسية والجوانب التاريخية للأديان، لكونها (الأديان) تمتلك "خططًا ومماليك"، أي أن الديانات العالمية ذات كينونة اجتماعية وسياسية، مما يجعل الدرس المقارن للدين - في رأيه - أمراً ممكناً. (العامري، 1967م. ص123).

[2]) في مقدمة كتابه تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة بالعقل أو مرذولة، يشير العالم المسلم أبو الريحان البيروني(ت440هـ)، إلى أن الحديث عن الآخر ومعتقداته، ليس بالأمر الهين، لكونه أمراً: "يقابل الصدق والكذب على صورة واحدة، وكلاهما لا حقان بالخبر من جهة المخبرين

العلمي المقارن للدين، في كتابه: الأخلاق المسيحية""Christian Ethics، [4]وأريك شارب"E. Sharpe" في مدونته تاريخ مقارنة الأديان " Comparative Religion: A History"، Eric J.sharpe.1975) (وجوردن "Jordan" في مدينة مقارنة الأديان: جذورها وتطورها" Comparative Religion: Its Genesis and Growth"، 1905.Louis Henry Jordan)) وغيرهم ممن درسوا الفكر الديني قديما وحديثاً، وإمكانية صياغة منهج علمي موضوعي لدراسة الأديان ومعتقدات

لتفاوت الهمم وغلبة الهراش، والنزاع على الأمم". ويذكر أبو الريحان البيروني آفة من قصد الحكاية عن الأخر والمخالفين، وكيف معتقدات المؤلف في كتابته وصعوبته.

3) من مواليد مدينة كركوك العراقية، تخرج في جامعة بغداد عام 1957- 1958م،بدرجة الشرف الأولى. وأنهى دراسته للدكتوراه بجامعة كمبردج في المملكة المتعدة عام 1964م درس في كليات جامعة بغداد وكلية الآداب بجامعتي الكويت(1972- 1979)، وجامعة ال البيت الكريم بالأردن عام تأسيسها. ثم التحق بكلية معارف الوحي والدراسات ال البيت الكريم بالأردن عام تأسيسها. ثم التحق بكلية معارف الوحي والدراسات بماليزيا. (عبد الحميد، 2005م. ص19).

وقد كتب إسماعيل الفاروقي دراسات علمية رصينة حول دراسة الأديان والحوار الديني منها:

Christian ethics, Isma,ilRajj A. al Faruqi. (Montreal: McGill University Press, 1967). Islam and other faiths. Edited by AtaullahSiddiqui, (Leicester: The Islamic Foundarion, 1998) , Trilogue of Abrahamic Fiths,ilRajj al- Faruqi, (Herndon, VA.: International Institute of Islamic Thought,1991).

4) يقر الكاتب المعاصر إسماعيل الفاروقي أن الطبيعة التركيبية للظاهرة الدينية ليست من باب الحقائق المجردة، كما وأنها كذلك لا تحتوي فقط على قيم معيارية خاصة، وإنما تجمع بين النوعين في كل تركيبي معقد فهي كما وصفها الفاروقي: "life-facts"، أي أنها حقيقة ذات قيمة معيارية، جمع بين مستوى الحقائق ومستوى القيم المعيارية، وبالإمكان الحصول على منهج يتيح لنا دراستها حسب هذا التوصيف، ، الأخلاق المسيحية، لإسماعيل الفاروقي ص1، وإبراهيم محمد زين، "الحوار الاسلامي المسيحي في السودان: أسس معرفية ومعضلات تاريخه. موقع: www.mubarak-inst.org

الآخرين، مع إقرارهم بالتعقيدات والصعوبات التي تعترض ذلك، ومع إقرار مؤرخة الأديان بإمكانية الحصول على منهج علمي لدراسة الأديان بشكل علمي وموضوعي، لذا حرص الباحثون على استخلاص أوجه الشبه والاختلاف عند الأديان ومعرفة الصحيح منها والفاسد إظهاراً لحقيقة الدين بالحجج والبراهين، إلا أن هناك اعتراضات وتساؤلات تثار من وقت لآخر حول إمكانية الحصول على منهج علمي موضوعي لدراسة الأديان وذلك لكون الدين مسألة ذاتية "غير موضوعية" تتعلق في مجملها بقضايا نفسية وروحية، يصعب على الباحث تقييمها بشكل موضوعي عبر توظيف المناهج العلمية التجريبية.

لذا فمقارنة الأديان قضية علمية ذات طرفين، الأول والتي تتشكل من ثقافة الباحث وتكوينه الفكري والمعرفي، والثاني ضرورة التعامل مع المعتقدات المدروسة بموضوعية، ولكل من هذين الطرفين متطلباته المنهجية، إذ يتطلب الطرف الأول الأخذ بالحسبان المعتقدات السائدة في ثقافة الكاتب وتراكماته الفكرية والمعرفية قبل دراسته للأديان الأخرى، فهذا يؤثر غالباً في طريقة تفكيره وتصوراته عن ثقافة الأديان لدى الآخر ومعتقداته، أما الطرف الثاني فإنه يتمثل في ضرورة التعامل مع الأديان الأخرى بموضوعية، وجمع الاهتمامين أمر في غاية الصعوبة إن لم يكن ضرباً من المستحيل.

أما الطرف الثاني والبعض يضع اعتراضاً ويقول: إذا كان من المستحيل أن يؤمن الإنسان بأكثر من دين واحد في وقت واحد، فهل يمكن له دراسة دين ما بطريقة علمية مالم يؤمن به[5]؟ خاصة أن طريقة المعرفة والاهتداء إلى حقيقة التعاليم الدينية من عقائد، وعبادات، وأوامر مقدسة، هي طرق غير محسوسة "الوحي أو الإلهام"، وليس من السهل الإتيان بها أو الحصول عليها من خلال التجربة الموضوعية، ولا يمكن

---

[5]) علما أن المقارنة تتطلب القبول المبدئي للتعدد الديني، كما تتطلب المرونة الذهنية من حيث التعايش مع الآخر، وهو أمر قد يتعارض مع إصدار الأحكام القيمية من حيث التصويب والرد على المعتقدات الأخرى.

اختبارها بطريقة موضوعية، وعليه كيف يمكن الجزم بأنه بمقدورنا امتلاك المعرفة الحقيقة عن طبيعة تلك التعاليم ما لم نتمكن من اختبار طرق الحصول عليها باستخدام مناهج التجربة الحسية، ولعل هذه الاعتراضات وغيرها في رأي بعضهم تجعل الحصول على منهج موضوعي لدراسة الدين ضرباً من المستحيل.(Encyclopaedia of brintannica, v26,p.549) لكن ومع أن هذه الاعتراضات تعبر عن تساؤلات حقيقية تتعلق بمسألة الحصول على منهج علمي لدراسة الدين بشكل موضوعي، إلا أن الاستسلام إلى تلك الاعتراضات يجعلنا مكتوفي الأيدي، أو عاجزين عن دراسة الدين، وهو أمر أشبه ما يكون إهمالاً معرفياً لا مبرر لها من الناحية النظرية، ولا من الناحية العلمية إذ كيف يصح - من الناحية النظرية- ، أن تتم دراسة جوانب الحياة المختلفة من طبيعة وفكر واجتماع بطرق علمية في العصر الحديث، باستثناء الدين الذي عده البعض: " أعلى مظاهر الطبيعة الإنسانية، وأكثرها جاذبية". (شالي، 1991م. ص15). ونظراً إلى أن الدين ظاهرة محورية في صياغة التصورات الفكرية وأنماط الحياة في كثير من المجتمعات البشرية، ولما للدين أيضاً منظور حاسم وفاعل في تشكيل معالم الحياة المعاصرة، يجب: "على أهل الذكر والفكر منا صياغة نظرية متكاملة عن الدين[6]. (عبد الحميد، 2005م. ص19).

ومن الناحية العلمية لا مبرر لتلك الاعتراضات لكون مناهج دراسة الأديان قد أتت أكلها المعرفي في مجال دراسة العقائد والثقافة الدينية للمجتمعات البشرية، وهذا ما جعلها تحتل مكانتها العلمية في مسيرة التاريخ البشري، ولذلك يصر معظم دارسي الفكر الديني على إمكانية دراسة الدين[7]، ويرون أن الدين وإن كان يتعلق بقضايا في

---

[6]) يرى الباحث أن التمسك بإخضاع دراسة الدين إلى المنهج الحسي الذي يعتمد على التجربة فقط ليس بسليم إذ الدين ودراسته منهج وطريق آخر باعتباره علما من العلوم الإنسانية.

[7]) لمزيد من التفصيل والآراء المتعلقة بإمكانية دراسة الأديان ومقارنتها، انظر: البيروني، كتاب تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، العامري، كتاب الإعلام بمناقب الإسلام.

جوهرها نفسية وروحية يمكن دراسته دراسة موضوعية بوصفه ظاهرة ذات أبعاد متداخلة منها البعد النظري الذي يتشخص في الأصول النظرية للدين، مثل: أصول العقائد، والبعد العملي الذي يشمل المنظومة الأخلاقية والأعياد الدينية والطقوس التعبدية، والبعد التنظيمي الإداري، مثل: المعابد، والكنائس، وكذا البعد العاطفي الوجداني الذي يتمثل في نظم البناء وهندسته، وفي الشعر والموسيقي والفنون عموماً. ومنهم من لخص هذه الأبعاد في أركان ثلاثة، ويرون أن الدين - كل دين - ينطوي على أصول ثلاثة هي: النظرة الكلية عن الله والإنسان والعالم، وهو ما اصطلح عليه بعضهم بـ: "ethos"، ومنهج كلي وشامل للحياة، الذي يحدد ما يجب الالتزام به وما يجب تركه وإنكاره "ethics"، ثم ما يجدد معالم الهوية الثقافية الاجتماعية لتلك الجماعة التي تدين بذلك الدين ""socio-cultural ،entity"" وهو كما يسميه بعض مؤرخة الأديان. (عبد الحميد، 2005م. ص 15- 16).

ولقد ذكر العامري في مقارنته الإسلام بالأديان الأخرى أن الدراسة المقارنة للدين ليست ممكنة فقط في أركانها الاعتقادية، بل في النظم السياسية والجوانب التاريخية للأديان، إذ الأديان التي تحدث عنها العامري تمتلك "خططاً ومماليك". (العامري، 1967م. ص12).

ولكل منها كينونة اجتماعية وسياسية، وكل دين من الأديان الستة التي درسها أقام دولة في فترة ما إضافة إلى أن لها أركاناً أساسية تشترك في التمسك بها، وهي: العقائد، والعبادات، والمعاملات والحدود، إذ يقول الله تعالى:) **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** (الحج:17)

فما من مجتمع إلا وله اعتقاد بشيء يجري سعيه إليه، ومنهج في العبودية يتحرى بالتزامه إقامة الطاعة، وأوضاع في المعاملات ينتظم بها معاشرتهم، ويتحصن بها عن طريق البوائق والأشرار". (العامري، 1967م. ص123).

ومن ثم يمكن للباحث أن يقارن هذه الأركان ليتحقق من رجحها ما يقبله منها

على ما يرفضه، ويرى العامري أن وصف: "الأركان التي عليها مدار كل واحد من هذه الأقسام الأربعة". (العامري، 1967م. ص123). تمكن صاحبها من مقابلة كل ركن منها بنظيرة، وهذا ما جعل علماء الأديان يتفقون على إمكانية دراسة الدين، وبلورة نتائج علمية معتبرة فيها على الرغم من اختلافهم في تحديد مفهوم هذا العلم وأسسه الموضوعية.

وفي المقابل نجد أن الغرض من دراسة الأديان الأخرى عند الفاروقي الوصول إلى الحق والوقوف معه، ومعالمه وهي معالم الكلمة السواء، يجتمع عليها الكل بسبب أنها أصل التدين، وما الديانات المتعددة في العالم إلا مظاهر لذلك الأصل الجامع افترق الناس عنها بسبب التحريف التاريخي والتدليس واللبس في الفهم. (العامري، 1967م. ص123).

وإلى جانب خلاف " مؤرخة الأديان " في صياغة منهج المقاربة العلمية لدراسة الدين، نلاحظ أيضاً تباين مواقفهم حول مسألة تحديد طبيعة المادة التي يتعلق بها هذا العلم أي تحديد مفهوم الدين. (العامري، 1967م. ص123).

ولهذا التباين في تحديد مفهوم الدين أثر سلبي في تحديد غاية هذا العلم، إذ ذهب مفكرو الإسلام إلى أن الدين: "وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة إلى الإصلاح في الحال والفلاح في المآل". [8]

بينما رأى غيره بشكل عام أن الدين في جوهره موروث بشري يخضع للصيرورة التاريخية ومتغيراتها، شأنه شأن السحر والخرافة وغير ذلك مما أنتجه الخيال

---

8) اشتهر عند علماء المسلمين بأن معنى الدين في الإصطلاح، وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل، أو هو وضع إلهي لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الخير باطناً وظاهراً. (ابن عاشور، 1876م. ص9) و (دراز، 1990م. ص51).

البشري[9]، وعليه حدد كل فريق غاية علم مقارنة الأديان بناءً على تصوره لمفهوم الدين، إذ غاية هذا العلم - عند القائلين بقدسية الدين - تتمثل في: " الوصف والتحليل"، الموصل إلى الأحكام القيمة من أجل الاهتداء إلى الحق في الأديان، والتمسك به والدفاع عنه[10] (عبد الحميد 2005م.ص17)، بينما ظلت غاية علم مقارنة الأديان عندالإسقاطيين عامة تتلخص في دراسة هذه الأشكال الثقافية فقط في محيطها التاريخي والاجتماعي دون إصدار أحكام قيمة على صحة بعضها دون بعض لكون الدين في نظر الإسقاطيين مجرد أشكال ثقافية اجتماعية، لا قدسية لها ولا جذور فوقية.

ولقد تحدثت موسوعة المعارف البريطانية في سياق المفاهيم العامة للدراسة عن وجود نوعين من علم مقارنة الأديان، يتمثل النوع الأول في الدراسات الوصفية التي تهدف إلى التحليل التاريخي للمعتقدات الدينية، بينما النوع الثاني يتمثل في الدراسات التقويمية التي تتجاوز حد الوصف والتحليل، وتتعدى إلى تحديد صدق القيم والأفكار الدينية، ومدى صحتها أو بطلانها، وتشير أيضاً إلى تنامي الاتجاهات التي تدعو إلى ضرورة التفريق بين إصدار الأحكام القيمية وبين التحليل والوصف في دراسة الأديان في الغرب، وغربلة المفهوم القائل أن علم مقارنة الأديان في السابق كان يهدف إلى معرفة

---

[9]) ظهرت هذه النظرة منذ نهايات القرن السابع عشر وبدايات القرن التاسع عشر، خاصة في كتابات كارل ماركس، وتشارلس داروين (1809-1882) (Charles Darwinم)، وفريدريك نيتشه (F. W. Nietzsche) (1844-1900م)، وسيجموند فرويد، الدين أسقطوا الدين عامة وأنكروا قدسيته.

[10]) هذا موقف مؤرخة الأديان في الفكر الإسلامي، الذين أكدوا _ لا من وجهة نظر إيمانية خالصة _ أن الدين وضع إلهي معصوم أصالة، له ما لكل الإلهات من ثبات الحق الذي لا مبدل لكلماته، وصرامة الصدق الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه، على الرغم مما يطرأ عليه ويضفي المؤمنون به، عليه، ألواناً من التحريف وصوراً من الشذوذ، تتشكل في العادة في صور تراكمات ثقافية زائدة وطارئة، تحجب جوهره الأصلي وتشوب نقاءه الإلهي الأول، وبساطته الأصلية.

صحة المعتقدات الدينية أو بطلانها، إلا أن غايته في المدارس الغربية الحديثة صارت تنحصر في الوصف والتحليل من خلال مناهج علم الاجتماع، وعلم النفس، وعلم الآثار(encyclopaedia of Britannic, v26, p.549).

فأصحاب هذه الميول يرون أن الحديث عن الحق والباطل في دراستنا للأديان والأساطير وإصدار الأحكام التصويبية يبعدنا عن الحيادية التي يفرضها علينا البحث العلمي، ومن ثم لا فضل لمعتقد دون آخر، لكونها أي المعتقدات الدينية إنتاجاً بشرياً يخضع للصيرورة التاريخية والثقافية للإنسان، فهذه المدارس لا تعترف بجذور ربانية ولا بأصول سماوية للأديان لكون المعتقدات الدينية _ في رأيهم _ إنسانية المصدر والمضمون، لذا إذا أردنا الوقوف على علم مقارنة الأديان وما يتعلق به مهم أن نقف أولا عند أمرين:

أولاً: المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمقارنة:

تشير قواميس اللغة العربية إلى أن مادة " قارن مقارنة وقراناً" تعني اقترن به وصاحبه، وقارن الشيء بالشيء: أي وازنه به، أو شده ووصله به. (ابن منظور، 1990م. ج13، ص139)، وتتضمن المعاني اللغوية لكلمة "المقارنة" هنا عدة مفاهيم كالوصل، والجمع، والمصاحبة، والتسوية، والربط، ويدل جميعها على الاقتران والمصاحبة والاشتراك، وهذا ما يبين أن المقارنة في اللغة العربية تعني الوصل والمصاحبة والاشتراك، لذا فالمقارنة في اللغة العربية: الوصل والمصاحبة من أجل معرفة التشابه والتباين، وفي اللغة الإنجليزية نجد أن كلمة "compare" تحمل معاني: التشبيه والموازنة، ولفظ "comparative"، صفة، ومعناها: مقارن: أي ذو علاقة بالمقارنة أو قادر على إجراء المقارنات، مما يجعل اللفظ ومشتقاته تعني: المقارنة من أجل التعرف على التشابه من عدمه، ومعرفة التمايز بين الأفكار أو الأشياء المقارن(j.Milton cowan.1960,p760)، وعليه تبقى المقارنة على هذا الوصف بأنها: وسيلة للتمييز بين شيئين وصولاً إلى الحكم، والمقارنة في المجال المعرفي رديف الموازنة، وهي أداة فكرية ومهارة معرفية يتمتع بها البشر بنسب متفاوتة، تتبع مستوى المعرفة والتركيبة النفسية والثقافية. فالمقارنة عمل عقلي حسي من خلالها يميز البشر النسب المتفاوتة بين

الأشياء والمفاهيم، وفي مجال الدراسات الأدبية تطلق "المقارنة" على "التسوية" بين شيئين أو موضوعين أو المساواة بينهما.

كما تطلق على "الموازنة" للوصول إلى حكم معين في معرفة نسبة التفاصيل أو الزيادة والنقصان التي بين الأشياء أو الأفكار أو المواضيع المقارنة، وهذا ما نعني عادة بـ: "الفقه المقارن"، و"الأدب المقارن"، و"القانون المقارن"، إذ نشير إلى وجود عناصر وأسس مشتركة وأخرى متباينة بين تلك المفاهيم أو المجالات الدراسية. ومن حيث الهدف يمكننا أن نقسم المقارنة أيضاً إلى نوعين:

النوع الأول: تلك العملية الدراسية التي تتوقف عند الوصف والتحليل للشبه والتباين بين الأشياء دون إصدار أحكام قيمية عليها من حيث الصحة والبطلان، على سبيل المثال نقارن بين فلسفة ابن رشد وفلسفة أرسطو الفلسفية، وأيضاً لمعرفة مدى تأثر ابن رشد بالفكر الأرسطي الفلسفي منه واللاهوتي، دون إصدار أي أحكام قيمية) المهدي، 1993. ص10). [11]

النوع الثاني:

تلك العملية الدراسية التي تهدف بالدرجة الأولى إلى التمييز بين الحق والباطل ومعرفة الرأي السقيم من الصحيح، فعلى سبيل المثال يقول الله تعالى: **(أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاْ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ)** النحل: 17، أي "من كان قادراً على خلق الأشياء كان بالعبادة أحق ممن هو مخلوق لا يضر ولا ينفع" (القرطبي، 1967م. ج10، ص93). وهدف المقارنة هنا هو التأمل والتعمق في التفكير للتمييز بين الحق والباطل ومعرفة الصحيح من السقيم، ويذكر المفسرون أمثال القرطبي، أن الله سبحانه وتعالى عرض هذا النوع من المقارنة لما فيها من بيان الحق ونصرته، وبيان أن طريق الدعوة هو الإقناع

---

11) هذا المفهوم للمقارنة وتطبيقه على الأديان والمعتقدات مرفوض لدى بعض العلماء واحتجوا لذلك، لأن فيها مساواة بين الوحي الإلهي المعصوم وبين الأفكار البشرية التي تخضع المؤثرات الخارجية كما هو الحال في الدراسات الفلسفية. وأيضاً أن هذا النوع من الدراسات لا يفيد كثيرا في مجال دراسة المعتقدات لكونه لا يرشدنا إلى قيمة معيارية في دراسة الدين.

وحرية المشاعر، والسمو بها فوق التقليد الأعمى والتبعية، ومن باب فتح مجال الموازنة الذهنية للأفكار أمام العقل ليكون الاختيار بعدها صحيحاً ورصيناً. (القرطبي، 1967م. ج10، ص93).

ثانياً: مفهوم علم مقارنة الأديان:

عند الحديث عن المفهوم يحسن بنا أن نقول أن هذا العلم مفخرة من مفاخر المسلمين كون موضوعه وطبيعته وثمرته ثروة فكرية تبرز جمال الإسلام ورجحانه على سواه، وكما يقول أحمد شلبي عنه: "هو علم يسعى لامتلاك سلاح بيد المسلمين يبرز جمال الإسلام ويؤكد أن الفكر الإسلامي قمة شامخة وما سواه حافل بالانحراف والوثنية". (شلبي، 1988م. ص 24).

لذا يؤكد ميرسيا إليادا صاحب موسوعة المعارف الدينية: "encyclopaedia of religion"، أن مصطلح "مقارنة الأديان" "comparative religion" لم يكن حاضراً في الأدبيات المعرفية لدى الأوروبيين في العصور القديمة، ولم تظهر مصطلحات علم الدين المقارن، أو المنهج المقارن للدين وغيرها من المصطلحات في كتابات الباحثين الأوروبيين الذين درسوا الفكر الديني في العصور الوسطى، حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، حيث أطلقها ولأول مرة عالم اللغويات الألماني ماكس ميلر "M. Muller" بقوله: "لماذا نتردد عن تطبيق منهج مقارن لدراسة الدين؟"، وظهر في الأدبيات الأكاديمية الأوروبية في القرن التاسع عشر الميلادي، بوصفه مرادفاً لمصطلح علم الأديان " the science of religion"، أو ما يعرف في الثقافة الألمانية "religionswissenschaft"،

وما يعرف في الثقافة الفرنسية ""relig حيث طبق منهج مقارن في دراسة الطقوس والمعتقدات الدينية، وإلى جانب الدين المقارن عرف هذا العلم في الغرب بمسميات مختلفة، كدراسة الأديان"study of religions"، وتاريخ الأديان history of religions""، و"علم الأديان "science of religions"، وكلها مصطلحات تشير، بشكل أو بآخر إلى الجهد المعرفي الذي يهدف إلى فهم الظاهرة الدينية وطبيعتها، من حيث تفسير مكوناتها العقيدة والمعرفية الأساسية، ومن حيث تحديد تواريخها ونشأة

عقائدها، إذ نجد في النفس حاجة لتحليل دلالاتها حتى نكون على علم بأبعادها، وهذا العلم يتوزع على مصطلحات هي على النحو الآتي:

- مصطلح الدين المقارن هو ترجمة حرفية للفظ الإنجليزي " comparative religion"، وهو وإن كان يستقيم تعبيره في اللغة الإنجليزية، حيث يفيد الدرس المقارن للدين، إلا أن لفظ "الدين المقارن" لا يخلو من أبعاد تعبيرية في اللغة العربية، وأخرى مفاهيمية، ذلك أن هذا الاصطلاح في رأينا لا يفيد من حيث التعبير الجهد المعرفي الذي يقارن الأديان، بقدر ما يفيد أن هناك ديناً مقارناً، أي أن اللفظ يركز على الدين، ولا يركز على الجهد العلمي الذي يقارن الأديان بدلاً من "الدين المقارن"، لكون الأول يحمل مفهوم الجهد العلمي الذي يدرس الدين بشكل مقارن.

- وأما من الناحية المفهومية، فإن هذا المصطلح يفيد مساواة الدين الحق والمعتقدات السماوية بغيرها من الأفكار الوثنية والإلحادية، وهو أمر يتوجس منه كثير من علماء المسلمين الذين يرون أن هذا المصطلح يفيد على الأقل من الناحية المبدئية مساواة الدين الحق (الإسلام) بالديانات التي نالتها أيدي التحريف، أو مقارنة الإسلام بالمبادئ الإلحادية، أو الخرافات الوثنية، وعليه يفضلون لفظ "دراسة الأديان" على لفظ "الدين المقارن". [12] (المهدي، 1993.ص10) & (شلبي، 1988. ص24).

المبحث الثاني: موضوع علم مقارنة الأديان (الدين) وطبيعته

تمهيد:

لعل المهتمين بالدراسات الخاصة بعلوم الأديان يتمحورون حول ضرورة الدين وحاجته للإنسان كونه الخاصية التي تجمع له بها الكمال الإنساني القائم على الروح والجسد، فالدين الذي عرفه العلماء بتعريفات عدة خلصوا من خلاله للأسئلة التالية:

ما مفهوم الدين لغة واصلاحاً؟ وما سبب التدين لدى الإنسان؟

---

[12]) يفضل علماء دراسة الأديان في الفكر الإسلامي لفظ "دراسة الأديان" على غيره من المصطلحات، وإن كان بعضهم استخدم لفظ "مقارنة الأديان" أمثال المرحوم أحمد شلبي مع تحفظ شديد على مضامين كتابه المعرفية والفكرية.

وهل هو الخوف من المجهول؟ أم أنه نابع من شعور الإنسان بالضعف والوهن؟

وما علاقة الدين بالطبع الإنساني وفطرته؟ وهل التدين كسبي اكتسبه الإنسان من تجاربه اليومية أم فطري فطر عليه الإنسان؟

هذه الأسئلة وغيرها، من الأسئلة التي ما زالت تثار حول مفهوم الدين وعلاقته بالكيان الإنسان وفكره، ويتناول هذا المبحث تعاريف العلماء للدين، والحوار الذي دار حول المسائل المتعلقة بتدين الإنسان قديماً وحديثاً.

أولاً: مفهوم الدين:

المتتبع لقواميس اللغة يجد أن كلمة "**الدين**" تطلق على معانٍ عديدة ومتشعبة (ابن منظور، 1990م. مادة "د ي ن") منها "الملك، والقهر والإكراه، والإحسان، والعادة، والعبادة، والسلطان، والخضوع، والإسلام، والتوحيد، وهو اسم لكل ما يعتقد أو لكل ما يتعبد به، وقد تأتي مرة من فعل متعد بنفسه: دانه يدينه، وتأتي تارة من فعل متعد باللام: دان له، وتارة أخرى من فعل متعد بالباء: دان به، وباختلاف الاشتقاق يختلف المضمون الذي تعطيه العبارة، ونلاحظ في حالة تعدي الفعل بنفسه "دان دينا"، يعني ملكه، وحكمه، وساسه وقهره وقضى بشأنه، ومعنى الدين هنا يدور حول الملك والتصرف بما هو من شأن الحاكم من السياسة والتدبير كما في قوله تعالى "**مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ**" الفاتحة:4، أي الجزاء، وهو يوم القيامة. (المحلي، و السيوطي، د.ت. ص34).

وفي الحديث "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت".[13] أي ضبطها وأحكم أمرها وكبح جماحها، أما إذا قلنا "دان له" يصير المعنى هو أطاعه وخضع له، ومن ثم فالمراد بالدين هنا هو الطاعة والخضوع والعبادة، وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول ومطاوع له دانه فدان له، أي أجبره على الطاعة والورع والعبادة، ومن هذا المنطلق يمكن القول بأن كلمة "الدين لله" تحمل كلا المعنيين، أي الحكم لله، أو الخضوع

---

[13]) رواه الترمذي في سننه، في كتاب صفة يوم القيامة والفائق والورع، وتتمة الحديث كما رواه الترمذي عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله علية وسلم، قال: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمين على الله".

له جل وعلا.

وإذا قلنا دان بالشّيء بمعنى أنه اتخذه دنياً ومذهباً أي اعتقده أو تخلق به، فالدين هنا هو المذهب والطريق الذي يلتزم به الشخص نظرياً أو عملياً. (الفيروزآبادي، 1987م. مادة "د ا ن").

والمذهب النظري عنده عقيدته ورأيه الذي يعتنقه، ومن ذلك قولهم دنيت الرجل أي وكلته إلى دينه، ولم أعترض عليه فيما يعتنقه، وهنا يحمل الفعل معنى "التفلسف" أي اتخاذ الإنسان مذهباً أو نسقاً فكرياً ما أو "أيديولوجية" معينة، وهذا المعنى اللغوي مرتبط بالمعنيين السابقين، من حيث إن المذهب الفكري أو الفلسفة أو العقيدة الفكرية التي يدين بها شخص ما، لها عليه من التأثير والنفوذ ما تجعله يخضع لها ويلتزم باتباعها ويصر على مبادئها. (إسماعيل، 1989م. ص 3- 4)، وعليه فإن كلمة الدين عند العرب تتضمن علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له، فإن وصف بها الطرف الأول كانت خضوعاً وانقياداً، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً، وحكماً وإلزاماً، وإذا وصف بها نظراً إلى طبيعة العلاقة بين طرفين كانت هي الطريقة المنظمة لتلك العلاقة، أو الشكل الذي يمثلها، وعلى كل فإن المعنى اللغوي للدين يدور حول معنى اللزوم والانقياد، والخضوع، أو المبدأ والمذهب الذي يدين له المرء، ويقترب من هذا المعنى للدين معنى الدين ـ بفتح الدال المشددة - التي تعني الإلزام المالي، يعني إذا كان الدين ـ بكسر الدال - معناه الإلزام الروحي أو الباطني، فإن الدين- بفتح الدال- يعني الإلزام المالي، وفي اللغات الأوروبية تحمل كلمة "religion" ومشتقاتها، معاني "الدين"، وتفيد كلمة "religion" نشاطات إنسانية يهتم بها ويمارسها جميع البشر وفي كل البقاع، وقد اختلف العلماء في مدلول الكلمة عند إرجاعها إلى جذورها، فقد اقترح البعض، أن الجذر "leg" يعني المراقبة أو الملاحظة وخاصة مراقبة الأجرام السماوية أو الإلهامات السماوية الدينية، بينما يرى بعضهم أن الكلمة جاءت من جذر أخر هو"lig" الذي يفيد الرابطة أو العلاقة المشتركة بين الإنساني والإلهي، ويرى الأخرون أمثال أوغسطين الكبير (ت:430م)، أن كلمة

دين "religion" تتضمن المعنيين السابقين، ولعل رأي العرب هو السديد كونه موافق لجملة المفاهيم والتصورات في الإسلام إذ الغاية من التدين والتي تتضمن عبودية الأدنى للأعلى والتي هي من العبد لخالقه الخضوع والانقياد لأوامر المشرع للدين وهو الله عز وجل.

لذا عند الحديث عن مفردة الدين يحسن بنا أن نؤكد على معنى مهم في ضوء دراستنا للدين ومقارنة الأديان وهي أن كلمة الدين لا جمع لها من لفظها، ولا يصح مهما اختلفنا أن نقول " أديـــان" فالبعض يزيدون الطين بلة فيقولون "الأديان السماوية "، وهو مصطلح غير مقبول من أهل التخصص والنظر، وينبغي أن نفرق بين **"الدين"** و**"الديانة"** والله تعالى في كتابه العزيز قال: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ)**، وقال في موضع آخر: **(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِن الْخَاسِرِينَ)** آل عمران: 85، فالمنهج القرآني يؤكد على أن الدين واحد لأن الله واحد، وإذا تعددت الآلهة تعددت الأديان فإذا أسلم العبد لله تعالى وآمن برسوله يجب أن يعتقد بما أورده الله في القرآن وكل ما جاء به الرسول في الرسالة الحق، لذا يحمد أن يرى _ في وطننا العربي _ أن الجواز أو بطاقة الأحوال الشخصية كتب فيه "الديانة"، ولم يكتب الدين، فالله لم يرتضي غير الإسلام ديناً وختم به الرسالة وجاءت شريعته خاتمة وناسخة لكل الشرائع السابقة، لذا عبر صاحب تفسير المنار عن هذا قائلا: " أقر القرآن أن لليهود والنصارى أصولاً كتابية منزلة من الله ووصفها بأن فيها هدى ونور، وعبر القرآن عن الديانتين بـ "أهل الكتاب"، وهو معنى يحمل معاني مهمة لفهم طبيعة موقف القرآن منهما، كما أنه يؤسس قرابة عقائدية وثقافية بين أصول تلك الديانتين والإسلام لكونها صادرة من منبع واحد قبل أن تتعرض للتحريف". (رضا، 1990م. ج5 ص 140).

فالإسلام هو دين الله تبارك وتعالى من عهد آدم إلى أن تقوم الساعة، وما اليهودية والمسيحية إلا ديانات ورسالات نسخت، وإذا نظرنا إلى تتابع الديانات لما أرسلت على عيسى لبني إسرائيل قال: **(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ**

إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْن يَدَيَّ مِن التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُول يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) الصف: 6، أي أوافق على كل ما جاء به موسى في مضمون رسالتي وديانتي ومبشراً برسول من بعدي اسمه أحمد، والبعض من النصارى يعترض أن الذي جاء محمد وليس أحمد، فمراد الله فيقرآن هذا عند ما قال عيسى (اسمه أحمد) هذا الأحمد لما أرسله الله تبارك وتعالى رسله بالكتاب الذي تصدى له بالحفظ وقال في محكمه **(إِنَّ الدِّين عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ)** آل عمران:19، فالإسلام واحد لأن الله واحد والذي يتعدد الديانات، والحقيقة أن كلمة الدين كلمة تحتاج إلى وعي وإلى مفهوم صحيح عند كل مسلم حق، ونلحظ أن اختيار اسم "الدين القيم "جاء كمصطلح ذو دلالة عميقه بعد أن عرض التخلف الذي أصاب أهل الأهواء والبدع[14]، وما اختيار هذا الاسم إلى لنخرج أنفسنا من كل بدعة ابتدعها أهل الكتاب وغيره من بعد محمد صلى الله عليه وسلم فقال الحق سبحانه للنبي: **(فَأَقِم وَجْهَك لِلدِّين حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَر النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيل لِخَلْق اللَّهِ ذَلِكَ الدِّين الْقَيِّم وَلَكِنَّ أَكْثَر النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)**. الروم:30

ثانياً: المفهوم الاصطلاحي للدين في المنظور الإسلامي

اشتهر لدى علماء المسلمين بأن معنى الدين في الاصطلاح: "وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في حال، والفلاح في المآل". (ابن عاشور، 1876م. ص9). أو هو: "وضع إلهي لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الخير باطنا وظاهراً".(دراز، 1990م. ص51).

وهذا يشمل العقائد والأعمال، ويطلق على ملة كل نبي، وقد يخص بالإسلام كما في قولة تعالى: **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتِابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فإن الله سَرِيعُ الْحِسَاب** (ال عمران:19، ويضاف إلى الله عز وجل لصدوره عنه، وإلى النبي لظهوره منه، وإلى الأمة

---

[14]) نلاحظ أن القرآن تناول الجذور العقائدية لأهل الكتاب من خلال مبدئين: مبدأ التصديق لما صح فيها من تعاليم، ومبدأ النقد والتقويم لما جاء فيها من تعاليم تمت إضافتها إلى تلك الديانتين نتيجة التغيير والتبديل.

لتدينهم به وانقيادهم له، ولقد أشار الجرجاني في التعريفات إلى الفرق الذي بين "الدين" و "الملة"، وبين أنهما متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث الرجوع إليها تسمى ديناً، ومن حيث إنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث إنها يرجع إليها تسمى مذهباً، وقيل الفرق بين الملة والدين والمذهب منسوب إلى المجتهد. (الجرجاني، 2002م. ص90)، ولقد قدّم محمد بن عبدالله دراز تعريفاً يشمل الجوانب الأساسية للدين، وهو: "الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تدبير للشئون التي تعني الإنسان، وهو اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد، وبعبارة موجزة هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة". (دراز، 1990م. ص52).

وهذا التعريف يشمل قيوداً خمسة، هي:

القيد الأول: في الاعتقاد بوجود ذات غيبية قيد أخرج الماديين والطبيعيين الذين لا يؤمنون إلا بما وقع تحت الحس.

القيد الثاني: هو "ذات علوية"، ميز الدين عن السحر، فالساحر أو الكاهن يؤمن بوجود ذوات غيبية كالجن مثلاً، لكنه يحاول أن يُخضعها لرغباته، ومن هنا يتضح الفرق بين المتدين وكل من الساحر والكاهن، فالمتدين يؤمن بذات غيبية علوية يخضع هولها ولا تخضع له.

القيد الثالث: "ذات علوية لها اختيار" يعني ذاتاً تتصرف بالإدارة لا بالضرورة كالمغناطيس والكهرباء والجاذبية.

لقد أخرج **القيد الرابع:** "لها تدبير للشؤون التي تعني الإنسان"، أتباع الفلسفة الروحية الذين يعتقدون بالذات الغيبية العلوية المريدة، ولكنهم ينفون تدبيرها لشؤون الناس، ولا يرون لها عليهم حق مناجاة، ولا شيئاً من حقوق أو واجبات.

القيد الخامس: "اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة، وفي خضوع وتمجيد"، فقد فصل بين وجهتي النظر الدينية واللادينية، فبينما النظرة الدينية ترمي من وراء ذلك كله إلى حقيقة أخرى، تدفعها إلى مناجاة معبودها

ودعائه وتوطد في نفسها شعور الرغبة والرهبة.

وهذا التعريف للدين وإن كان شمل جوانب أساسية للدين، إلا أنه يصعب وصفه بأنه جامع ومانع، ولكونه لا ينطبق على كثير من الأديان، مثل: البوذية، والجينية، والكونفوشوسية، وغيرها من الأديان التي تهتم كثيراً بوجود ذات سامية أو ذات فوقية علوية.

ويركز تعريف علماء الإسلام للدين على الأسس الآتية:

أ. الدين وضع إلهي، وليس من وضع البشر بحال من الأحوال، وعليه فإن لفظ الدين يطلق على الأديان المنبثقة من الوحي الإلهي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً هو الخالق المهيمن على كل شيء، وهذا ما يخرج الدين من دائرة صنع البشر، مثل: الديانة الطبيعية التي تستند إلى العقل، والديانات الخرافية التي تستند إلى الأوهام والأساطير، والديانات والوثنية التي تتخذ من التماثيل آلهة، على الرغم من أن القران الكريم قد سماها كذلك[15]، "**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**" ال عمران:85، ويقول سبحانه: "**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**" الكافرون:6.

ب. يدفع العقول السليمة باختيارهم الحر لاتباع هذا الوضع الإلهي الذي يرتضونه بفطرتهم السليمة.

ج. إن الفطرة الدينية تهدف بالدرجة الأولى إلى إصلاح حال المتدينين في الحال والمآل أي الدنيا والأخرة لتحقق لهم الخير في الظاهر والباطن معاً.

ثالثاً: المفهوم الاصطلاحي للدين في المنظور الغربي.

يجد الباحث أن مصطلح الدين "Religion" في المنظور الغربي يعد من المصطلحات الشائكة، لما أثير حوله من جدل معرفي في الأوساط العلمية والأكاديمية

---

[15]) نلاحظ أن الدين معناه عند علماء الإسلام معرف بأل العهد لا الاستغراق، مثل قولة تعالى(إن الدين)، والدين الذي ورد في سياق القرآني(لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) نكرة، والنكرة لا تعم فلا إشكال.

الغربية خاصة في مجال فلسفة الأديان، وعلم اللاهوت "theology"، وعلم الإنسان"anthropology"، وعلم الاجتماع "sociology"، وعلم مقارنة الأديان"comparative religion"، وأشار بعضهم إلى أن الحصول على تعريف للدين يتفق عليه علماء الغرب يعد ضرباً من المستحيل(طه، 20005م. ص5) [16]، وادعى بعض علماء الغرب أنه لا يمكن تحديد مفهوم الدين أبداً (Dewick,1993)، (طه، 20005م.ص5)، وعلى الرغم من وجود هذا الشعور لدى بعضهم في صعوبة تعريف الدين وتحديد مفهومه، إلا أن علماء الغرب لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام تعريفه، فقدموا تعريفاً تظهر فيها ميولهم ونزعاتهم الفكرية، وعندما نستعرض آراء علماء الغرب للدين كما أوردها عبدالله دراز في كتابه الدين. (دراز، 1990م. ص 34-36).

نلاحظ أن بعضهم حصر الدين في مفهوم: "الشعور بالتبعية"، بينما ذهب بعضهم إلى كونه: "الشعور بالخوف والرهبة"، وأكد آخرون أن الدين، هو: " الشعور باللامتناهي"، بينما رجح بعضهم أن الظاهرة الدينية تعود إلى الحياة الجنسية". [17]، وعلى سبيل المثال كما ورد في: (دراز، 1990م. ص50 وما بعدها) يرى "سبنسر"(احمد، 1972م. ص532) [18] أن الدين هو: الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية، هو العنصر الرئيس في الدين، أو هو "نوع من الأسرار، أما "فيورباخ"(احمد، 1993م. ص738) [19]، فقد ذهب إلى أن الدين "غريزة تدفعنا

---

16) عند حديث عن تحديد المفهوم الاصطلاحي لكلمة الدين ذكر الباحث الإندونيسي أنيس مالك طه استحالة الحصول على تعريف للدين في المنظور الغربي يتفق عليه الجميع.

17) أمثال سيجموند فرويد، في كتابة مستقبل الخرافة: Sigmund Freud, The future ot an illusion, translated and edited by James Strachey, New York.Norton,1989

18) سبنسر هربرت 1820م فيلسوف انجليزي درس علوم الطبيعة والنفس يرى أن حصر المعرفة في مبدأ التطور، من أهم مؤلفاته "أصول علم النفس" و "أصول علم الاجتماع".

19) فيلسوف ألماني 1804م نبذ مثالية هيجل واعتنق المادية الطبيعية، وأكد أن الشعور الديني يتولد عن أماني الإنسان، وأن الفلسفة الصحيحة هي الإنسان نفسه.

نحو السعادة"، بينما حصر "هنري برغسون "[20] (احمد، 1972م. ص197) مفهوم الدين في كونه: "نوعاً من رد الفعل، أو الهجوم المعاكس، تقوم به الطبيعة ضد ما قد يأتي عن استعمال العقل من انحطاط في الفرد وتفكك في المجتمع". (دراز، 1990م. ص34).

أما ريفيل فإن الدين عنده ينحصر في: " توجيه الإنسان سلوكه وفقاً لشعوره بصلة بين روحه وبين روح خفية يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر العالم ويطيب له أن يشعر باتصاله بها". (أحمد، 1972م. ص 35).

ويقول دور كايم[21]: "الدين مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة"، ويقول شلاير: "قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة". (دراز، 1990م. ص34 وما بعدها).

ونلاحظ من هذه التعريفات أموراً منها:

أولاً: أن هذه التعريفات غير جامعة وغير كافية للدين وجوانبه الروحية والمعرفية والاجتماعية، فتعريف "كانت"[22] للدين يعكس الرؤية الكانتية الأخلاقية للجوانب الأخلاقية، بينما تعريف سبنسر وميلر يقتربان من الرؤية الصوفية للدين التي تشير إلى أن الدين حب الله، كما نلاحظ إغفالاً تاماً للجانب النظري أو العقدي للدين في

---

[20]) فيلسوف فرنسي 1859م يرى العالم في اتجاهين متعارضين هي الحياة والمادة، فالحياة نشاط خلاق، أما المادة فجامدة يدركها الأنسان بالعقل، نال جائزة نوبل للآداب 1927م.

[21]) عالم اجتماع فرنسي 1858م، تأثر بفلسفة كانت الوضعية عزا للعقل المشترك للمجتمع أصل الدين والأخلاق، من أهم كتبه "الأشكال الأولية للحياة الدينية". (أحمد، 1972م. ص 457).

[22]) فيلسوف ألماني 1724م من أعظم رواد عصر التنوير نبذ مذهب الشك لأنها جعلت المعرفة الإنسانية معتمدة على الحس وحده، ويرى أن البحث في الله ينتهي إلى أنه موجود وغير موجود معا، فالعلم لديه مجاله الظواهر، من أهم مؤلفاته "نقد العقل الخالص ". (أحمد، 1972م. ص 788).

تعريف ريفيل الذي ركز على الجانب السلوكي أو العملي الشرعي.[23]

ثانياً: أنها أفرغت الدين من مضامينه الأساسية، وحلت محلها مفاهيم تمثل نظرة إيديولوجية قاصرة وجوانب أساسية في الدين مع وجود ملاحظات على تعريف علماء الغرب للدين، إلا أن المدارس الغربية كما لخص أنيس مالك طه في كتابه "التعددية الدينية رؤية إسلامية" أفرزت لنا مناهج متضامنة للتوصل إلى تعريف الدين من حيث إنه نظام "institution"، [24]ومن حيث إنه وظيفة "function" ومن حيث كونه جوهر "substance" فالعلماء في مجال الدين على أنه نظام تاريخي،... أي أنه منهج حياة منظم متميز عن غيره من المناهج الأخرى، فمثلاً من الطبيعي أن نميز بسهولة بين البوذية والإسلام في ضوء تاريخهما المختلف ومنهجهما الخاص في العقيدة والعبادة والشريعة والأخلاق، وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا يعرفونه من حيث وظيفته الاجتماعية، أي أنه منهج حياة يربط الناس في وحدات أو مجموعات اجتماعية: أما علماء اللاهوت وتاريخ الأديان فيعرفونه بجوهره الأساس ـ يعني الشيء المقدس" the sacred". (طه، 2005م. ص5).

---

[23]) لعل الصعوبة في تحديد مفهوم الدين في هذه التعريفات تعود إل اختلاف الأديان ذاتها إذ ليس هي وحدة مضموناً ولا محتوى.

[24]) تدل كلمة النظام في اللغة على التأليف والجمع والترتيب والتنسيق. يقال نظم اللؤلؤ، ينظمه، ونظمه نظاماً ونظماً ونظمه، بمعنى: ألفه وجمعه في سلك واحد فانتظم وتنظم. ويطلق على الأمور المحسوسة، كما يطلق على الأمور المعنوية، مثل قولنا: "نظم المعاني"، أي رتبها وجعلها متناسقة العلاقة، أو متناسبة الدلالات وفق ما يقتضيه العقل، أما من حيث الاصطلاح، فإنها: مجموعة المبادئ والتشريعات، والأعراف، وغير ذلك من الأمور التي تقوم عليها حياة الفرد، وحياة المجتمع، وحياة الدولة ، وبها تنظم أمورها. وقد يطلق على النظام ويراد به معنى عاماً فيكون: أحد مفاهيم العقل الأساسية، ويشمل الترتيب المكاني، والترتيب العددي، والسلاسل، والعلل، والقوانين، والغايات، والأجناس، والأنواع، والأحوال الاجتماعية، والقيم الأخلاقية والجماعية "www.wikipedia.org".

رابعاً: ظاهرة التدين عند علماء مقارنة الأديان:

من يدرس ظاهرة التدين ويقف عند مفهومها وعلاقتها بالطبع الإنساني يجد من المعلوم أنها ظاهرة قديمة ومن الغرائز الطبيعية للإنسان السوي نظراً للتكامل بين حاجات الروح والجسد وما العقيدة والدين إلا حاجة سيكولوجية وقوة غريزية للإنسان، لذا فالإنسان يجد نفسه أمام طرفين، الأول ما يتعلق بسبب التدين؟ والثاني بفطرة التدين؟

أما سبب التدين لدى الإنسان؟ انقسم العلماء حيال هذا السؤال إلى قسمين:

القسم الأول: منهم يرى أن سبب تدين الإنسان يعود إلى عوامل خارجية (ثقافية واجتماعية) ، ومن هؤلاء: المدارس الطبيعية، والإحيائية، والنفسية، والاجتماعية، وغيرها، فالمدارس الطبيعية قالوا إن التدين وجد لدى الإنسان بسبب إحساسه بروعة هذا الكون المجهول وجلاله، فاختار الإنسان الأصنام والأوثان من الكون لعبادته وللتقرب إليه ما رآه أنفع له. (السمالوطي، 1981م. ص64).

وقالوا إن شعور الإنسان بالضعف والحاجة إلى قوة تحميه هو الذي دفعه إلى الاعتقاد بوجود الخضوع لتلك القوة وباحترامها وهيبتها، وقد تمثلت هذه القوة تارة في الشمس، وتارة في الكواكب، وتارة في بعض الحيوانات، وتارة في الأوثان والأصنام، وتارة في غير ذلك من المخلوقات، ومن الذين ذهبوا إلى هذا القول ماكسميلر في دراسته لـ: علم الأساطير المقارنة "Comparative Mythology" [25].

واعتمد في ذلك على عدة عوامل: (انظر لمزيد من التفصيل: السمالوطي، 1981م. ص64 وما بعدها)

أ. العامل المنطقي الذي يتمثل في المبدأ التجريبي الذي يدعي أصحابه أن التجربة الحسية هي التي تخط مختلف الخيرات على العقل الذي يرونه بأنه صفحة بيضاء حيث لا شيء في العقل ما لم يكن سبق أن وقع في الخبرة

---

[25]) Jon R. Stone(ed) The essential Max Muller: on language, mythology And religion, (New (York: Mac Millan, 2002

الحسية للإنسان.

ب. العامل النفسي الذي يتمثل في شعور الإنسان بالرهبة، والدهشة، والعجز إزاء مختلف الظواهر الطبيعية التي تحيط به، ذلك الشعور الذي يتولد عن تأمل الطبيعة، ويؤدي إلى الإحساس بأنه محاط بقوة خفية لها استقلالها وقادرة على التأثير في الطبيعة وفي الإنسان، ولا يستطيع الإنسان إزاءها دفعاً أو قهراً أو منعاً.

ج. العامل اللغوي، حيث استعان (ميلر) بدراساته اللغوية وبتخصصه العميق في فقه اللغة المقارن مطبقاً منهج اللغة المقارنة في دراسته نصوص الكتب المقدسة الفيدا، وهي كتب الديانة البراهمية، وقادته هذه الدراسة إلى الكشف عن مضامين أغلب أسماء الآلهة في تلك الديانات، حيث تعبر عن أسماء لظواهر طبيعية كالنار والسماء.

وكشفت الدراسات المقارنة "لميلر" [26] (أحمد، 1972.ص971) عن وجود تقارب بين هذا اللفظ الذي يدل على النار في اللغات الهندية الأوروبية ففي اللغة اللاتينية يوجد اللفظ نفسة تحت اسم أقنيس، وفي اللتوانية تحت اسم أوقنيس، وتوصل ميلر في تحليلاته إلى استنتاج مفاده أن هذا اللفظ البدائي كان عاماً قبل تفرع اللغات وانقسامها، وأنه كان يعبر عن المقدس أو عن تقديس إحدى القوى الطبيعية الكبرى، وقد حاول ميلر تأييد رأيه من واقع التجربة التي مارسها الإنسان في البداية يقدس عدة آلهة غير أنه ما لبث أن أدرك عظمة إله واحد من بينهما استأثرت بالعبادة دون سواه. [27]، وعلى كل تتلخص آراء علماء المدرسة الطبيعية للدين ونشأته في أن النظرة إلى الأفلاك وعجائب الطبيعة تنتقل بالبدائيين من تأمل قواها الطبيعية إلى تصور بروحية تتسم بالإدراك والقوة والتأثير. وبدون هذا الانتقال من النظرة إلى الأفلاك وعجائب الطبيعة إلى تصور قوة روحية ذات عقل وإدراك، لما ظهر الدين أو الشعور

---

[26]) كاتب مسرحي أمريكي 1915م، وفيلسوف هاجم الحركة العنصرية المعادية لليهود، من أشهر مسرحياته "البوتقة".

[27]) Tylor, Edward. Primitive culture, (Now York: J.P. Putnam,s Sons, 1920

الديني لدى البدائيين، في رأي المدارس الطبيعية للدين ونشأته.

والمدرسة الثانية هي المدرسة الإحيائية التي يقودها الأنثروبلوجي البريطاني " تايلور" [28] (أحمد، 1972.ص 266) صاحب الدراسة الشهيرة الحضارة البدائية[29]، وعالم الاجتماعات البريطانية "هربرت سبنسر" صاحب مدونة: مبادئ علم الاجتماع، اللذين ذهبا إلى أن نشأة الظاهرة الدينية والإيمان بالأرواح الفعالة وتأليهها ترجع إلى تجارب مباشرة وواقعية في حياة الإنسان البدائي، ويرى تايلور أن فكرة الروح هي الأساس في نزعة التدين، وأن الإنسان منذ أن رأى أرواح الموتى تأتيه في المنام اعتقد أن لها وجوداً غير هذا الوجود الدنيوي، ثم انتقل إلى أن الأفلاك والعناصر المادية الأخرى لها أرواح كذلك. ويذهب تايلور إلى أن أقدم الديانات هي عبادة أرواح الأسلاف والاعتقاد في النفس الإنسانية، حيث إن الإنسان البدائي عاش في تناقض لكونه يعيش حياة في يقظته وأخرى في نومه من أحلام حقائق واقعية، وهكذا خرج البدائي على حد تعبير تايلور من تجربة الأحلام إلى أن الإنسان مكون من عنصرين، هما: الجسد المادي المشاهد والمعروف، والنفس وهو كائن غير مشاهد، وظن البدائي أن الروح كائن مستقبل بعد الموت من عالم الشهادة إلى عالم الغيب (Tylor. P34)، وجملة ما قدمته المدرسة الإحيائية عن تفسير نشأة الدين، هو أن الإنسان البدائي تصور أمرين:

أ. أن هناك كائنات روحية عديدة وعاقلة لا يمكن إدراكها بالحس أو الاتصال المباشر بها، سواء أكان مصدرها هو نفوس إنسانية تحولت أرواحاً من خلال الموت أم أرواحاً مستقلة منذ البداية كالجن، والملائكة، أم أرواحاً أسمى.

ب. هذه الكائنات الروحية الغيبية ذات قدرة خارقة على الاتصال بعالم الإنسان - الفردي والجماعي - والتأثير فيه خيراً أو شراً. (السمالوطي، 1981م. ص 73).

---

[28]) انثربولوجي وفيلسوف انجليزي 1832م اهتم بتحديد مجال علوم الإنسان وتطوير الاهتمام بها، من أشهر كتبه "الإنثربولوجيا".

[29]) Herbert Spencer. The principles of sociology,(New Brunswick, NJ: Transaction publishers,200

ج. ولقد وجهت إلى المدرسة الإحيائية وتفسيرها للدين أسئلة عدة، أهمها: كيف حدث أن توصل الإنسان البدائي إلى فكرة التنفس "لدى الشعوب البدائية الأولى"؟ وكيف انتقلت فكرة الروح إلى المظاهر الطبيعية التي عبدها الإنسان في مرحلة تالية بعد عبادة الروح "أرواح الأسلاف وغيرها"، ولماذا عبد الإنسان هذه الأرواح؟ وإلى جانب هاتين المدرستين الإحيائية والطبيعية، نجد مدارس أخرى في الغرب حاولت تفسير نشأة التدين لدى الإنسان، مثل المدارس النفسية التي قدمت تفسر لنشأة الدين، حيث إن الإنسان في رأيهم ليس بحاجة لأن يعمل فكرة ونظرة في الطبيعة أو أن يلجأ إلى الخوض في عالم الأرواح وأسرارها، ذلك لأن تجارب الأفراد النفسية في ظروفه اليومية العادية كافية لجعله يدرك القوة العليا المسيطرة ويتجه لها بالعبادة، وأكد أنصار هذه المدرسة أمثال أوجست ساباتيه، في مقال فلسفة. الأديان "Essay on the philosophy of Religion"، أن نشأة التدين لدى الإنسان تعود إلى شعور الإنسان بالتناقض بين القوتين اللتين تتألف منهما أبسط مظاهر الحياة النفسية، وهما: الحساسية (من خارج إلى الداخل)، والإرادة "من الداخل إلى الخارج"، وهذه التناقضات أو الشعور بالتناقضات والأزمة التي يعيشها الإنسان في داخله والتي هي منبع التدين لدى الإنسان، وعليه فإن الدين في نظر علماء النفس حالة نفسية بحتة لا أقل ولا أكثر.

ولعل المنهج التاريخي (علم دراسة الأديان) ليس كاملاً ولابد من إكماله بالأبحاث النفسية، ومساويين بين الدين والحالات النفسية للإنسان(Tylor. P34)، وإلى جانب المدرسة النفسية لتفسير نشأة الدين لدى الإنسان، لذا نجد المدرسة الاجتماعية التي يقودها دور كايم، وغيره والتي حاولت أن تقدم تفسيراً معيناً لمفهوم الدين ونشأته. كما رفض أنصار المدرسة الاجتماعية التفسيرات الغيبية والنفسية والطبيعية لنشأة الدين، حيث أعادوا نشأة الدين إلى الحياة الاجتماعية، وعلماء الاجتماع الديني ذهبوا إلى القول بأن الدين هو ظاهرة اجتماعية في المقام الأول،

فالمجتمع من وجهة نظرهم عندما يتعرض لبعض الأزمات فإنه يحاول الخروج منها مبتكراً لذلك كثيراً من الحلول، وعندما تنجح طريقة معينة للخروج من الأزمات فإن المجتمع يقدس هذه الطريقة وتقدسها الأجيال المتعاقبة بعد ذلك، وفيما يتعلق بحقيقة الدين، فإنهم قالوا إن الدين حقيقة لكنها حقيقة اجتماعية، بدليل أنها لا تصدر إلا عن التفكير الجمعي الذي لا يتحقق إلا داخل المجتمع الذي يستمد منه كليته وضرورته لذلك كان الشعور الديني في ذاته شعوراً جمعياً على اعتبار أن الشعور الديني يصدر عن المجتمع (العقل أو الضمير الجمعي)، وليس عن الشعور الفردي. (السمالوطي، 1981م. ص 85).

وعلى كل تتلخص آراء المدارس الطبيعية، والإحيائية، والنفسية، والاجتماعية تجاه الدين ونشأته في أن التدين _ في رؤيتهم _ مكتسب حيث إن الإنسان اكتسبه من خلال تجاربه اليومية، بسبب عوارض المعيشة الاجتماعية ومؤثرات الطبيعة والبيئة الثقافية، ومن ثم فإن العقيدة عندهم ليست غريزة فطرية فطر عليها الإنسان، بل إنها ظاهرة مكتسبة، ومن ثم فإنها وليدة البيئة وظروف الحياة في نظرهم.

أما الطرف الثاني للموضوع والمتعلق بفطرية التدين:

فهناك مدارس أخرى تذهب إلى فطرية التدين لدى الإنسان، حيث إن الإنسان يولد ومعه عقيدته النقية من كل سوء، أي الإيمان بإله واحد بيده كل شيء[30]، ومن ثم فإن العقيدة في نظرهم فطرية مركوزة في أعماق النفس البشرية، كغيرها من الغرائز البشرية، ويرى أصحاب هذا الرأي أن التدين قديم قدم الإنسان ذاته، وبغض النظر عما هو أول دين عرفه الإنسان وتدين به، فإنه لم توجد جماعة في التاريخ الإنساني بكل مراحله خلت من دين. يقول العقاد في كتابه الله: " ففي الطبع الإنساني جوع كما يجوع الجسد، وإن طلب الروح لطعامها كطلب الجسد لطعامه". (العقاد،

---

[30]) وهذا بالفعل ما عبر عنه القران الكريم والسنة النبوية، حيث بينا أن الناس جميعاً خلقهم ربهم على غزيرة فطرية دينية سليمة مثل غيرها من الغرائز البشرية وعلى العقيدة الصحيحة.

1960م. ص14).

فالدين في رأي مدارس فطرية الدين ليس وليد الخوف أو العوامل البيئية، بل غريزة أصلية نزعة فطرية عالمية خالدة للإنسان، ويؤكد "برجسون" هذا المعنى فيقول: "لقد وجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة". (العقاد، 1960م. ص11).

وعلى رأي أصحاب هذا الرأي، ومنهم علماء الإسلام عامة:

أ. لم يكن التدين وليد الخوف من الطبيعة أو الرغبة فيما تأتي به من خير، لأن ظاهرة التدين استمرت حتى بعد ما استطاع الإنسان فض أسرار الطبيعة وعرف طريقة التحكم في الظواهر الطبيعية واستغلالها لخيره.

ب. إن معنى أن يكون الخوف من الطبيعة والأمل في خيرها هو أساس التدين، معناه أن يكون أكثر الناس خوفاً هم أكثرهم تديناً وليس التدين ملازماً للضعف.

ج. إن طبيعة الإنسان لا يمكن أن تكون هي المادة وحدها، ففي الإنسان قوى روحية وعواطف، وأنه لذلك ذو مطالب مادية تتمثل في الحاجة الأساسية، لاستمرار الحياة، مثل: الأكل، والشرب، ومطالب روحية لكي تستمر هذه الحياة متوازية، وبدون إرضاء هذه المطالب الروحية وإشباعها فإن الإنسان يظل قلق النفس متوتراً.

وبعد تأكيدنا على الرأي القائل بأصالة النزعة الدينية وفطرتها، وكونها تعد جزءاً من تركيبة الإنسان الفطرية، بناء على الآيات القرآنية كما في قوله تعالى: **(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)** الأعراف:172، وفي قوله تعالى: **(فَأَقِمْ وجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِك الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** الروم: 30.

نأتي إلى السؤال المتعلق بالأشكال الأولى للظاهرة الدينية، خاصة فيما يتعلق بتوحيديتها ووثنيتها. (طنطاوي، 1998م. ص20) و (بيصار، 1973م. ص21).

فالآية تشير إلى أن هدي الله تعالى جاء للناس جميعاً وهو الأصل، بل إن القران الكريم يقرر بأن العقيدة التوحيدية مركوزة في طبائع الناس منذ خلقهم الله تعالى، كما هو واضح في سورة الروم: **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)** الروم:30، وقوله صلى الله عليه وسلم: "**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**". (البخاري، 1407هـ=1987م. حديث رقم: 1385).

وعلى كل لا مفر من القول بأن الأصل في الحياة العقدية للإنسان كان التوحيد ومصدرها كان الوحي الإلهي، الذي أتى بالمبادئ والتعاليم الدينية، سواء أكان الجانب الاعتقادي ّ، أم التشريعي، أم الاختلاف الأخلاقي منذ أن خلق الله آدم عليه السلام.

والمتابع لنسق آيات القرآن الكريم ومنهجه التكاملي القائم على العدل والمسامحة يجد ضوابط التّعلم وأسس التّعايش مع كافة الأديان وأهلها، وهي من أهم الغايات في دراسة علم مقارنة الأديان سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالتّعايش مع الآخر على مستوى الاجتماعيّ من تزاوج وتجارة، أم على المستوى المعرفيّ من حوار ثقافيّ وفكريّ، والقرآن الكريم مليء بالمصطلحات والمفاهيم التي تحمل في طياتها معانٍ تتعلق بالفكر الديني، وسلوكيات الدينّية وتعاليمهم والمعرفّية، مثل: الكتاب، والصحف، والإيمان، والعبادات، والشرائع، والمناهج والمناسك، وخلاصة القول أن هذه المفاهيم التي أوردها القرآن الكريم حول الفكر الدينيّ وسلوك المجتمعات الثقافية، تحمل في طياتها مفاهيم أساسيّة ومداخل أوليّة لعلم مقارنة الأديان وأهمها وجود التّنوع الثقافّي بين المجتمعات البشريّة من حيث السلوك الفكريّ، ومن حيث النّمط الاجتماعيّ منذ العصور الأولى لحياة البشر؛ حيث وصف القرآن بعضاً من هذه السلوكيّات الاجتماعيّة بـ: "ملّة"، وبعضها "دين"، وبعضها الآخر وصفها بـ: "أمة"، مع الإشارة إلى وجود فروق جوهريّة ولا شك أن هذه المفاهيم وغيرها، كانت الدّافع الأساس لدراسة الأديان في الحضارة الإسلاميّة في عصرها الذهبيّ.

الخاتمة:

يتفق الدارسون في علوم الأديان على أن الدراسات والبحوث المتعلقة في مقارنة الأديان لها ثماراً كبيرة ليس فقط على الفكر الديني ومعرفة معتقدات الأديان بل لها أهميتها للفكر المعرفي الإنساني لما يحققه في إيجاد لغة من التفاهم المشترك لما يحققه ذلك من تعايش سلمي وتنمية وطنية وإنسانية ووعي مشترك، فعلى الرغم من الإقرار بصعوبة تحديد مفهوم موحد لعلم مقارنة الأديان واتجاهاته، ثم صعوبة صياغة منهج يرضي الجميع، إلا أن هناك قبولاً يقارب حد الإجماع بين علماء الأديان حول أهمية الدرس المقارن وقيمته المعرفية، مع وجود التباين في مقارباتهم لدراسة الدين من حيث المفهوم والغاية، ومن حيث الطرق ووسائل الدراسة، فمن حيث المفهوم والغاية، ذهب بعضهم إلى أن هذا العلم هو تلك العملية الدراسية التي تتوقف عند "وصف الظاهرة الدينية وتحليلها"، دون إصدار أحكام معيارية حول صحتها أو بطلانها، وفي المقابل رأى آخرون ضرورة العنصر المعياري في الدرس المقارن للدين، لذا يرى الباحث أن الوقوف ومعرفة ودراسة المفاهيم والتصورات والاتجاهات في دراسة الأديان ومقارنتها ومعرفة أيديولوجياتها الفكرية يشكل أفقاً واسعاً اهتم به منهج القرآن الكريم خاصة إذا عرفنا تأكيد القرآن لوحدة الفكري الدينيّ والوحدة الرساليّة للهدي الربانّي من عهد آدم (عليه السلام)، يوحي بضرورة الفحص عن مواضيع التّشابه والتّمايز بين الموروثات الدينيّة، من أجل الاهتداء إلى أماكن الزّيغ والضّلال، ومعرفة هذه التّحريفات التي طالتها عبر العصور وغيرت مسارها الفكري والعقيدة، والتي في المقابل تخرج النفس العام المتسم بالغلو والتطرف وإقصاء الآخر، وتؤسس قانون التسامح حتى مع المحاربين والأعداء والمخالفين في الدين من المعتدين فضلا عن غيرهم من المسلمين المخالفين في فرع أو جزئية من الدين، خاصة أن فئات من أتباع الدين في واقعنا المعاصر يشوهون معالمه الراقية، حتى أصبح مصطلح التدين ذو حساسية والتي في الغالب يتسم بنزعة التغيرات المنغلقة للدين والتي تتسم بنزعات الانفتاح في فهم التصورات الدينية والتي لم تفرق بين الدين الموحى إليه وبين الفكر الديني الذي من طبيعته التعددية الثقافية، والتي تحمل في طياتها الاختلاف، والتي أظهرت على الساحة

العالمية المعاصرة التفسيرات المذهبية المتعاندة التي شوهت الصورة العالمية للدين القائم على النظام الأخلاقي.

أهم النتائج:

- أن دراسة الأديان والتعرف على أسرار الدراسات المقارنة بين الأديان من منظورها الإسلامي تعدُّ جهداً دعوياً وحضارياً في آن واحدٍ، يُـمكِّن صاحبه من تجاوز مواقف النزاع خاصة في ثورة المعلومات والاتّصالات، كما يؤصل منهجه التكاملي القائم على العدل والمسامحة ضوابط التّعلم وأسس التّعايش مع كافة الأديان وأهلها.
- إن الدعوة إلى الحوار الدينّي في العصر الحديث مع أصحاب المعتقدات الأخرى، هي – في رأي الباحث مسؤولية دعويّة ملقاة على عاتقنا نحن المسلمين لتقديم الموقف القرآنيّ لغير المسلمين من خلال الحوار.
- أن الوقوف ومعرفة ودراسة المفاهيم والتصورات والاتجاهات في دراسة الأديان ومقارنتها ومعرفة أيديولوجياتها الفكرية يشكل أفقاً واسعاً للمسلم خاصة الذي هو معني بالحوار والدعوة للأديان الأخرى.
- _ أن دراسة مفهوم وطبيعة الأديان بالمنهج المقارن _ الإسلامي _ تساعد على تجاوز النزاع إلى التعايش والحوار، وأن الولوج إلى هذا المعترك واجب شرعي وحضاري على المسلمين، وأن هذا العلم من شأنه أن يجعل للمسلم أفقاً واسعاً في الدعوة وفي الحوار بين الأديان والحضارات.

التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة يمكن تقديم أهم التوصيات فيما يلي:

- تفعيل دور ورش العمل لتأهيل المثقف المسلم وتربيته على أهميّة الدّرس المقارن للدّين، من خلال إدراج مفاهيم علم الدّين المقارن في المراحل التّعليمية كافّة؛ من مدارس وجامعات، من أجل الإعداد المعرفيّ للأجيال في هذا المجال ذي الأهمية الدينيّة والمعرفيّة.
- دعم الجامعات والمؤسسات ومراكز الأبحاث لموضوع علم مقارنة الأديان

وتشجيع الباحثين على الإعداد المعرفي له، وتفعيل دور المؤتمرات لذات الغرض.

- التوعية بضرورة بث مبدأ التسامح واستيعاب الآخر وقبوله، وإيجاد الطرق للتواصل المثمر معه.

المراجع والمصادر:

1. ابن الحسن، ع.، 1992م. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة. ط1، الرياض: مكتبة الرشيد.
2. ابن عاشور، م.، 1876م. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. (د.ط)، تونس: الشركة التونسية للتوزيع.
3. ابن منظور، م.، 1990م. لسان العرب. ط1، بيروت، لبنان: دار صادر.
4. أحمد، ف.، 1972م. الموسوعة الثقافية. (د.ط)، القاهرة: مؤسسة فرانكلين.
5. إسماعيل، ز.، 1989م. في الدين والمجتمع. (د.ط)، الإسكندرية: دار المطبوعات الجديدة.
6. البخاري، م.، تحقيق: البغا، م.، 1407هـ=1987م. الجامع الصحيح المختصر. ط3، اليمامة، بيروت، لبنان: دار ابن كثير.
7. البيروني، م.، 1983م. تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة. ط2، بيروت، لبنان: عالم الكتب.
8. بيصار، م.، 1973م. العقيدة والأخلاق وأثرهما في حياة الفرد والمجتمع. (د.ط)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
9. الجرجاني، ع.، تحقيق: الأبياري، إ.، 2002م. التعريفات. بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.
10. دراز، م.، 1990م. الدين، بحوث ممهدة لدراسة الأديان. بيروت، لبنان: دار القلم للنشر والتوزيع.
11. رضا، م.، 1990م. تفسير المنار. بيروت، لبنان: دار المعرفة.
12. السمالوطي، ن.، 1981م. الدين والبناء الاجتماعي، جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة.

13.شالي، ف.، ترجمة عن الفرنسية: الجمالي، ح.، 1991م. موجز تاريخ الأديان. ط1، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

14.شلبي، أ.، 1988م. مقارنة الأديان: اليهودية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

15.صليبا، ج.، 1982م. المعجم الفلسفي، بيروت، لبنان: دار الكتاب اللبنانية.

16.طنطاوي، م.، 1998م. العقيدة والأخلاق، القاهرة: دار الكتب.

17.طه، أ.، 2005م. التعددية الدينية: رؤية إسلامية. ط1، كوالالمبور: مركز البحوث، الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا.

18.العامري، م.، تحقيق ودراسة: غراب، أ.، 1967م. الإعلام بمناقب الإسلام، بدون بلد النشر: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

19.عبدالحميد، ع.، 2005م. النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها. ط2، كوالالمبور: دار التجديد للطباعة والنشر والترجمة.

20.العقاد، ع.، 1960م. الله: كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، القاهرة: دار المعارف.

21.الفيروزاَبادي، م. 1987م. القاموس المحيط، بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.

22.القرطبي، م.، 1967م. الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكاتب العربي.

23.المحلي، م.، و السيوطي، ع.، د.ت. تفسير الجلالين. ط1، القاهرة: دار الحديث.

24.المهدي، ع.، 1993م. مقدمة في علم مقارنة الأديان، القاهرة: دار الحديث.

25.Eric J. Sharpe. Comparative religion: A history, (London: Duckworth).1975.

26.Islam and other faiths. Edited by AtaullahSiddiqui, (Leicester: The Islamic Foundarion).1998., Trilogue of Abrahamic Fiths,ilRajj al- Faruqi,

27.Louis Henry Jordan. Comparativc rcligion: Its gencsis and growth,(Atlanta: Scholars Press) ,.1905.

Encyclopaedia of Britannica,
28. Jon R. Stone(ed) The essential Max Muller: on language, mythology And religion, (New York: Mac Millan,.2002.
29. J. Milton Cowan (ed.). A dictionary of modern written Arabic,(London: Macdonald and Evans LTD.1960. P760.
30. Tylor, Edward. Primitive culture, (Now York: J.P. Putnam,s Sons,.1920.
31. Herbert Spencer. The principles of sociology,(New Brunswick, NJ: Transaction publishers,200
32. Herndon, VA.: International Institute of Islamic Thought,.1991.

دور المتغيرات التنظيمية في تقييم أداء أعضاء الهيئة التدريسية دراسة ميدانية على أعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الآداب والعلوم والتكنولوجيا في لبنان

د. عاطف محمود عوض
جامعة أبو ظبي
الإمارات العربية المتحدة

مقدمة

تواجه المؤسسات المعاصرة العديد من المتغيرات البيئية المعقدة منها متغيرات البيئة الداخلية ومتغيرات البيئة الخارجية، تتمثل متغيرات البيئة الداخلية بالبنية التنظيمية وإجراءات وطبيعة العمل وما يتضمنه من صلاحيات ومسؤوليات، ونمط القيادة والاتصالات الإدارية التي تؤدي دورا مهما في انسيابية الأداء بين الأجزاء المختلفة للمؤسسة، كما أن أنظمة الحوافز واستراتيجيات التدريب التي تعتمدها المؤسسة تلعب دورا مهما في تطوير الأداء الوظيفي والمؤسسي.

ومن بين أهم متغيرات البيئة الداخلية الأفراد العاملين (بمختلف مواقعهم الوظيفية) الذين يشكلون العمود الفقري لثقافة المنظمة واتجاهاتها التطويرية، إذ إن خصائص وسمات وقدرات هذا المورد البشري في أية مؤسسة توثر وتتأثر في الوقت ذاته بالمتغيرات البيئية آنفة الذكر، وينجم عن عمليتي التأثير والتأثر تلك مستوى جودة حياة العمل وفق ما يدركه ويتصوره الأفراد العاملين.

أولاً: مشكلة البحث

من المعلوم أن المنظمات تتفاوت في درجات أدائها وصولاً للتميز حتى تصبح منظمات متميزة في أدائها. وبناء على ذلك فإن الدراسة الحالية ترمي إلى معالجة مشكلة ذات بعدين الأول نظري والآخر تطبيقي. حيث تمثلت ملامح المشكلة بالتساؤل الآتي هل هنالك علاقة ارتباط بين المتغيرات التنظيمية وعملية تقييم أعضاء الهيئة

التدريسية. ومن أجل الوقوف على ملامح مشكلة الدراسة الحالية بشكل منهجي منتظم، فقد فضل الباحث صياغتها على شكل أسئلة كالآتي:

- ما واقع المتغيرات التنظيمية في الكليات المبحوثة ؟
- ما واقع عملية تقييم أداء أعضاء الهيئة التدريسية في الكليات المبحوثة ؟
- ما هي علاقات الارتباط بين المتغيرات التنظيمية وتقييم أداء أعضاء الهيئة التدريسية ؟

ثانياً: أهمية البحث

تبرز أهمية البحث بالآتي:

- إثراء الجانب النظري في كل من موضوعي المتغيرات التنظيمية وتقييم الأداء.
- تفسح المجال أمام الباحثين للخوض في آفاق أخرى لم تركز عليها الدراسة الحالية.
- الأهمية التي تحتلها الجامعة كونها تشكل عنصراً أساسياً من عناصر نهضة المجتمع وتقدمه، وعاملاً من عوامل الرقي لما تقوم به من دور فعال ومؤثر في تطور الحياة الثقافية الشاملة للمجتمع والدولة بأبعادها المختلفة سواءً العلمية أوالأدبية أوالفكرية أوالتكنولوجية.

ثالثاً: أهداف البحث

- التعرف على طبيعة المتغيرات التنظيمية في الكليات المبحوثة.
- التعرف على طبيعة تقييم أعضاء الهيئة التدريسية في الكليات المبحوثة.
- تحديد طبيعة ومستوى علاقات الارتباط بين المتغيرات التنظيمية وتقييم أداء أعضاء الهيئة التدريسية.

رابعاً: مخطط البحث الفرضي

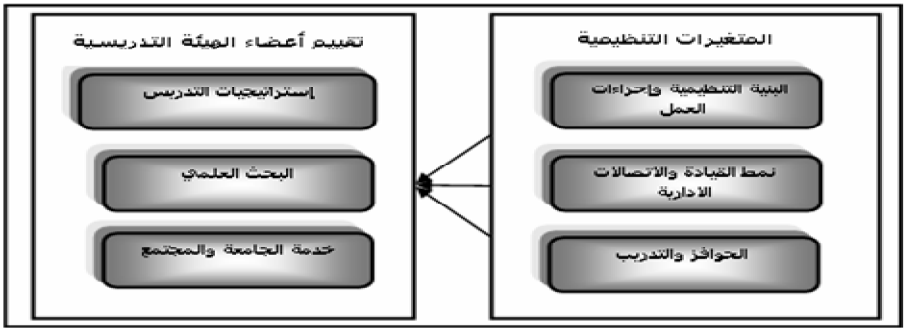

خامساً: الفرضية الرئيسة للبحث

(توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغيرات التنظيمية وعناصر تقييم أداء عضوهيئة التدريس)، وتتضمن هذه الفرضية ثلاث فرضيات فرعية كالآتي:

1. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التنظيمي "**البنية التنظيمية وإجراءات العمل**" وعناصر "**تقييم أداء عضوهيئة التدريس**" بصورة مجتمعة.
2. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التنظيمي "**نمط القيادة والاتصالات الإدارية**" وعناصر "**تقييم أداء عضوهيئة التدريس**" مجتمعة.
3. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المتغير التنظيمي "**الحوافز والتدريب**" وعناصر "**تقييم أداء عضوهيئة التدريس**" مجتمعة.

سادساً: مقاييس البحث

تم الاعتماد على الاستبانه كأداة لجمع البيانات فضلا" عن المقابلات الشخصية التي كانت تهدف إلى توضيح غاية البحث لعينة الدراسة وأهميته والتأكد من عدم وجود أي غموض أمام المستجيبين، وقد ضمت الاستبانة قسمين: القسم الأول فيه يتعلق بالمتغيرات التنظيمية وضمت (27) عبارة، وهذه الاستبانة هي أداة معدة مسبقا" ومختبره من قبل (بحر والعجلة، 1431هـ)[31] وفقا" لتصنيف Newstrom & Davis[32] وهذا المقياس اعتمد على مقياس (Likert) الخماسي وقد وزع هذا الجزء من الاستبانة على عمداء ورؤساء الأقسام للكليات، أما القسم الثاني من الاستبانه فقد تعلق بتقييم أعضاء الهيئة التدريسية وضم (15) فقرة وقد تم استخدام استبانة معدة من قبل العزاوي[33] وفقاً لمقايس (Houston Community College System, 2004) ضمت المتغيرين الأول والثالث أما المتغير الثاني فهومن إعداد الباحث وقد وزعت

---

[31] بحر والعجلة، 1431هـ، دراسة "**المتغيرات التنظيمية وعلاقتها بالأداء الابداعي للمديرين العاملين بمؤسسات القطاع العام**"، دراسة ميدانية على المديرين العاملين بوزارات قطاع غزة.

[32] Newstrom , J. & Davis , K., Organazitional Behavior ; Human Behavior at Work: team work NNTn Edition ,Von Hoffman Press , North America 1993, P 227.

[33] العزاوي، فراس رحيم 2007، "**دور نظام معلومات الموارد البشرية في تحقيق متطلبات تقويم أعضاء الهيئة التدريسية**"، رسالة ماجستير في ادارة الاعمال،كلية الادارة والاقتصاد،جامعة بغداد.

الإستبانة على جميع أفراد العينة في الكليات المبحوثة باستخدام مقياس (Likert) الخماسي.

سابعاً: الوسائل الإحصائية

لقد استخدم في هذه الدراسة عدد من الوسائل الإحصائية الخاصة بعرض النتائج واختبار الفرضيات وكالآتي:

المتوسط الحسابي البسيط، المتوسط الحسابي الموزون، الانحراف المعياري ومعامل الارتباط البسيط (Pearson).

الدراسات السابقة

1. الدراسات المتعلقة بالمتغيرات التنظيمية:

(أ) دراسة **الحقباني**[34] (1418هـ) بعنوان أثر المتغيرات التنظيمية على الإبداع الإداري في الأجهزة الحكومية بمدينة الرياض.) هدفت هذه الدراسة إلى معرفة تأثير المتغيرات التنظيمية: (نمط القيادة، التدريب، الحوافز، الأنظمة والإجراءات، الاتصالات والمعلومات.) وكان من أهم نتائجها:

1. انخفاض فاعلية أداء العاملين بالأجهزة الحكومية بمدينة الرياض بسبب تعقد السياسات و الإجراءات وصعوبة تداول المعلومات.
2. إن لنمط القيادة، والتدريب، الحوافز المعنوية، والأنظمة والإجراءات أثر على مستوى الأداء الوظيفي لدى الموظفين في الأجهزة الحكومية.
3. لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى(α =0.05) بين المتغيرات التنظيمية لدى عينة الدراسة ومستوى أداء العاملين فيها تعزى لتأثير الجنس. وقد أوصت الدراسة بما يلي:
1. العمل على تبسيط إجراءات العمل وتوفير.

---

[34] الحقباني، تركي، 1997م:" أثر المتغيرات التنظيمية على الإبداع الإداري: دراسة استطلاعية للموظفين العاملين في الأجهزة الحكومية بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية " رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية،الرياض.

2. ضرورة إشراك العاملين في اتخاذ القرارات التي تتخذها القيادات الإدارية وعلى وجه الخصوص تلك التي ترتبط بمهام العاملين.
3. تفعيل نظم الحوافز والتدريب المعمول بهما في الأجهزة الحكومية بمدينة الرياض.
4. (ب) دراسة **إيكفال** (1996 م) بعنوان: "المناخ المؤسسي للإبداع والابتكار " هدفت هذه الدراسة إلى تصميم أداة لقياس المناخ الإبداعي. وكان من أهم نتائج هذه الدراسة:

1. المناخ هو أهم هذه المتغيرات المؤسسية بالنسبة للابتكار والأداء الجيد.
2. النزعة الرسمية لها أثر مانع أو مثبط يجعلها تقلل من القدرة الابتكارية للمؤسسة.
3. هناك علاقة قوية جداً بين نمط القيادة والمناخ الإبداعي. وقد أوصت الدراسة بما يلي:

1. ضرورة العمل على توفير المناخ المؤسسي الذي يشجع على الابتكار والأداء الجيد.
2. تبني النظم اللا مركزية في القرارات مما يحث على استنهاض الطاقات الابتكارية لدى مجتمع الدراسة.
3. استخدام الديمقراطية ما أمكن في العمل الإداري[35].

2. **الدراسات المتعلقة بأداء أعضاء الهيئة التدريسية**:

(أ) دراسة **الخثيلة** (2000): وهدفها تحديد بعض المهارات التدريسية الفعلية التي يمارسها الأستاذ الجامعي والمثالية التي ينبغي أن يمارسها، وذلك من خلال وجهة نظر طالبات جامعة الملك سعود. وجاءت النتائج مؤكدة على أن الأستاذ الجامعي لا يصل في مستوى أدائه إلى درجة الكفاية المتوقعة منه ، ويرجع ذلك إلى حاجة الأساليب الأكاديمية إلى التطوير في كثيرٍ من المهارات التي تؤدي إلى تحسين العطاء الأكاديمي، وزيادة درجة التحصيل العلمي في سبيل رفع مستوى الأداء[36].

---

[35] - Ekvall, Goran. , 1996: "Organizational Climate For Creativity and Innovation". European Journal Of Work And Organizational Psychology, 5, PP, 105-123

[36] الخثيلة ، هند ماجد " المهارات التدريسية الفعلية والمثالية كما تراها الطالبة في جامعة الملك سعود" ، ***مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مكة المكرمة*** ، العدد (2) ، المجلد (12) (2000).

(ب)دراسة **الصائغ وآخرين** (1996)، وهدفت إلى تقويم العملية الأكاديمية بجامعة الملك سعود، والتعرف على أهم الصعوبات والمشكلات التي تواجه العملية الأكاديمية في مجالات التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع، في كافة التجهيزات اللازمة للتدريس الجيد، وأظهرت أهم نتائجها وجود قصور في طرق التدريس وأساليبه التي تشجع على الحوار والتفكير العلمي[37].

(ج) دراسة **سالم** 1417 هـ دراسة لاتجاهات أعضاء هيئة التدريس توصل فيها إلى أسباب العزوف عن البحث العلمي والتي تمثلت في كثرة الأعباء الأكاديمية والإشراف على الرسائل الجامعية[38].

(د) دراسة **المانع** 2002 م دراسة بعنوان البحث العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس الإناث في جامعة الملك سعود وقد توصلت الدراسة إلى انخفاض نسبة الناتج العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس الإناث وأن أكبر ما يحفز الأعضاء الإناث للبحث العلمي هو الرغبة في النمو العلمي ودعم المكانة العلمية في مجال التخصص كما حددت الدراسة بعض المعوقات للبحث العلمي الذي تمثل أغلبها في أنظمة الجامعة التي تضيق فرص البحث العلمي على الإناث[39].

(هـ)دراسة **السميري** 2002 م دراسة حول أثر حضور الندوات والمؤتمرات العلمية في تطوير آداء أعضاء هيئة التدريس[40].

(و) دراسة **فلمبان** 1999م معوقات تطوير الآداء التدريسى وطرق تحسين الكفاءة الإنتاجية للمعلم الجامعي[41].

---

[37] صائغ ، عبد الرحمن أحمد وآخرون ، تقويم العملية الأكاديمية بجامعة الملك سعود ، الرياض ، المملكة العربية السعودية (1996).

[38] سالم ، محمد سالم: واقع البحث العلمي في الجامعات، دراسة لاتجاهات أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 1417 هـ

[39] المانع، عزيزة عبد العزيز: البحث العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس الإناث في جامعة الملك سعود، ندوة تطوير المعلم الجامعي من 23 – 25 رجب 1420 هـ / 1999 م، الرياض، ص ص 9: 46.

[40] السميري، لطيفة صالح، أثر المؤتمرات التربوية لإعداد المعلم في نمو المعرفة المهنية لعضو هيئة التدريس في كلية التربية جامعة أم القرى في مكة المكرمة، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع عشر، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (1)، 2002 م، الرياض، ص ص 47: 95

3. **التعليق على الدراسات السابقة:** استعرض الباحث عدداً من الدراسات ذات الصلة بالدراسة الحالية، التي أوضحت أن المتغيرات التنظيمية والأداء الوظيفي يعتبران من الموضوعات التي نالت اهتمام الباحثين، وقد تبين:

1. أن بعض هذه الدراسات استهدفت التعرف على أحد المتغيرات التنظيمية مثل الحوافز كأحد المتغيرات التنظيمية، وموضوع الأداء الوظيفي، وموضوع الأداء الإبداعي وذلك سعياً إلى فهم عميق للمتغيرات التنظيمية، وأثرها على الأداء. ومن هذه الدراسات ما تناولت مجموعة من المتغيرات باعتبارها تمثل البيئة التنظيمية أو المناخ التنظيمي وعلاقته بالأداء الوظيفي. وبذلك استطاعت أن تسهم مجتمعة في بيان المتغيرات التنظيمية المؤثرة في الأداء الوظيفي.
2. أن هذه الدراسات تسهم جميعاً في دعم الاتجاه الداعي إلى ضرورة التطوير المؤسسي والموارد البشرية في المؤسسات العامة والخاصة على حد سواء وصولاً إلى الأداء الإبداعي.
3. تختلف الدراسات السابقة فيما بينها من حيث الأبعاد والمتغيرات التي تم التركيز عليها من جانب كل دراسة، مما يجعل الباب مفتوحاً لأي باحث لسد هذه الثغرة البحثية، والإسهام في إثراء الجانب المعرفي أو التطبيقي في موضوع المتغيرات التنظيمية وموضوع الأداء الوظيفي. كما أن ذلك التنوع أو الاختلاف يثري المعرفة في جوانب الموضوع، مما أتاح الفرصة للباحث في اختيار أكثر المتغيرات مناسبة لمشكلة الدراسة.
4. كان للدراسات السابقة فائدة كبيرة في مساعدة الباحث لتكوين تصور شامل لموضوع الدراسة الأمر الذي ساهم في صياغة مشكلة وفرضيات الدراسة.

---

[41] فلمبان، آمال برهان: معوقات تطوير الأداء للتدريس وطرق تحصيل الكفاءة الإنتاجية للمعلم الجامعي، ندوة تطوير المعلم الجامعي التي عقدت من 23 – 25 رجب 1420 هـ / 1999 م الرياض، ص ص 255 – 284.

الإطار النظري للبحث

أولاً: مفهوم المتغيرات التنظيمية

المتغيرات التنظيمية تمثل الوسيط بين الرضا عن العمل والأداء، فالمستوى المرتفع من الرضا يدل على وجود متغيرات تنظيمية إيجابية تتيح مستويات أداء مرتفعة. وبالحفاظ على المتغيرات التنظيمية الإيجابية تستطيع الإدارة تهيئة المناخ المناسب للأداء الإبداعي.

أولاً: المتغيرات التنظيمية التي تساهم في تقييم أداء أعضاء هيئة التدريس: إن المتغيرات التنظيمية متعددة الأبعاد والجوانب ولا يستطيع أي باحث أن يتناولها جميعاً في دراسة واحدة. لذلك سيتم دراسة أهم هذه المتغيرات من وجهة نظر الباحث:

1- البنية التنظيمية وإجراءات العمل: هوعبارة عن البناء أوالشكل الذي يُحدد التركيب الداخلي للعلاقات السائدة في المنظمة، فهويوضح التقسيمات أوالوحدات الرئيسة والفرعية التي تضطلع بمختلف الأعمال والأنشطة التي يتطلبه تحقيق أهداف المنظمة[42]. وهويوفر الإطار الذي يتحرك فيه الأفراد، ومن خلاله يتم التوحيد، أوالتفاعل بين الجهود والأنشطة المختلفة في المنظمة. وإجراءات العمل تمثل مجموعة السياسات والقواعد والأساليب والإجراءات التي تحكم أنشطة المؤسسة لتحقيق أهداف محددة. وتساهم إجراءات العمل في تنمية روح الإبداع لدى العاملين إذا ما اتسمت باليسر والبساطة والابتعاد عن الروتين والتعقيد والتشدد في تنفيذ أنظمة وقواعد العمل.

ولذا يرى الباحث أن البنية التنظيمية لأي مؤسسة لها تأثير كبير على تحقيق المؤسسة لأهدافها بكفاءة وفاعلية، فهي تعكس مدى تحديد الأدوار والمسئوليات بدقة للعاملين، وضمان عدم الازدواجية في المسئوليات، وكذلك طبيعة الاتصال بين العاملين والإدارة، وبين العاملين بعضهم البعض، وكذلك نوع العلاقات السائدة داخل المؤسسة.

---

[42] حمود، خضير كاظم، "**السلوك التنظيمي**"، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، 2002، ص 169.

4- نمط القيادة والاتصالات الإدارية: إن القيادة وأنماطها ذات أثر كبير في حركية الجماعة ونشاط المنظمة وفي خلق التفاعل الإنساني اللازم لتحقيق أهداف الفرد والمنظمة على حد سواء[43]. والاتصالات الإدارية تحافظ على تدفق وانسياب المعلومات داخل المنظمة وخارجها، وكلما كانت هناك أنظمة جيدة للاتصالات كلما زادت كفاءة العمل وأي قصور في نظام الاتصالات من شأنه أن يعطل أويؤخر سير الإدارات الأخرى. فقرارات المنظمة وأهدافها وتوجهاتها وخططها ترتبط بعملية الاتصالات[44]. والاتصال الجيد هوالاتصال باتجاهين لأنه يتيح للعاملين فرص إبداء الرأي والتعلّم والتطور[45]. وعلى العكس من ذلك الاتصال ذوالاتجاه الواحد (الهابط) الذي يحمل الأوامر والتعليمات من أعلى إلى أسفل ويؤدي بالفرد إلى عدم الاكتراث والخمول في التفكير باعتبار أن أفكاره وآراءه لا قيمة لها لدى الرؤساء[46].

لذا يرى الباحث أن النمط القيادي للمدير له دور في تحديد طبيعة المناخ التنظيمي، مما يجعل المناخ التنظيمي يتجه نحوالسلبية أوالايجابية تبعاً لطبيعة النمط القيادي عند المدير. ويرى أيضاً أنه من الضروري جداً وجود نظام اتصال فعال داخل الجامعة، وذلك من أجل التواصل البنّاء داخل الجامعة، بين العاملين والإدارة، وبين العاملين بعضهم البعض، وبين الدوائر والعمادات والكليات المختلفة، وأيضاً خارج الجامعة مع البيئة الخارجية، حيث أن الاتصال الفعال يتم من خلاله نقل وتبادل المعلومات والبيانات بسرعة وسهولة داخل الجامعة، ويتيح للعاملين إبداء آرائهم وطرح أفكارهم بحرية، الأمر الذي يُشعرهم بقيمتهم، مما ينعكس ذلك على أدائهم بشكل إيجابي.

---

[43] حمود، خضير كاظم، **"السلوك التنظيمي"**، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع، 2002، ص 170.

[44] المانع، محمد، 2006، **" تقنيات الاتصالات ودورها في تحسين الأداء"** رسالة ماجستير، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ص 18.

[45] المغربي، كامل محمد، **"السلوك التنظيمي: مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم"**، الطبعة الثانية، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع، 1995، ص 305.

[46] العميان، محمود سلمان، **"السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال"**، الطبعة الثانية، عمان: دار وائل للنشر، 2004، ص 308.

5- الحوافز والتدريب: تعتبر الحوافز إحدى الوسائل الهامة التي تهدف إلى حث الأفراد على العمل بكفاءة وفاعلية، وعلى تنمية وتعزيز الأداء الإبداعي في المنظمات، فالحوافز لها أثرها على تشجيع الموظفين على الإبداع والمبادأة والتجديد، وبذل مزيد من الجهد في الإنجاز وزيادة الطلاقة الفكرية والإنتاجية، وتعتبر الحوافز مقوماً رئيسياً في المنظمات المبدعة بل وركيزة أساسية لوجود الإبداع وتنميته[47]. كما يعد التدريب أداة التنمية ووسيلتها، كما أنه الأداة التي إذا أحسن استثمارها وتوظيفها تمكنت المؤسسات من تحقيق الكفاءة والكفاية في الأداء والإنتاج وتبرز أهمية ذلك باعتباره أساس كل تعلم وتطوير وتنمية للعنصر البشري ومن ثم تقدم المجتمع وبنائه، كما ويعتبر التدريب احد العوامل الهامة التي تساعد على الأداء الوظيفي المميز خصوصاً وأن المنظمات على مختلف أنشطتها تواجه تغيرات وتطورات عديدة في ظل الاتجاه المتزايد نحوالعولمة. علما أن العملية الإبداعية ليست عملية مستمرة بذاتها لدى الأفراد المبدعين إذ لا بد من تشجيعهم وتدريبهم من خلال برامج تدريبية تستهدف تعزيز الأداء الإبداعي لديهم[48].

ثانياً: تقييم الأداء المفهوم والأبعاد

مفهوم الأداء: يرتبط مفهوم الأداء بكل من سلوك الفرد والمنظمة ويحتل مكانة خاصة داخل أية منظمة باعتباره الناتج النهائي لمحصلة جميع الأنشطة بها وذلك على مستوى الفرد والمنظمة والدولة، وقد تعددت تعريفات الباحثين للأداء، حيث عرف (أندرود) الأداء بأنه: تفاعل لسلوك الموظف، وأن ذلك السلوك يتحدد بتفاعل جهده وقدرته[49]،

---

[47] هيجان،عبد الرحمن،1420هـ. "**معوقات الإبداع في المنظمات السعودية**"مجلة الإدارة العامة،عدد(1)، معهد الإدارة العامة،الرياض، ص 15.

[48] هيجان، عبد الرحمن، 1999. "**المدخل الإبداعي لحل المشكلات**"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ص 74.

[49] باجابر،عادل، 1416هـ: "**الاتجاهات نحوالمهنة وعلاقتها بالأداء الوظيفي لدى الأخصائيين الاجتماعيين والأخصائيات الاجتماعيات العاملين بالمستشفيات الحكومية المركزية بالمنطقة الغربية** "رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص 24.

كما عرف (هاينز) الأداء بأنه: الناتج الذي يحققه الموظف عند قيامه بأي عمل من الأعمال[50].

مفهوم تقييم الأداء: يحتل تقييم الأداء مكاناً حيوياً في الإدارة كنظام يستمد أهميته من كونه جوهر الرقابة، ويمثل تحليل ودراسة التغذية العكسية التي تحدد مدى كفاءة موارد المنظمة في إنتاج المخرجات وبالذات البشرية باعتبارها هي التي تقوم بتشغيل بقية الموارد واستثمارها وفي ضوء نتائج الأداء يفترض أن تتخذ القرارات الخاصة بالنظام خصوصاً المتعلقة منها بالعاملين كالتثبيت في الخدمة والترقية والنقل والعلاوات والتدريب...الخ.

كما تم تعريف تقييم الأداء على أنه: تلك العملية التي تعنى بقياس كفاءة العاملين وصلاحيتهم وإنجازاتهم وسلوكهم في عملهم الحالي للتعرف على مدى مقدرتهم على تحمل مسؤولياتهم الحالية واستعدادهم لتقليد مناصب أعلى مستقبلاً[51].

ويرى العابدي والعبادي[52] بأن وظيفة تقييم العاملين ما هي إلا عن سياسات وإجراءات مهمة تستخدم في رفع مستوى الأداء للعاملين وذلك بالكشف عن القرارات والطاقات الشخصية للعاملين إضافة إلى تعريفهم بمواطن القوة والضعف لديهم في سبيل معالجة جوانب الضعف وتطوير وتنمية جوانب القوة نحوالمزيد من الإنتاجية والسلوك الإيجابي.

العناصر الرئيسية لتقييم الأداء الجامعي:

أ. الهيئة العلمية " بما في ذلك أعضاء هيئة التدريس:

1. مدى كفاية عدد أعضاء هيئة التدريس للاحتياجات الفعلية على مستوى القسم العلمي والتخصص بما يضمن استقرار واستمرار العملية التعليمية، وأيضاً توثيق العلاقات التربوية بين أعضاء هيئة التدريس والطلاب.

---

[50] الماضي، مساعد، 1417هـ."**معوقات الاتصال الإداري انعكاساتها على الأداء الوظيفي: دراسة تحليلية مطبقة على المستويات الإدارية الوسطى والتنفيذية بإمارة منطقة الرياض**" رسالة ماجستير،أكاديمية نايف للعلوم الأمنية،الرياض، ص 13.

[51] حنا نصر الله 1999، "**إدارة الموارد البشرية**"، دار العقل للطباعة والنشر،عمان، ص 75.

[52] العابدي، على رزاق، والعبادي، هاشم فوزي، "**استخدام أسلوب المقارنة المرجعية في تقييم الإداء الجامعي**"، مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية، المجلد التاسع، العدد الثالث، 2007، ص 222.

2. مدى توافر المؤهلات والخبرات العلمية والمهنية لجميع الأعضاء وفقاً للتخصُّص والمركز الوظيفي.
3. مدى تخصيص أعضاء هيئة التدريس الوقت الكافي لأداء أعمالهم بالجامعة.. مع الأخذ في الاعتبار متطلبات الممارسة المهنية للبعض منهم.
4. مدى ملاءمة الأعباء التدريسية – وغيرها– لعضوهيئة التدريس لمتطلبات الأداء الفعَّال.
5. مدى التقدم في الأخذ بالطرق والأساليب الحديثة في التدريس وتوصيل المعرفة بالفاعلية والكفاءة المطلوبة.

مهمات عضوهيئة التدريس الجامعي التي يتم من خلالها تقييم أدائه: يستند نشاط عضوهيئة التدريس إلى مجموعة من المهمات بعضها رئيسي والآخر ثانوي، تتكون المهمات الرئيسية لعضوهيئة التدريس الجامعي من ثلاث مهمات هي: التدريس والبحث العلمي وخدمة الجامعة والمجتمع. وكما يأتي:

أ. التدريس: يعد التدريس المتميز العنصر الأهم عند تقييم نشاط عضوهيئة التدريس ويحتل المكانة الأولى في سلم الأولويات، إذ يشمل هذا الجزء الخطة التدريسية خلال العام متضمناً المقررات الدراسية التي يقوم عضوهيئة التدريس بتدريسها أوالتي سيقوم أويشارك في تطويرها مع إيضاح أوجه التطوير والتحديث في كل مقرر، وكذلك الأنشطة التي ينوي القيام بها لتحسين طرائق وكفاءة التدريس وفاعليته أولتحديث استعمال تقنيات الوسائل التعليمية[53].

ب. البحث العلمي: يمثل البحث العلمي عنصراً أساسياً من عناصر تقييم نشاطات عضوهيئة التدريس، إذ أن البحث العلمي الأصيل يساعده على الرقي بممارسته المهنية في ميدان اهتمامه، كما أن التدريس الجامعي وثيق الصلة بالبحث العلمي، ويوضح هذا الجزء الإسهامات الفكرية لعضوهيئة التدريس التي تضيف قاعدة المعارف

---

[53] النجار، عبد الوهاب بن محمد2004، **"أساليب تقييم أعضاء هيئة التدريس الجامعي، مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية"**، المجلد (5)، العدد (2)، المملكة العربية السعودية، ص 3-4.

والتطبيقات في مجال التخصص شاملاً الأبحاث المنشورة في مجلات علمية متخصصة والمجلات محكمة وأوراق العمل. ومن الضروري الاهتمام بنشر في مجلات متخصصة عالمية والتي يمثل الجزء الأكبر من نتاج البحث العلمي[54].

ج. **خدمة الجامعة والمجتمع:** يشكل إسهام عضوهيئة التدريس في خدمة الجامعة والمجتمع عنصراً أساسياً من عناصر تقييم أدائه: (1) **خدمة الجامعة:** يوضح هذا الجزء دور عضوهيئة التدريس وفاعليته في خدمة الجامعة، والأنشطة المهنية والإدارية على مستوى الكلية أوالجامعة وأعمال اللجان التي يشارك بها أوالتي يرغب في المشاركة بها أوأية أعمال أووظائف إدارية أوفنية في الكلية أوالجامعة أوأية أنشطة أخرى. وعليه فأن نظام التقييم يجب أن يراعي الجهود المبذولة في أداء هذه المهام على أحسن قدر ويعتمد مدى التقدير على طبيعة العمل ومدته ودرجة الاضطلاع بمسؤولياته[55]. (2) **خدمة المجتمع المدني:** يوضح هذا الجزء دور عضوهيئة التدريس في خدمة المجتمع المدني خلال العام شاملاً في ذلك الاستشارات لحل المشاكل المؤسسية وتنظيم والمساهمة في ندوات أوورش العمل محلية أوإقليمية في مجال التخصص أوأية إسهامات أخرى مثلاً براءات اختراع، استشارات مهنية، نقل التكنولوجيا إلى الصناعة، أودورات التعليم المستمر...ألخ[56].

الجانب الميداني للبحث

يعرض هذا المبحث وصف وتشخيص متغيرات البحث حسب إجابات عينة الدراسة وكما يأتي:

أولاً: المتغيرات التنظيمية: يلاحظ من خلال الجدول رقم (1) الخاص بنتائج الدراسة اتجاه المتغيرات التنظيمية ما يأتي:

---

[54] الغامدي، حمدان أحمد 2006، **"الاحتياجات التدريبية التربوية لإعضاء هيئة التدريس لكليات المعلمين في المملكة العربية السعودية"**، رسالة التربية وعلم النفس، العدد (20)، المملكة العربية السعودية، ص 3.

[55] النجار، عبد الوهاب بن محمد، 2004، **"أساليب تقييم أعضاء هيئة التدريس الجامعي، مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية"**، المجلد (5)، العدد (2)، المملكة العربية السعودية، ص5.

[56] العزاوي، فراس رحيم 2007، **"دور نظام معلومات الموارد البشرية في تحقيق متطلبات تقييم أعضاء الهيئة التدريسية"**، رسالة ماجستير في ادارة الاعمال،كلية الادارة والاقتصاد،جامعة بغداد، ص 85.

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1. البنية التنظيمية وإجراءات العمل			
1	تتسم المسؤوليات والصلاحيات وجهة المساءلة بالوضوح	4.53	0.62
2	يتمتع المسؤولون المباشرون بدرجة من الاستقلالية في اتخاذ القرارات	4.75	0.43
3	يتوفر لدى المسؤولين المباشرين التسهيلات والإمكانات اللازمة لانجاز أعمالهم	2.96	1.35
4	يتسم العمل الإداري باللامركزية والمشاركة	3.87	1.00
5	يمتاز الإشراف على المرؤوسين بالديمقراطية	2.53	1.13
6	تمتاز أنظمة وقواعد العمل بالوضوح	3.87	1.07
7	يتسم تطبيق قواعد العمل بالإفراط في التشدد	4.12	1.00
8	تتيح سياسات العمل للأفراد تطوير إجراءات خاصة لانجاز مهامهم	4.03	1.09
9	تتسم رقابة المسائل الشكلية بالاحترافية	3.87	1.21
	جميع عبارات البنية التنظيمية وإجراءات العمل	3.83	0.99
2. نمط القيادة والاتصالات الادارية			
1	تميل القيادات العليا إلى أسلوب الإدارة بالمشاركة	4.43	0.75
2	تتبنى القيادات العليا اقتراحات العاملين	4.65	0.54
3	يناقش الرؤساء أفكار العمل مع المرؤوسين	4.15	0.76
4	يساعد الرؤساء الأفراد على اكتشاف قدراتهم وتطويرها	4.28	0.95
5	يتمتع المرؤوسون بحرية لانجاز مهامهم	4.34	0.82
6	تشجع القيادات العليا على الاتصالات الصاعدة	4.00	1.01
7	تنظم اجتماعات دورية بين الرؤساء والمرؤوسين	4.21	0.70
8	تشجع القيادة العليا الأفراد على إبداء مقترحاتهم	4.37	0.90
9	توفر نظم الاتصالات المعلومات للعاملين بالسرعة الوقت المناسبين	4.28	1.14
	جميع عبارات نمط القيادة والاتصالات الادارية	4.30	0.84
3. الحوافز والتدريب			
1	يعمل نظام الحوافز على تحسين الأداء	3.18	1.33
2	يمتاز نظام الحوافز بالعدالة والموضوعية	2.65	1.26
3	يكافأ الموظف عندما يقدم أفكاراً جديدة تخدم العمل	3.15	1.22
4	يقدر الرؤساء في العمل جهود المرؤوسين	1.62	1.00
5	يثق الرؤساء بالمرؤوسين	1.96	0.89
6	تعتبر الإدارة العليا التدريب خيارا استراتيجيا	3.19	1.09
7	يرتبط المسار الوظيفي بالمسار التدريبي	2.62	1.07
8	يتوفر لبرامج تدريب الموظفين ميزانية واضحة	2.93	1.18
9	ينظر للمشاركين ببرامج التدريب بعين التقدير	2.62	0.97
	جميع عبارات الحوافز والتدريب	2.65	1.11

جدول(1) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات عينة الدراسة بالمتغيرات التنظيمية n=32

1. البنية التنظيمية وإجراءات العمل: بلغ متوسط متوسطات الفقرات الممثلة لهذا المتغير التنظيمي (3.83)، وبانحراف معياري إجمالي بلغ (0.99) مؤشرا لانسجام الاستجابات الواردة اتجاه هذا المتغير التنظيمي. إذ حصلت العبارة (2) (يتمتع المسؤولون المباشرون

بدرجة من الاستقلالية في اتخاذ القرارات) على أعلى المتوسطات الحسابية (4.75) وبانحراف معياري (0.5)، في حين حصلت الفقرة (5) (يمتاز الإشراف على المرؤوسين بالديمقراطية) على أدنى المتوسطات الحسابية (2.53) وبانحراف معياري (1.13).

2. نمط القيادة والاتصالات الإدارية: بلغ متوسط متوسطات الفقرات الممثلة لهذا المتغير التنظيمي (4.30)، وبانحراف معياري إجمالي بلغ (0.84) مؤشرا لانسجام الاستجابات الواردة اتجاه هذا المتغير التنظيمي. إذ حصلت الفقرة (2) (تتبنى القيادات العليا اقتراحات العاملين) على أعلى المتوسطات الحسابية (4.65) وبانحراف معياري (0.54) على الترتيب، في حين حصلت الفقرة (6) (تشجع القيادات العليا على الاتصالات الصاعدة) على أدنى المتوسطات الحسابية (4.00) وبانحراف معياري 1.01).

3. الحوافز والتدريب: بلغ متوسط متوسطات الفقرات الممثلة لهذا المتغير التنظيمي (2.65)، وبانحراف معياري إجمالي بلغ (1.11) مؤشراً لانسجام الاستجابات الواردة اتجاه هذا المتغير التنظيمي. إذ حصلت الفقرة (6) (تعتبر الإدارة العليا التدريب خياراً استراتيجيا) على أعلى المتوسطات الحسابية (3.19) وبانحراف معياري (1.09)، في حين حصلت الفقرة (4) (يقدر الرؤساء في العمل جهود المرؤوسين) على ادنى المتوسطات الحسابية (1.62) وبانحراف معياري 1.00).

يلاحظ مما سبق بأن المتغير التنظيمي "**نمط القيادة والاتصالات الإدارية**" حصل على أعلى المتوسطات الحسابية (4.30)، في حين حصل المتغير التنظيمي "**الحوافز والتدريب**" على أدنى المتوسطات الحسابية (2.65).

ثانياً: تقييم أعضاء الهيئة التدريسية: يلاحظ من خلال الجدول رقم (2) الخاص بنتائج الدراسة اتجاه متغيرات تقييم عضوهيئة التدريس (استراتيجيات التدريس، البحث العلمي، خدمة الجامعة والمجتمع) ما يأتي:

م	العبارة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1. استراتيجيات التدريس			
1	يوفر سجل حضور شخصي جيد	4.2	0.43
2	يبدأ وينهي المحاضرة في الوقت المحدد	3.6	0.36
3	يدير فقرات المحاضرة بشكل صحيح	4.1	0.94
4	يستخدم التقارير البيتية بشكل دقيق وفي وقتها	3.8	0.64
5	يستخدم وقت المحاضرة بكفاءة	4.8	0.66
	جميع عبارات استراتيجيات التدريس	4.1	0.60
2. البحث العلمي			
1	يحضر مؤتمرات التعليم	3.03	1.33
2	يقوم بشر الكتب والمقالات وأوراق العمل	2.34	1.15
3	مهتم وبشكل كبير بالبحث العلمي	2.93	1.07
4	يقوم بإجراء البحوث في مجال الاختصاص	2.96	1.23
5	ينشر البحث العلمي في مجلات علمية محكمة ومتخصصة	4.43	0.61
	جميع عبارات البحث العلمي	3.13	1.07
3. خدمة الجامعة والمجتمع			
1	يسهم في العمل باللجان الاستشارية	2.43	1.01
2	يطور العلاقات مع منظمات العمل والصناعة	2.90	1.20
3	يشترك مع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات الأخرى	3.03	1.20
4	يروج لنشاطات خدمة التعليم	2.75	1.13
5	يقوم بالتعامل مع المؤسسات المجتمعية ذات العلاقة	2.93	1.10
	جميع عبارات خدمة الجامعة والمجتمع	2.80	1.12

جدول (2) المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لإجابات عينة البحث اتجاه متغير استراتيجيات التدريس، البحث العلمي، خدمة الجامعة والمجتمع (N=32)

1. استراتيجيات التدريس: يلاحظ في الجدول رقم (2) إن متوسط المتوسطات الخاص بعبارات متغير "استراتيجيات التدريس" بلغت (4.1) وبانحراف عام بلغ (0.60) يظهر انسجام العبارات الواردة اتجاه هذا المتغير. إذ حصلت الفقرة (5) (عضوهيئة التدريس في الكلية يستخدم وقت المحاضرة بكفاءة) على اعلى المتوسطات الحسابية وبمقدار (4.8) وبانحراف معياري (0.66)، في حين حصلت الفقرة (2) (عضوهيئة التدريس في الكلية يبدأ وينهي المحاضرة في الوقت المحدد) على أدنى متوسط حسابي (3.6) وبأدنى انحراف معياري بلغ(0.36).

ويلاحظ أيضاً من نتائج إجابات عينة البحث انحصار المتوسطات الحسابية بين (4.8)- (3.6)، اذ تنحصر هذه النتائج وفقا لمقياس (Likert) بين (نموذجي) إلى (بحاجة إلى تحسن) وهذا يدل على انطباع إيجابي ما لدى القيادة العليا عينة الدراسة اتجاه متغير "**استراتيجيات التدريس**".

2. البحث العلمي: يلاحظ في الجدول رقم (2) إن متوسط المتوسطات الخاص بعبارات متغير "البحث العلمي" بلغ (3.1) وبانحراف عام بلغ (1.07) يظهر انسجام الفقرات الواردة اتجاه هذا المتغير. إذ حصلت العبارة (5) (عضوهيئة التدريس في الكلية ينشر البحث العلمي في مجلات علمية محكمة ومتخصصة) على اعلى المتوسطات الحسابية وبمقدار (4.43) وبانحراف معياري (0.61)، في حين حصلت العبارة (2) (عضوهيئة التدريس في الكلية يقوم بنشر الكتب والمقالات وأوراق العمل) على أدنى متوسط حسابي (2.34) وبانحراف معياري بلغ(1.15).

ويلاحظ ايضاً من نتائج إجابات عينة البحث انحصار المتوسطات الحسابية بين (4.4)- (2.3)، اذ تنحصر هذه النتائج وفقا لمقياس (Likert) بين (أداء محترف) إلى (غير مرضي) وهذا يدل على انطباع سلبي لدى عينة الدراسة اتجاه متغير "**البحث العلمي**".

3. خدمة الجامعة والمجتمع: يلاحظ في الجدول رقم (2) إن متوسط المتوسطات الخاص بعبارات متغير "خدمة الجامعة والمجتمع" بلغ (2.80) وبانحراف عام بلغ (1.12) يظهر انسجام الفقرات الواردة اتجاه هذا المتغير. إذ حصلت الفقرة (3) (عضوهيئة التدريس في الكلية يشترك مع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات الأخرى) على أعلى المتوسطات الحسابية وبمقدار (3.03) وبانحراف معياري (1.20)، في حين حصلت العبارة (1) (يسهم عضوهيئة التدريس في الكلية في العمل باللجان الاستشارية) على أدنى متوسط حسابي (2.43) وبأدنى انحراف معياري بلغ(1.01).

ويلاحظ أيضاً من نتائج إجابات عينة البحث انحصار المتوسطات الحسابية بين (3.0)- (2.4)، إذ تنحصر هذه النتائج وفقاً لمقياس (Likert) بين (بحاجة إلى

تحسن) إلى (غير مرضي) وهذا يدل على انطباع سلبي لدى عينة الدراسة اتجاه متغير "**خدمة الجامعة والمجتمع**".

ثالثاً: العلاقة بين المتغيرات التنظيمية وعملية تقييم أعضاء الهيئة التدريسية: يوضح الجدول (3) نتائج علاقة الارتباط بين المتغيرات التنظيمية باعتباره متغيراً مستقلاً وتقييم أعضاء الهيئة التدريسية باعتباره متغيراً معتمداً.

المتغير المعتمد		تقييم أعضاء الهيئة التدريسية		
المتغير المستقل		إستراتيجيات التدريس	البحث العلمي	خدمة الجامعة والمجتمع
المتغيرات التنظيمية	البنية التنظيمية وإجراءات العمل	0.612	0.800	**0.711**
	نمط القيادة والاتصالات الادارية	0.899	0.894	**0.862**
	الحوافز والتدريب	**0.763**	**0.870**	**0.729**

جدول (3) علاقة الارتباط بين المتغيرات التنظيمية ومتغيرات "تقييم أعضاء الهيئة التدريسية" على عينة الدراسة.

$P < 0.05, N = 32$

يتضح من نتائج الجدول (3) وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية معنوية موجبة بين مكونات "المتغيرات التنظيمية" ومتغيرات "تقييم أعضاء الهيئة التدريسية" ضمن مستوى معنوية (0.05) أي بدرجة ثقة (95٪) وهذا يدل على معنوية العلاقة ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن عينة الدراسة كلما سعت إلى تطبيق المتغيرات التنظيمية من خلال إجراءات واضحة ومفهومة استطاعت من تحقيق عملية تقييم أعضاء الهيئة التدريسية وأن ما يدعم النتائج أعلاه هوعلاقة الارتباط بين متغيرات المتغيرات التنظيمية (البنية التنظيمية وإجراءات العمل، نمط القيادة والاتصالات الإدارية، الحوافز والتدريب) كل على انفراد مع تقييم أعضاء الهيئة التدريسية (استراتيجيات التدريس، البحث العلمي، خدمة الجامعة والمجتمع) وعلى النحوالآتي:

1. وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية معنوية موجبة بين "**البنية التنظيمية وإجراءات العمل**" و"**تقييم أعضاء الهيئة التدريسية**" (استراتيجيات التدريس، البحث العلمي، خدمة الجامعة والمجتمع) إذ بلغ الارتباط بينهما على النحوالآتي:

0.711	**0.800**	**0.612**

وضمن مستوى معنوية (0.05) أي بدرجة ثقة (95٪) وهذا يدل على معنوية العلاقة وتفسر هذه النتيجة مدى اهتمام عينة الدراسة بـ "**البنية التنظيمية وإجراءات العمل**" سوف يساهم في تحقيق عملية "**تقييم أداء أعضاء الهيئة التدريسية**" في الكليات المبحوثة. وبناء على ما تقدم يمكن قبول الفرضية الرئيسة الأولى المنبثقة من الفرضية الرئيسية الأولى والتي نصها (ترتبط "**البنية التنظيمية وإجراءات العمل**" بعلاقة ذات دلالة إحصائية مع "**تقييم أعضاء الهيئة التدريسية**").

2. وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية معنوية موجبة بين "**نمط القيادة والاتصالات الإدارية**" و"**تقييم أعضاء الهيئة التدريسية**" (إستراتيجيات التدريس، البحث العلمي، خدمة الجامعة والمجتمع) إذ بلغ الارتباط بينهما على النحوالآتي:

0.899	0.894	0.862

وضمن مستوى معنوية (0.05) أي بدرجة ثقة (95٪) وهذا يدل على معنوية العلاقة وتفسر هذه النتيجة مدى اهتمام عينة الدراسة بـ "**نمط القيادة والاتصالات الإدارية**" سوف يساهم في تحقيق عملية "**تقييم أعضاء الهيئة التدريسية**" في الكليات المبحوثة. وبناءً على ما تقدم يمكن قبول الفرضية الفرعية الثانية المنبثقة من الفرضية الرئيسية الأولى والتي نصها (يرتبط "**نمط القيادة والاتصالات الإدارية**" بعلاقة ذات دلالة إحصائية مع "**تقييم أداء أعضاء الهيئة التدريسية**").

3. وجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية معنوية موجبة بين "**الحوافز والتدريب**" و"**تقييم أعضاء الهيئة التدريسية**" (إستراتيجيات التدريس، البحث العلمي، خدمة الجامعة والمجتمع) إذ بلغ الارتباط بينهما على النحوالآتي:

0.763	0.870	0.729

وبناءً على ما تقدم يمكن قبول الفرضية الفرعية الثالثة المنبثقة من الفرضية الرئيسية الأولى والتي نصها (ترتبط "**الحوافز والتدريب**" بعلاقة ذات دلالة إحصائية مع "**تقييم أداء أعضاء الهيئة التدريسية**").

وعلى ضوء الفرضيات الفرعية أعلاه يمكن قبول الفرضية الرئيسة للبحث والتي نصها (ترتبط "**المتغيرات التنظيمية**" بعلاقة ذات دلالة إحصائية مع "**تقييم أعضاء الهيئة التدريسية**").

الاستنتاجات والتوصيات

أولاً: الاستنتاجات

1. اتضح من التحليل الإحصائي ان المتغير التنظيمي "**نمط القيادة والاتصالات الإدارية**" حصل على وسط حسابي قدره (4.30)، وبانحراف معياري إجمالي بلغ (0.84) وهذا يدل على تجانس أواتفاق العينة حول أسئلة هذا المتغير من خلال تبني القيادات العليا اقتراحات العاملين واعتمادها أسلوب الادارة بالمشاركة بالاضافة إلى تشجيع الأفراد على ابداء مقترحاتهم...ألخ.
2. أما المتغير التنظيمي "**الحوافز والتدريب**" فقد حقق وسطاً حسابياً مرجحاً أدنى من الوسط الفرضي وهذا يدل على عدم تجانس واتفاق العينة حول أسئلة هذا المتغير إذ حصل على وسط حسابي قدره (2.65)، وبانحراف معياري إجمالي بلغ (1.11) وهذا واضح من خلال تقدير وثقة الرؤساء والمرؤوسين وارتباط المسار الوظيفي بالمسار التدريبي...الخ.
3. وعند تحليل المتغير التنظيمي "**البنية التنظيمية وإجراءات العمل**" اتضح بأن الوسط الحسابي هوأعلى من الوسط الفرضي وهذا يدل على تجانس أواتفاق العينة أسئلة هذا المتغير إذ حصل على وسط حسابي بلغ (3.83)، وبانحراف معياري إجمالي بلغ (0.99) وهذا واضح من خلال تمتع المسؤولين المباشرين بدرجة من الاستقلالية في اتخاذ القرارات بالاضافة إلى وضوح المسؤوليات والصلاحيات وجهة المساءلة...الخ.
4. إن أعضاء الهيئة التدريسية يقومون بوضع الخطط لكل مادة من المواد التي يقومون بتدريسها وهذا واضح من خلال التحليل الإحصائي لمتغير "**استراتيجيات التدريس**" من خلال الوسط الحسابي المرجح البالغ (4.1) وبانحراف معياري

قدره (0.60) وهذا يدل على تجانس أفراد عينة الدراسة حول أسئلة هذا المتغير.

5. تبين أن مشاركة أعضاء هيئة التدريس في المؤتمرات كانت نوعاً ما جيدة من خلال المشاركة في مؤتمرات التعليم وكذلك نشر البحث العلمي في مجلات علمية محكمة ومتخصصة وهذا واضح من خلال الوسط الحسابي المرجح بلغ (3.1) وبانحراف عام بلغ (1.07) وهذا يدل على تجانس أفراد عينة الدراسة حول أسئلة هذا المتغير.
6. اتضح ضعف مساهمة أعضاء هيئة التدريس في تطوير علاقاتهم مع منظمات العمل والصناعة وتقديم الاستشارات وضعف مشاركاتهم في دورات التعليم المستمر وورش العمل وهذا واضح من خلال الوسط الحسابي المرجح بلغ (2.8) وبانحراف عام (1.12) بلغ للمتغير "**خدمة الجامعة والمجتمع**" وهذا يدل على عدم تجانس أفراد عينة الدراسة حول أسئلة هذا المتغير.
7. من خلال التحليل الإحصائي لعلاقات الارتباط اتضح بوجود علاقة ارتباط ذات دلالة إحصائية بين "**المتغيرات التنظيمية**" و"**تقييم أعضاء الهيئة التدريسية**" وتبين إن أقوى علاقة ارتباط بين (نمط "**القيادة والاتصالات الإدارية**" و"**تقييم أعضاء الهيئة التدريسية**").

ثانياً: التوصيات

1. ضرورة تعزيز وتبني القيادات لنمط في القيادة والاتصالات الإدارية متميز ومتجدد بكل جوانبه لاسيما لجهة استثمار الكفاءات الموجودة في الجامعة بشكل ريادي وابتكاري متميز، ووضع الإنسان المناسب في المكان المناسب وتفويض بعض السلطات للمرؤسين.
2. أهمية توجه الإدارة العليا في المنظمة على تشكيل فرق عمل من المختصين، وأن تقوم بإجراء الندوات والمحاضرات التثقيفية بخصوص ماهية القيادة وأنماطها.
3. اتباع الأسس العلمية المتقدمة في استخدام أدوات القياس لتحديد أساليب قيادة المدراء فيما يخص تقييم الأداء.

4. إعادة النظر في المعايير التي يتم تقييم عضوهيئة التدريس على أساسها لتشمل جميع الجوانب التي تتعلق بالسلوكيات والمهارات والإنجازات.
5. ضرورة اطلاع عضوهيئة التدريس على المنهج قبل تدريسه وإعادة تنظيمه بشكل يتناسب مع مفردات المادة.
6. ضرورة الأخذ بالمتغير التنظيمي السليم عند تقييم أعضاء الهيئة التدريسية.
7. الاهتمام بالاتصال مع منظمات العمل والصناعة والمجتمع المدني وتقديم الاستشارات العلمية والمشاركة في تقديم ورش العمل وغيرها.

المصادر والمراجع:

1. بحر والعجلة، 1431هـ، دراسة "**المتغيرات التنظيمية وعلاقتها بالأداء الابداعي للمديرين العاملين بمؤسسات القطاع العام**"، دراسة ميدانية على المديرين العاملين بوزارات قطاع غزة.
2. العزاوي، فراس رحيم 2007، "**دور نظام معلومات الموارد البشرية في تحقيق متطلبات تقويم أعضاء الهيئة التدريسية**"، رسالة ماجستير في ادارة الاعمال، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد.
3. الحقباني، تركي، 1997م "**أثر المتغيرات التنظيمية على الإبداع الإداري: دراسة استطلاعية للموظفين العاملين في الأجهزة الحكومية بمدينة الرياض في المملكة العربية السعودية** " رسالة ماجستير، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.
4. الخثيلة، هند ماجد، 2000 "**المهارات التدريسية الفعلية والمثالية كما تراها الطالبة في جامعة الملك سعود**" ، مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، مكة المكرمة ، العدد (2)، المجلد (12).
5. صائغ، عبد الرحمن أحمد وآخرون، 1996، "**تقويم العملية الأكاديمية بجامعة الملك سعود**"، الرياض، المملكة العربية السعودية.

6. سالم، محمد سالم، 1417 هـ "واقع البحث العلمي في الجامعات، دراسة لاتجاهات أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود"، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
7. المانع، عزيزة عبد العزيز، 23 ـ 25 رجب 1420 هـ "البحث العلمي لدى أعضاء هيئة التدريس الإناث في جامعة الملك سعود"، ندوة تطوير المعلم الجامعي، الرياض.
8. السميري، لطيفة صالح، 2002، "أثر المؤتمرات التربوية لإعداد المعلم في نمو المعرفة المهنية لعضو هيئة التدريس في كلية التربية جامعة أم القرى في مكة المكرمة"، مجلة جامعة الملك سعود، المجلد الرابع عشر، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية (1)، م، الرياض.
9. فلمبان، آمال برهان، 23 ـ 25 رجب 1420 هـ، "معوقات تطوير الآداء للتدريس وطرق تحصيل الكفاءة الإنتاجية للمعلم الجامعي"، ندوة تطوير المعلم الجامعي التي عقدت الرياض.
10. حمود، خضير كاظم، 2002، "السلوك التنظيمي"، عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.
11. المانع، محمد، 2006، " تقنيات الاتصالات ودورها في تحسين الأداء" رسالة ماجستير، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض.
12. المغربي، كامل محمد، 1995، "السلوك التنظيمي: مفاهيم وأسس سلوك الفرد والجماعة في التنظيم"، الطبعة الثانية، عمان: دار الفكر للنشر والتوزيع.
13. العميان، محمود سلمان، 2004، "السلوك التنظيمي في منظمات الأعمال"، الطبعة الثانية، عمان: دار وائل للنشر.
14. هيجان، عبد الرحمن، 1420هـ. "معوقات الإبداع في المنظمات السعودية" مجلة الإدارة العامة، عدد(1)، معهد الإدارة العامة، الرياض.
15. هيجان، عبد الرحمن، 1999. "المدخل الإبداعي لحل المشكلات"، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

16. باجابر، عادل، 1416هـ: "**الاتجاهات نحوالمهنة وعلاقتها بالأداء الوظيفي لدى الأخصائيين الاجتماعيين والأخصائيات الاجتماعيات العاملين بالمستشفيات الحكومية المركزية بالمنطقة الغربية** "رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

17. الماضي، مساعد، 1417هـ."**معوقات الاتصال الإداري انعكاساتها على الأداء الوظيفي: دراسة تحليلية مطبقة على المستويات الإدارية الوسطى والتنفيذية بإمارة منطقة الرياض**" رسالة ماجستير، أكاديمية نايف للعلوم الأمنية، الرياض.

18. حنا نصر الله 1999، "**إدارة الموارد البشرية**"، دار العقل للطباعة والنشر، عمان.

19. العابدي، على رزاق، والعبادي، هاشم فوزي، 2007، "**استخدام أسلوب المقارنة المرجعية في تقييم الإداء الجامعي**"، مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية، المجلد التاسع، العدد الثالث.

20. النجار، عبد الوهاب بن محمد2004، "**أساليب تقييم أعضاء هيئة التدريس الجامعي، مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية**"، المجلد (5)، العدد (2)، المملكة العربية السعودية.

21. الغامدي، حمدان أحمد 2006، "**الاحتياجات التدريبية التربوية لإعضاء هيئة التدريس لكليات المعلمين في المملكة العربية السعودية**"، رسالة التربية وعلم النفس، العدد (20)، المملكة العربية السعودية.

22. النجار، عبد الوهاب بن محمد، 2004، "**أساليب تقييم أعضاء هيئة التدريس الجامعي، مجلة جامعة الملك سعود للعلوم التربوية**"، المجلد (5)، العدد (2)، المملكة العربية السعودية.

23. العزاوي، فراس رحيم 2007، "**دور نظام معلومات الموارد البشرية في تحقيق متطلبات تقييم أعضاء الهيئة التدريسية**"، رسالة ماجستير في ادارة الاعمال، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد.

24. Newstrom , J. & Davis , K., "**Organazitional Behavior ; Human Behavior at Work**": team work NNTn Edition ,Von Hoffman Press , North America 1993.

25. Ekvall, Goran. , 1996: "**Organizational Climate For Creativity and Innovation**". European Journal Of Work And Organizational Psychology.

استبانة عبارات المتغيرات التنظيمية

م	العبارة	أتفق تماماً	اتفق	غير متأكد	لا أتفق	لا أتفق تماماً
1. البنية التنظيمية وإجراءات العمل						
1	تتسم المسؤوليات والصلاحيات وجهة المساءلة بالوضوح					
2	يتمتع المسؤولون المباشرون بدرجة من الاستقلالية في اتخاذ القرارات					
3	يتوفر لدى المسؤولين المباشرين التسهيلات والإمكانات اللازمة لانجاز أعمالهم					
4	يتسم العمل الإداري باللامركزية والمشاركة					
5	يمتاز الإشراف على المرؤوسين بالديمقراطية					
6	تمتاز أنظمة وقواعد العمل بالوضوح					
7	يتسم تطبيق قواعد العمل بالإفراط في التشدد					
8	تتيح سياسات العمل للأفراد تطوير إجراءات خاصة لانجاز مهامهم					
9	تتسم رقابة المسائل الشكلية بالاحترافية					
	جميع عبارات البنية التنظيمية وإجراءات العمل					
2. نمط القيادة والاتصالات الادارية						
1	تميل القيادات العليا إلى أسلوب الإدارة بالمشاركة					
2	تتبنى القيادات العليا اقتراحات العاملين					
3	يناقش الرؤساء أفكار العمل مع المرؤوسين					
4	يساعد الرؤساء الأفراد على اكتشاف قدراتهم وتطويرها					
5	يتمتع المرؤوسون بحرية لانجاز مهامهم					
6	تشجع القيادات العليا على الاتصالات الصاعدة					
7	تنظم اجتماعات دورية بين الرؤساء والمرؤوسين					
8	تشجع القيادة العليا الأفراد على ابداء مقترحاتهم					
9	توفر نظم الاتصالات المعلومات للعاملين بالسرعة الوقت المناسبين					
	جميع عبارات نمط القيادة والاتصالات الادارية					
3. الحوافز والتدريب						
1	يعمل نظام الحوافز على تحسين الأداء					
2	يمتاز نظام الحوافز بالعدالة والموضوعية					
3	يكافأ الموظف عندما يقدم أفكاراً جديدة تخدم العمل					
4	يقدر الرؤساء في العمل جهود المرؤوسين					
5	يثق الرؤساء بالمرؤوسين					
6	تعتبر الإدارة العليا التدريب خيارا استراتيجيا					
7	يرتبط المسار الوظيفي بالمسار التدريبي					
8	يتوفر لبرامج تدريب الموظفين ميزانيةً واضحة					
9	ينظر للمشاركين ببرامج التدريب بعين التقدير					
	جميع عبارات الحوافز والتدريب					

م	العبارة	نموذجي	أداء محترف	بحاجة إلى تحسن	غير مرضي	لا ينطبق عليه
1. استراتيجيات التدريس						
1	يوفر سجل حضور شخصي جيد					
2	يبدأ وينهي المحاضرة في الوقت المحدد					
3	يدير فقرات المحاضرة بشكل صحيح					
4	يستخدم التقارير البيتية بشكل دقيق وفي وقتها					
5	يستخدم وقت المحاضرة بكفاءة					
	جميع عبارات استراتيجيات التدريس					
2. البحث العلمي						
1	يحضر مؤتمرات التعليم					
2	يقوم بشر الكتب والمقالات وأوراق العمل					
3	مهتم وبشكل كبير بالبحث العلمي					
4	يقوم باجراء البحوث في مجال الاختصاص					
5	ينشر البحث العلمي في مجلات علمية محكمة ومتخصصة					
	جميع عبارات البحث العلمي					
3. خدمة الجامعة والمجتمع						
1	يسهم في العمل باللجان الاستشارية					
2	يطور العلاقات مع منظمات العمل والصناعة					
3	يشترك مع أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات الأخرى					
4	يروج لنشاطات خدمة التعليم					
5	يقوم بالتعامل مع المؤسسات المجتمعية ذات العلاقة					
	جميع عبارات خدمة الجامعة والمجتمع					

استبانة عناصر تقييم أداء عضو الهيئة التدريسية

.....

من آداب الخطِ و الكتابة:
دراسة تبحث لاستنباط آداب لكتابة آي القرآن الكريم والمصحف الشريف

د. هشام إبراهيم عز الدين محمد
أ.مساعد. كلية الفنون الجميلة والتطبيقية
جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

المقدمة:

نال الخط العربي اهتماماً بالغاً من قبل المسلمين ومرد ذلك إرتباطه بالقرآن الكريم، ولاشك أن القرآن الكريم هو كتاب الله عز وجل المنزل على خاتم رسله بلفظه ومعناه المنقول بالتواتر جيلاً عن جيل، وهو الحجة البالغة التي أظهرها الله على يد نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، لا يتطرق إليه نقص ولا يأتيه باطل. قال تعالى: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)(سورة فصلت، 40- 41)، وهو محفوظ بحفظ الله عز وجل. قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)(سورة الحجر، 5).

ونتيجة للارتباط الوثيق بين الخط العربي والقرءان الكريم فقد درج كثير من الخطاطين على كتابة المصاحف وعمل اللوحات الفنية التي تحوي آيات من القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، غير الحكم والأمثال. وقد لحظ الباحث أن كثيراً منهم لا يتقيد بالرسم العثماني لآي القرآن الكريم، اذ يكتبون على ما جرت عليه العادة اليومية في الكتابة، و عليه تبحث هذه الدراسة لاستنباط ضوابط وآداب تكون مرجعاً يسهل للخطاطين الرجوع إليه حال كتابتهم آيات من القرآن الكريم أو المصحف الشريف.

لاحظ الباحث أثناء تدريسه للخط العربي في كلية الفنون الجميلة والتطبيقية/ جامعة السودان للعوم والتكنولوجيا، ومن خلال ملازمته لكثير من الخطاطين أن البعض منهم يكتب آيات من القرآن الكريم بغرض التدرب على رسم الحروف صحيحةً أو بغرض إنتاج أعمال فنية، وفي هذا يعمدون إلى رسم الآيات القرآنية بغير

طريقة الرسم العثماني، إذ منهم من يكتبه على القاعدة المألوفة في النطق أي بحسب ما جرت عليه العادة في الكتابة اليومية، ومنهم من يكتبه على حاله اليومي، دون إعطاء القرآن الكريم حقه من التقديس والتعظيم، كأنما يكتب أبياتاً من الشعر أو من أحاديث الناس، وهذا مستنكر بالفطرة السليمة. وعليه طرأ السؤال الآتي:

❖هل من الممكن استنباط آداب وأحكام من أقوال السلف المتفق عليها، لتكون مرجعاً لكتابة القرآن الكريم؟

يتطلع الباحث من خلال هذه الدراسة إلى:

1. استنباط آداب كتابة القرآن الكريم.
2. عرض وتبيين اقوال علماء السلف في احكام كتابة القرآن الكريم.

الخط العربي والقرءان الكريم:

أ/ تدوين القرآن الكريم:

كان الرسول عليه الصلاة والسلام حريصاً على كتابة القرآن الكريم عقب نزوله. وكان له كتاب، يكتبون بين يديه، وبأمره وإقراره، وكانوا يكتبون في اللخاف والعسب والأكتاف، والرقاع، والأقتاب وقطع الأديم (لبيب السعيد، 1967م، 38 – 39) ويروي عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: كنت جار الرسول عليه الصلاة والسلام فكان إذا نزل الوحي أرسل إليّ فكتبت الوحي (السجستاني، 1936م، 7)، وقد روي عنه قوله "لا تكتبوا عني شيئاً سوي القرآن فمن كتب عني شيئاً سوي القرآن فليمحه" (السجستاني، 1936م، 9)، وقد نص العلماء على أن القرآن كله كتب على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام في الصحف والألواح والعسب لكنه غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور (الحمد، 1982م، 99). وقد ترك الرسول عليه الصلاة والسلام الكتاب وشأنهم في كتابة القرآن، حسب ماتعارفوا عليه من قواعد كتابية آنذاك، حتي أتموا كتابته كاملاً في عهده وتحت إشرافه، حيث كان ينصب توجيهه لهم على تحديد موضع الآيات (مصطفي، 1415هـ، 74). وعندما لحق الرسول عليه الصلاة والسلام

بالرفيق الأعلي كان القرآن قد كتب بكامله، ولكنه كان مفرقاً بين وسائط كتابية متعددة.

ب/ كُتاب القرآن الأوائل:

أتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم لنفسه بضعة كتاب يكتبون الوحى ورسائله وعهوده، منهم: على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وعمر بن العاص، وأبوبكر الصديق، وخالد بن سعيد، وحفظة بن الربيع، ويزيد بن ابى سفيان، ومعاوية بن أبى سفيان، وأُبيَ بن كعب، وزيد بن ثابت، وكان زيد من ألزم الناس لذلك، ثم تلاه معاوية بعد الفتح، فكانا ملازمين الكتابة بين يدي الرسول في الوحي وغير ذلك، لا عمل لهما غير ذلك (المسعودي 1938م، 245- 246). ويذكر (الزبيدي، 1954م، 71 - 79). أن كتاب النبي عليه الصلاة والسلام بلغوا ثلاثة وأربعين كاتباً، ولعل أشهرهم الخلفاء الراشدين، إضافةً إلى من سبق ذكرهم. وكان ألزمهم بالكتابة وأخصهم به زيد بن ثابت ومعاوية أبن أبي سفيان.

وكان هؤلاء الكتاب يكتبون الوحى له صلى الله عليه وسلم و كتاباته الأخرى على الرق بالخط المقور وهو النسخى (ناصف، 2002م، 63).

وأول من كتب للرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة بعد هجرته أُبيَ بن كعب، وكان يكتب رسائل الرسول أيضاً، وكان أبيّ إذا لم يحضر دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدَ بن ثابت فيكتب، فهذان كانا يكتبان الوحي بين يديه، ويكتبان كتبه إلى الناس (الحسن، 2003م، 50).

ج/ جمع القرآن الكريم:

لما تولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة، وانتشرت الفتوحات ارتد بعض العرب، فتصدي لهم أبو بكر الصديق فيما سمي بحروب الردة، مما أدى إلى موت كثير من الصحابة رضوان الله عليهم، فاستشهد كثير من القراء يوم اليمامة. فأشار عمر رضي الله عنه على أبي بكر بجمع القرآن، وألح في مراجعته حتى شرح الله صدر أبي بكر لهذا العمل، فكلف بهذه المهمة زيد بن ثابت، كاتب الوحي الذي أشفق على نفسه من عظم المهمة، إلى أن قبل بها بعد أن أقنعه أبو بكر بأهمية هذا

الجمع. يقول زيد: "فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والسعف واللخاف وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة عند ذي الشهادتين الأنصاري. وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام جعل شهادته كشهادة رجلين، لم نجدها مع غيره: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم)(سورةالتوبة، 128) إلى آخر السورة (مكي، د. ت، 61) ولم يتضمن أمر أبي بكر غير مطلق الكتابة، فليس فيه أي إشارة إلى كيفية رسم الكلمات، وإنما اكتفي بقوله "اكتباه"، أي في ضوء ما يتعارف عليه الناس (مصطفي، 1415هـ، 74) " فطبيعة هذا الجمع هو نقل لما كان مكتوباً في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام حيث أصبح مجموعاً في مكان واحد، مرتب السور والآيات، وهو ما اطلق عليه "المصحف" (إسماعيل، 2001م، 12). وعلي هذا ظهر القران الكريم لاول مرة في تاريخ الإسلام نصاً متكاملاً بين دفتي كتاب. وقد كانت الغاية من وراء حركة التدوين هذه هي حفظ القرآن من بعد استشهاد عدد من الصحابة حفاظه.

وقد استغرق إنجاز هذا العمل ما يقارب من سنة، فقد كانت فترة الجمع بين غزوة اليمامة التي وقعت في الأشهر الأخيرة من السنة الحادية عشرة، أو الأشهر الأولي من السنة الثانية عشرة وبين وفاة الصديق رضي الله عنه التي كانت في جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة للهجرة، وقد اكتمل الجمع قبل وفاة الصديق، إذ الروايات تشير إلى أن الصحف أودعت عنده بقية حياته (الحمد، 1982م، 105 – 106).

د/ نسخ القرآن/ المصحف الامام:

يروي (البخاري، 1987م، ج3، 1090)(البخارى،ص1090) في صحيحه خطوات كتابة المصحف قائلاً "إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنه، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع اهل العراق فآفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصاري فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن

ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتي إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق. وبلا شك فإن الصحابة من كتبة القرآن الكريم وهم بما فيهم من الفضل والحرص على كتاب الله من أن يمسه أي تغيير مهما كان طفيفاً، قد اعتنوا بكتابته في المصحف، ودققوا في صور الكلمات حتي تكون دقيقة بقدر ما كانت تسمح به قواعد الإملاء المستخدم في زمانهم (غانم قدري الحمد، 1986م، 43) ووجه عثمان رضي الله عنه إلى كل مصر مصحفاً وحرق ما عدا ذلك من المصاحف، فعند ذلك اجتمع الناس في الأمصار على مصحف عثمان. وقرأ أهل كل مصر من قراءتهم التي كانوا عليها بما وافق خط المصحف، وتركوا من قراءتهم ما خالف خط المصحف" (مكي، د. ت، 50). وسمي هذا المصحف بالمصحف الإمام، والظاهر أن اسم الإمام شامل لكل واحد من المصاحف المذكورة لا اسم لواحد بخصوصه (نصر الهوريني، 1902م، 23). وربما تشمل أيضاً هذه التسمية المصاحف الكبيرة التي كانت توضع في المساجد الجامعة للقراءة أو التي تنسخ المصاحف منها والتي نسخت من المصاحف العثمانية الأصلية (الحمد، 1982م، 190).

وقد ذهب أكثر العلماء إلى أن عثمان رضي الله عنه لما كتب المصاحف جعله على أربع نسخ، وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن: فوجه إلى الكوفة إحداهن، وإلي البصرة أخري، وإلي الشام الثالثة، وأمسك عنده بواحدة. وقد قيل إنه جعله سبع نسخ، ووجه من ذلك ايضاً نسخة إلى مكة، ونسخة إلى اليمن، ونسخة إلى البحرين. والاول أصح، وعليه الأئمة. كما يقول الداني (الداني، 1940م، 10). واذا كانت هذه الروايات غير قاطعة في تحديد عدد المصاحف التي أرسلها الخليفة الثالث، فإن تأمل الأسباب التي دفعت إلى توحيد نسخ المصحف يسوغ القول بأن كل الأمصار الإسلامية قد وصلها المصحف الموحد في الترتيب والهجاء، سواء أكان ذلك نسخة مما أنتجته الجماعة التي أوكل إليها الخليفة الثالث ذلك العمل، أم نسخة كتبت من

إحدى تلك النسخ (الحمد، 1982م، 224). وقد توحدت هذه المصاحف في عدد سور القرآن واشتملت على القرآن كله (مائة وأربعة عشر سورة أولها الفاتحة وأخرها الناس وكانت خالية من النقط والتشكيل والتحلية وكانت مكتوبة على الرق (الزركشي، 1957م، 251/1).

هـ/ إصطلاح المصحف العثماني:

أطلق المسلمون تسمية المصاحف العثمانية نسبة إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، لا بإعتبار أنه نسخها بطريقة تختلف عن الطريقة التي كتبت بها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر رضي الله عنه، وإنما لأنه هو الذي نسخ هذه المصاحف وأرسلها إلى الامصار فانتشرت، وتلقاها المسلمون بالقبول في مشارق الأرض ومغاربها. وبانتشارها انتشر الرسم الذي كتبت به. وهو الرسم نفسه الذي كتب به في عهد الرسول ثم في عهد ابي بكر رضي الله عنه. وسمي بالرسم العثماني لانه رسم عرف في الأمصار الإسلامية من خلال المصاحف العثمانية، وإلا فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه لم يبتكر خطاً جديداً لكتابة المصاحف، وإنما تبع في ذلك الخط نفسه الذي كتب به المصحف من قبل (اسماعيل، 2001م، 19- 20). وبهذا يتضح أن الجمع في عهد أبي بكر الصديق كان عبارة عن نقل القرآن وكتابته في مصحف واحد مرتب الآيات، جمع من اللخاف والعسب والرقاع، وكان ذلك بسبب (موت الحفاظ)، أما جمع سيدنا عثمان رضي الله عنه فقد كان عبارة عن نسخ عدة نسخ من المصحف الذي جمع في عهد ابي بكر لترسل إلى الآفاق الإسلامية وكان سبب الجمع انما هو (اختلاف القراء) في قراءة القرآن (شكل 1).

و/ نسخ المصاحف العثمانية:

عندما رأي الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ضرورة جمع الناس على مصحف واحد انتدب لهذه المهمة الجليلة زيد بن ثابت رضي الله عنه كاتب الوحي، على رأس اللجنة التي أوكلت إليها المهمة، وعلى الرغم من أن زيد بن ثابت كان أكثر الصحابة تأهيلاً لهذا العمل الجليل إذ أوكلت له مهمة جمع القرآن في عهد

أبـي بكـر الـصديق، إلا أن عثمـان رضـي اللّه عنـه قـد زود هـذه اللجنـة مـن الـصحابة بخطوط عامة يستنيرون بها في عملها وهي:-

1. لا يكتب شيء إلا بعد التحقق من أنه قرآن.
2. لا يكتب شيء إلا بعد العلم بأنه استقر في العرضة الأخيرة.
3. لا يكتب شيء إلا بعد التأكد أنه لم ينسخ.
4. لا يكتب شيء إلا بعد عرضه على جمع من الصحابة.
5. إذا اختلفوا في شيء من القرآن كتبوه بلغة قريش.
6. يحافظ على القراءات المتواترة ولا تكتب قراءة غير متواترة.
7. اللفظ الذي لا تختلف فيه وجوه القراءات يرسم بصورة واحدة.
8. اللفظ الذي تختلف فيه وجوه القراءات ويمكن رسمه في الخط محتملاً لها كلها يكتب برسم واحد مثل: (إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا)، فإنها تصح أن تقرأ بالقراءة الأخرى (فتثبتوا) لأن الكتابة كانت خالية من النقط والشكل.
9. اللفظ الذي تختلف فيه وجوه القراءات ولا يمكن رسمه في الخط محتملاً لها يكتب في نسخة برسم يوافق بعض الوجوه وفي نسخة أخرى برسم يوافق الوجه الآخر. مثل (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب)، فإنها تكتب في نسخة أخرى (وأوصى) (إسماعيل، 1411هـ، 128-129).

كان دور اللجنة في هذا العمل محدداً بنسخ عدة نسخ من القرآن، فكان عملها محصوراً في النسخ، ونقل ما كتب سابقاً في عهد أبي بكر ومن قبل في عهد الرسول صلى اللّه عليه وسلم، لا في إحداث رسوم لكتابة الكلمات أو التعديل فيها. لهذا فإن رسم الكلمات في المصاحف العثمانية يرجع إلى ما كان مرسوماً في الصحف التي جمع فيها القرآن في خلافة أبي بكر الصديق رضي اللّه عنه وهذه ترجع أيضاً إلى ماكتب في الرقاع بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام فرسم المصحف بذلك يمثل الكتابة

العربية في عصر ظهور الإسلام وهو يحمل خصائص تلك الكتابة (الحمد، 1986م، 31). وقد بلغ زيد رضي الله عنه درجة عالية من الحرص على سلامة النص القرآني، بحيث جاء هذا العمل دقيقاً، في أعلي درجات التوثيق.

يقول الزرقاني عن مزايا المصحف العثماني: إن المصاحف العثمانية قد توافر فيها من المزايا مالم يتوافر في غيرها ومن هذه المزايا:

1. الاقتصار على ما ثبت بالتواتر دون ما كانت روايته آحاداً.
2. إهمال ما نسخت تلاوته ولم يستقرّ في العرضة الأخيرة.
3. ترتيب السور والآيات على الوجه المعروف الآن.
4. كتابتها – أي المصاحف العثمانية – كانت تجمع وجوه القراءات المختلفة والأحرف التي نزل عليها القرآن.
5. تجريدها من كل ما ليس قرآناً كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم الخاصة شرحاً للمعنى أو بياناً لناسخ أو منسوخ أو نحو ذلك (الزرقاني، 1995م، 1/ 213- 214).

ويورد (الداني، 1960م، 10- 17) ان هذه المصاحف نسخت على رق بالمداد الاسود، وكانت مجردة من النقط والشكل، عارية عن الزينة والزخرف، كما لم تكن تحمل أسماء السوروالاشارات التي تفصل بين الآيات والأجزاء وغيرها.

ز/ وصف خط المصاحف في صدر الإسلام:

كانت المصاحف في صدر الإسلام مكتوبة بالخط الذي يصفة المصنفون القدماء بالمكي والمدني. وهاتان الصفتان توضحان المكان الذي أدرك فية الخط العربي مراحل التطور التي مر بها. وخاصة من ناحية الشكل فعقب المرحلة التي مر بها الخط العربي الشمالي في الأنبار والحيرة انتقل إلى مكة اولاً ثم عبر بعد الهجرة النبوية إلى المدينة ليمر هناك بمرحلة أخرى من التطور. وأبرز الخصائص للنمطين المكي والمدني – اللذين لايختلف أحدهما عن الاخر كثيراً – هي وصف ابن النديم الذي نقله عن محمد بن اسحاق، حيث قال: في ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وأعلا الأصابع، في شكله انضجاع يسير (ابن النديم، (مكتبة المصطفى)، 4). وهذا الوصف المقتصب

يوضح اسلوب الكتابة الحجازية من ناحية ويوضح من ناحية أخرى أن نفس الخط بدأ يكتسب خصائص مختلفة في هذه المراكز الثقافية المختلفة على قرابتها من الشكل الذي كانت علية قبل قرن من الزمان، كما حافظت كلمات عديدة على خصائصها الاملائية التي كانت عليها في الخط النبطي.

ويقول (أبوبكر، 1984م، 16): كان الحرف العربي الذي كتب به المصحف ونسخت منه المصاحف وكتبت به رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم، ورسائل الخلفاء الأربعة من بعده بدائياً من الناحيتين الوظيفية والجمالية. كانت الحروف غير مشكولة وغير منقوطة، وكانت بدائية من حيث أشكالها الهندسية حيث لم تكن تستوف مقوماتها الجمالية، وقد استمر الأمر على ذلك طوال النصف الأول من القرن الهجري الأول.

المبحث الثاني: تعظيم القرآن الكريم عند المسلمين:

أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن الكريم على الاطلاق، وتنزييهه وصيانته. وأجمعوا على أن من جحد منه حرفاً مما أُجمع عليه أو زاد حرفاً لم يقرأ به احد، وهو عالم بذلك فهو كافر، وفي ذلك اورد (النووي، 1996م، 163):

قال الحافظ ابو الفضل القاضي عياض رحمه الله:

(اعلم أن من استخف بالقرآن، أو المصحف أو بشيء منه أو سبهما، أو جحد حرفاً منه، أو كذب بشيء مما صرح به فيه: من حكم أو خبر أو اثبت ما نفاه أو نفى ما أثبته وهو: عالم بذلك أو يشك في شيئ من ذلك، فهو كافر بإجماع المسلمين).

ومن تعظيم القرآن الكريم وجوب المحافظة على ما رود منه في الكتب العامة والكتب المدرسية والصحُف التي تشتمل على آيات منه في غلافها أو داخلها، لكن بعض المسلمين حينما يقرأون تلك الكتب والصحف يُلقونها، فتوطَأ بالأقدام، بل قد يستَعملها بعضهم ثم يرمي بها في النفايات مع النّجاسات والقاذورات، ولا شكَّ أن هذا امتهانٌ لكتاب الله العظيم وكلامه المبين.ومن تعظيم كلام الله أن يُرفع فلا يوضع في الأرض، لا سيما في الأرض غير الطيبة، فإنَّ وضعه في أرض ليست محترمةً يدلّ على عدم مُبالاة الواضع به، وإذا كان الإنسان يقرأ في مصحف وهو في المسجد أو في بيته

ثم أراد السّجود ووضعه بين يديه فإنَّ هذا لا بأس به ولا إهانة فيه للقرآن (الثبيتي، 1426هـ، نت) [57].

ويعظم كتابُ اللّه بحُسن تلاوته وتصديق أخباره وامتثال أوامِره واجتناب نّواهيه وإقامة حروفه وحدوده والعمل به، وتعظيم شأنه والسَّير على منهاجه وتزيينه وتفخيم طباعته وكتابته، قال تعالى: (كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ)(سورة ص، 29). ومن تعظيم كتاب اللّه أن لاَ يقرأَه الإنسان وهو جنُب، وأن لا يمس المصحفَ إلاّ على طَهارة؛ لأنَّ النبيَّ كتب إلى عمرو بن حزم أن لا يمسَّ القرآن إلاّ طاهر. [58] ومن تعظيمه إحضار القارئ لقلبه في القراءة والتفكّرُ فيها، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه أنه قال: سمعت رسول اللّه يقول: (يخرُج فيكم قومٌ تحقرون صلاتَكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملَكم مع عملهم، يقرأون القرآن لا يجاوز حَناجِرَهم، يمرُقون من الدّين كما يمرُق السّهمُ من الرميّة).(البخارى، 5058) ويكره قطع القراءة لكلام الناس، فلا ينبغي أن يؤثِر كلام الناس على قراءة القرآن، روى البخاري عن نافع قال: كان ابن عمر رضي اللّه عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلَّم حتّى يفرغ منه.(البخارى، 4527) (الثبيتي، 1426هـ، نت) [59].

وفي باب كتابة القرآن فقد اتفق العلماء على استحباب كتابة المصاحف وتحسين كتابتها وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقة، قال العلماء: ويستحب نقط المصحف وشكله فإنه صيانة من اللحن فيه وتصحيفه (النووي، 1996م، 189) ومنها أن يفخم المصحف فيكتب مفرجاً بأحسن خط يقدر عليه، ولا يصغر مقداره ولا يقرفط حروفه. ومنها ألا يخلط في المصحف ما ليس من القرآن بالقرآن كعدد الآيات والسجدات والعشرات والوقوف واختلاف القراءات ومعاني

---

[57] (mktaba.org/vb/showthread.php?t=5398)

[58] هذا الكتاب تلقاه العلماء بالقبول والعمل، رواه الدارمي في الطلاق (2266)، والدارقطني (1/122، 2/285)، والبيهقي في الكبرى (1/87، 309، 4/89 (وفي الشعب (2/380)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (571، 572) من طريق الزهري عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده، وصححه ابن حبان (6559)، والحاكم (1446)، وصححه الألباني لشواهده في الإرواء (122).

[59] (mktaba.org/vb/showthread.php?t=5398)

الآيات (البيهقي، 2000م، 323/2) ولا تجوز كتابة القرآن بشيء نجس، ويحرم على المحدث مس المصحف وحمله، سواء حمله بعلاقته أو بغيرها، سواء مس نفس الكتابة أو الحواشي أو الجلد، وتحرم مس الخريطة والغلاف والصندوق إذا كان فيهن المصحف، هذا هو المذهب المختار، وقيل لا تحرم هذه الثلاثة، وهو ضعيف، ولو كتب القرآن في لوح فحكمه حكم المصحف، سواء قل المكتوب أو كثر، حتى لو كان بعض آية كتب للدراسة، حرم مس اللوح (النووي، 1996م، 192).

ويذكر (النووي، 1996م، 190): تكره كتابته على الجدران، و إذا كتب على الأطعمة فلا بأس بأكلها، وأنه إذا كتب على خشبة كُره إحراقها. وإذا كتب الجنب أو المحدث مصحفاً، إن كان يحمل الورقة أو يمسها حال الكتابة فحرام، وإن لم يحملها ولم يمسها ففيه ثلاثة أوجه: الصحيح جوازه، والثاني تحريمه، والثالث يجوز للمحدث، ويحرم على الجنب (النووي، 1996م، 193).

و يذهب (النووي، 1996م، 195- 196) إلى أن من لم يجد ماء للطهارة، فتيمم يجوز له مس المصحف، سواء كان تيممه للصلاة أو لغير مما يجوز التيمم له. وأما من لم يجد ماء ولا تراباً فإنه يصلي على حسب حاله، ولا يجوز له مس الصحف لأنه محدث، جوزنا له الصلاة للضرورة، ولو كان معه مصحف ولم يجد من يودعه عنده وعجز عن الوضوء جاز له حمله للضرورة. قال القاضي أبو الطيب ولا يلزمه التيمم، وفيما قاله نظر، وينبغي أن يلزمه التيمم. أما إذا خاف على كافر فإنه يأخذه ولو كان محدثا للضرورة.

وقد أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه وفيه يورد (النووي، 1996م، 191): قال أصحابنا وغيره: ولو ألقاه مسلم في القاذورة والعياذ بالله تعالى صار الملقي كافراً، قالوا ويحرم توسده بل توسد آحاد كتب العلم حرام، ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قدم عليه، لأن القيام مستحب للفضلاء من العلماء والأخيار، فالمصحف أولى.

أ/ آراء العلماء في المحافظة على الرسم العثماني:

للعلماء آراء مختلفة حول المحافظة على الرسم العثماني، وأدناه يوجز الدارس أهم هذه الآراء وهي:

الرأي الأول:

يذهب إلى وجوب المحافظة على الرسم العثماني وعدم جواز كتابته بغيره؛ وعلى ذلك الرأي الأئمة الأعلام ومنهم الإمام مالك؛ فقد سئل هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء؟ فقال: لا إلا على الكتبة الأولى، (الداني، 1940م، 1/ 3). ومنهم الامام أحمد قال: (يحرم مخالفة خط مصحف عثمان في واو أوياء أو الف أو غير ذلك) (الزركشي، 1957م، 1/ 379)، ومن القائلين بوجوب المحافظة على الرسم البيهقي؛ إذ قال: (من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء التي كتبوا بها تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيها، ولا يغيّر مما كتبوه شيئاً فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي لنا أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم) (البيهقي، 2000م، 204/6 حديث رقم 2567).

الرأي الثاني:

يذهب هذا الرأي إلى أنه يجوز مخالفة الرسم العثماني، وفيه يقول الباقلاني: (أما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً، إذ لم يأخذ على كتاب القرآن وخطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره، أوجبه عليهم، وترك ما عداه، إذ وجوب ذلك لا يدرك إلا بالسمع والتوقيف، وليس في نصوص الكتاب ولا مفهومه أن رسم القرآن وضبطه لا يجوز الا على وجه مخصوص، وحدّ محدود، لا يجوز تجاوزه، ولا في نص السنة ما يوجب ذلك ويدل عليه، ولا في إجماع الأمة ما يوجب ذلك، ولا دلت عليه القياسات الشرعية، بل السنة دلت على جواز رسمه بأي وجه سهل، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر برسمه، ولم يبين لهم وجهاً معيناً، ولا نهى أحداً عن كتابته، ولذلك اختلفت خطوط المصاحف، فمنهم من كان يكتب الكلمة على مخرج اللفظ، ومنهم من كان يزيد وينقص لعلمه بأن ذلك اصطلاح، وأن الناس لا يخفى عليهم الحال، ولأجل هذا بعينه جاز أن يكتب بالحروف الكوفية والخط

الأول، وأن يجعل اللام على صورة الكاف، وأن تعوّج الألفات، وأن يكتب على غير هذه الوجوه، وجاز أن يكتب المصحف بالخط والهجاء القديمين، وجاز أن يكتب بالخطوط والهجاء المحدثة، وجاز أن يكتب بين ذلك، وإذا كانت خطوط المصحف وكثير من حروفها مختلفة متغايرة الصورة، وكان الناس قد أجازوا أن يكتب كل واحد منهم بما هو عادته، وما هو أسهل وأشهر وأولى، من غير تأثيم ولا تناكر عُلم أنه لم يؤخذ في ذلك على الناس حد محدود مخصوص، كما أخذ عليهم في القراءة والأذان، والسبب في ذلك أن الخطوط إنما هي علامات ورسوم تجري مجرى الاشارات والعقود والرموز، فكل رسم دال على الكلمة مفيد لوجه قراءتها تجب صحته، وتصويب الكاتب به على أي صورة كانت، وبالجملة فكل من ادعى أنه يجب على الناس رسم مخصوص وجب عليه أن يقيم الحجة على دعواه وأنى له ذلك؟) (نقله الزرقاني، 1995م، 1/ 380).

ويذهب (الفقير، 2012م، نت)؛ إلى أن الرأي الأول هو الرأي الراجح في هذه المسالة وهذا ما يوافقه فيه الباحث، وهو يعلل ذلك بالأسباب الآتية:

1. أنه يقوم على رعاية الإحتياط للقرءآن، إبعاداً للناس عن اللبس والخلط فيه، وإبقاءً على رسمه الأول المأثور الذي يقرأه العارفون، ومن لا يخشى عليهم الالتباس، ولا شك أن الاحتياط مطلب ديني جليل، خصوصاً في جانب حماية التنزيل.
2. أن المحافظة على الرسم العثماني تثمر بقاء الفوائد والحكم الكثيرة له، واستيعابه للقراءات، ويحافظ عليها؛ فلا تضيع ولا تفوت.

ويضيف الباحث إلى ما سبق داعماً الرأي الاول الداعي إلى وجوب اتباع الرسم العثماني، إن أجماع المسلمين على وجوب تعظيم كتاب الله بحُسن تلاوته وتصديق أخباره وامتثال أوامره وإجتناب نّواهيه وإقامة حروفه وحدوده والعمل به، وتعظيم شأنه والسَّير على منهاجه، والتقيد بنطق آيهِ، انه يمكن القياس على هذا الإجماع باستباط ما ينبغي على الخطاطين أو الكُتّاب عمله في هذا الباب، ويبدأ بان

يقف كل منهم على الحكم الشرعي في كيفية كتابة القرآن الكريم والتقيد بالرسم العثماني، ذلك أن خط القرآن العظيم ورسمه معجز كلفظه وبما أن قراءة القرآن الكريم سنة من سنن الإسلام، لها ضوابط وأحكام يمكن القياس عليها في استنباط أحكام لكتابة القرآن الكريم.

الخط العربي:

أ/ أثر الإسلام على الخط العربي:

لما جاء الإسلام حمل معه العوامل التي فرضت استخدام الكتابة وزادت من ساحة استخدامها اتساعاً فدخلت الكتابة بمقدم الإسلام صفحة جديدة مضيئه، إذ بدأت الكتابة تعمل من خلال النظام الاجتماعي الجديد الذي وضعه الإسلام بكل جوانبة المادية والمعنوية، وصارت الكتابة واسطة من أهم الوسائط في التثبيت والتسجيل والتلقين والنشر، حتي تطورت وأصبحت خلال نصف القرن الذي أعقب الهجرة النبوية مظهراً لتطور عظيم، واكتسبت مع أول سورة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في خمس آيات، بدأت بقوله تعالى: (اقرأ). اكتسبت أهمية قدسية لازالت تحافظ عليها حتي الآن. ثم نزلت آيات أخرى متعددة (سور: البقرة 282 – القلم: 1) تربط الكتابة دائماً بمصدر إلهي وتأمر باستعمالها حتي أخذت مكانها في حياة المسلمين كأمر لاغني عنه. وفي الوقت الذي كان يزيد فيه إبداع الوحي بالكتابة من مكانتها القدسية، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الصحابة بالحرص على تعليم أبنائهم القراءة والكتابه فريضة لا مندوحة عنها.

ومن تشجيعه عليه الصلاة والسلام أيضاً على تعلم الكتابة ونشرها بين المسلمين أنه: عندما أسر يوم بدر سبعين أسيراً من المشركين كان يفادى بهم على قدر أموالهم، فمن لم يكن له مال أمر بأن يعلم عشرة من الصبيان المسلمين القراءة والكتابة، فهذا فداؤه (ابن سعد، 1325هـ، 14/2).

ويورد (أبوبكر، 1984م، 12): أن الكتابة دخلت طوراً جديداً بمجئ الإسلام، وكانت نقطة التحول هي نزول الوحي وتدوينه بالحرف العربي على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، وبذلك ارتبطت الكتابة بالقرآن وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من العمل الديني. ولأول

مرة في تاريخ الكتابة العربية يوجه اهتمام مباشر لتعليم الكتابة على مستوى العامة، عندما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم فدية الواحد من أسرى قريش: أن يعلم الأسير (الذي يعرف الكتابة) عشرة من صبيان المدينة الكتابة. ثم صار تعلم الكتابة من شعائر الدين كما صارت الكتابة فيما بعد أصلاً لكل تعليم.

دعم النبى الكريم صلى الله عليه وسلم الكتابة، وشجع على تعلمها كأداة للمعرفة ووسيلة لنشر الدين وتبليغه، من خلال أحاديث كثيرة، منها قوله عليه الصلاة والسلام: (قيدوا العلم بالكتاب) (القلقشندى، 1987م، 36/1) [60]

وقوله في الوصية المكتوبة (ما حق أمرئ له مايوصي فيه يبيت ثلاثاً إلا ووصيته عنده مكتوبة) (ابن سعد، 1325هـ، 108/4). [61]

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يشجع النساء كذلك على تعلم القراءة والكتابة، وكان يأمر عبدالله بن سعيد بن العاص أن يعلم الناس الكتابة بالمدينة (ابن الأثير، 1937م، 715/3).

ومن خلال دعم الرسول صلى الله عليه وسلم للكتابة وتعليمها ظهرت جماعات كثيرة تحمل لقب المعلمين، خرجت من المدينة إلى البوادي، فكان منهم سبعون معلماً ذهبوا إلى بئر معونة وآخرون ذهبوا إلى الرجيع (حمادى، 1971م، 20).

يرى (اوغور درمان، 1990م، 16) أن هناك حقيقة أخرى هي أن حفاظ العرب على كل هذا التراث وانتقاله من جيل إلى جيل انما يرجع إلى مالديهم من ذاكرة جد قوية، لأنه كان ممكناً أن نختار الشكل المقصود من شتى الاحتمالات عند قراءة النصوص البسيطة التي كتبت بهذا الخط، فإن قراءة النصوص الطويلة الصعبة كانت تستوجب على مايبدو معرفتهم المسبقة لها حتي تقرأ صحيحة. والذاكرة في كتابة نصوص على هذا النحو انما كانت عاملاً مساعداً ليس إلاّ. والتدابير التي

---

[60] تخريج الحديث: (الحكيم سمويه) عن أنس (طب ك) عن ابن عمرو. قال الشيخ الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: 4434 في صحيح الجامع.

[61] تخريج الحديث: سنن النسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على الخراساني، النسائي (المتوفى: 303هـ) باب الكراهية في تأخير الوصية (11|386)برقم 3560 تحقيق الألباني: صحيح، انظر ما قبله (3618).

اتخذوها لإصلاح الخط كانت في الأكثر لكتابة المصاحف. فلم تطبق على النصوص اللغوية والأدبية إلا بعد قرنين على الأقل.

وقد كتب لهذا الخط البقاء بفضل تدوين القرآن الكريم به، وأصبح رسماً للمصحف الشريف، وإستخدمته الدولة الإسلامية في دواوينها كما استعمل في كافة المعاملات اليومية. ومع إنه أخذ من الرسم النبطي الأصلي كثيراً من خصائصه، فقد قام علماء المسلمين بإدخال تعديل عليه فأضافوا إليه ما يسد حاجة العربية في التعبير عن أصواتها، وأعادوا تعديل رسم الحروف واستحدثوا الشكل، حتى صار رسماً عربياً خالصاً، وزادوا فيه رموز الأصوات الأسنانية (ث، ذ، ظ)، ورموز الأصوات (ض، غ، خ)، ورموز أصوات المد الطويل (أ، و، ى)، كما زادوا الحركات والنقط (عكاشه، 2006م، 189- 186).

وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فتحت المدارس، وعين عليها المعلمون وقد وصلت من زمن الخلفاء الراشدين مجموعة وثائق، يرجع تاريخها إلى زمن عمر بن الخطاب (13/ 23هـ)، وأقدمها يرجع إلى سنة 20 هـ (640) وآخرها يرجع إلى زمن خلافة على بن إبى طالب سنة 40 هـ (660م)، وتشتمل هذه الوثائق على: كتابات على البردي - نقوش حجرية – مسكوكات (الجبورى، 1994م، 50).

ب/ النهضة الفنية للخط العربي:

بدأت النهضة الفنية للخط العربي مع بناء الكوفة واتخاذها مقرًا للخلافة أيام الإمام على بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي شجع عملية التدوين وتجويد الكتابة (الخط). فتكاثر فيها كاتبو القرآن ومحررو الرسائل، وصار خط أهل الكوفة مميزاً بشكله عن الخط الحجازي فاختص بكتابة المصاحف. وفيما بعد، وتحت دواعي الإسراع في التدوين، تحولت الكتابة العربية من صورتها الكوفية وابتدعت أنواع عديدة للخط العربي وفروع متنوعة وصور شتى تسابق الخطاطون في تنميقها ووضع قواعد رسمها. وأخذ الخط العربي يسمو ويرتقي على يد هؤلاء المهرة الذين كانت لهم اليد الطولى في تجويده وتحسينه. وسمي الخط الحسن بالخط الموزون لاتزان أشكاله، ومنه قلم خط الجليل أو ما عرف بالطومار. والذي أشتقت منه أنواع عدة فبلغ عدد

الأقلام اثني عشر قلمًا، واستحدث من الطومار قلمان أطلق عليهما الثلثين والثلث (بالنسبة إلى الطومار). وفي العهد العباسي بدأ الخط العربي يساير بقية العلوم نمواً وتقدماً. واكتسب مهابةً وقداسةً لإرتباطه بتدوين القرآن الكريم والنصوص الدينية المقدسة" (www.isesco.org.ma).)

لقد أعطى العرب الخط الجميل عناية خاصة عند كتابة القرآن، منطلقين من مبدأ مثّله قول على بن أبي طالب: (الخط الجميل يزيد الحق وضوحاً). وقول عبدالله بن عباس: (الخط لسان اليد). وهكذا كان الخط الجميل موازياً في أهميته تدوين القرآن. وانتشر في أرجاء الإمبراطورية الإسلامية التي اتسعت لتضم بلاد فارس والهند وأذربيجان وتركيا والأندلس. واتخذ الخط مكانه كفن رفيع في الأوساط الاجتماعية والفنية (البهنسي، 1979م، 109).

ج/ تنشئة الخطاط:

كان التمرس في فن الخط في العهود التي كانت فيها هذه الصنعة معدودة بين الحرف المعتبرة، يبدأ في المدارس بدروس في تحسين الخط. وكان البدء بهذه الدروس في سن مبكرة يجعل الصبية ذوى الملكات يميلون في شبابهم بكل الشوق إلى هذا الفن، بينما يجعل من لايملكون ملكة فيه ينشأون وفي أنفسهم على الأقل حب لتذوق الجمال، وعندما يشعر أحد بهوى في نفسه إلى فن الخط، يتوجه إلى أحد المعلمين، يقوم المعلم فيكتب له عبارة من نوع الخط الذي يرى تعليمه للطالب حتى يقوم هو الآخر بتقليدها ومحاكاتها، ويقال لهذه العبارة التي كتبها المعلم (ألمشق). ومهما كان نوع الخط المزمع تعلمه فالمتعارف عليه أن يتعلم أولاً رسم الحروف واحداً واحداً، ثم حرفين حرفين يكتبهما متصلين حتى ينتهي من الأبجدية كلها. وفي تلك الأثناء قد يرى أن المعلم يضع للطالب شتى العقبات ويتمنع عليه في الدرس حتى يقيس مدي حبه للخط وشغفه بإجادته، فتلك حادثة نشهدها على مدى التاريخ. فإذا لم تكن رغبة الطالب في تعليم الخط قد ملكت عليه نفسه، ونفذ صبره ترك الدرس وأنصرف عن التعلم. أما إذا كان حبه للفن متوقداً بين جوانحه زادة تمنع المعلم حباً على حب، وذاك هو الطالب الذي يبحث عنه المعلم. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن أكثر الخطاطين فقراً وعوزاً

ليسعده أن يعلم فنه لطلابه دون أن ينتظر منهم مقابلاً أو يقبل حتى هداياهم لأن يعد ذلك زكاة فنه، إلا إذا كان يقوم بهذه الوظيفة مكلفاً من قبل الدولة، ففي هذه الحال يجوز له أن يتقاضى راتباً يومياً أو شهرياً.

ويجتهد الطالب في أن يرسم الأمشاق التي كتبها له معلمة بعينها، فان لم يستطع ساعده المعلم في تعريف الحروف بمقاييس النقطة، فإن راق للمعلم ما رسمه الطالب في الدرس التالي قدم له مشقاً آخر. وإن انتهى الطالب من تعلم رسم الحروف مفردها ومثناها، وهي مايطلق عليها (المفردات). انتقل إلى مرحلة ثانية يتدرب فيها على رسم (مركبات)، فيكتب آيةً أو حديثاً أو قطعة من الشعر وتختلف قطع المفردات والمركبات التي تكتب من أجل المشق (أي التعليم) عن القطع الأخرى في أنها تكتب في أمشاق الثلث سطراً بالثلث ثم سطرين بالنسخ ثم سطراً بالثلث، أما في قطع أمشاق النسخ تعليق (أو التعليق العثماني) فهي لا تكتب بسطور مائلة، بل تكون بسطور مستوية. و في أغلب أمشاق التعليم إشارة الأستاذ إلى تلميذه ليحثه على (السعي)، وهي كلمة جرى العرف على استخدامها، وتأتي على شكل حرف سين مبتدئة، يرسله الأستاذ طويلاً بين سطور الكتابة، حتى ليبدو وكأنه خط سحبه القلم.

في نهاية كل هذه الأعمال ينظر المعلم في أمر الطالب، فأن رأى أنه نضج وكملت عدته طلب إليه أن يقلد خطاً لأحد الخطاطين القدامى (ويكون في الغالب من نوع القطعة). فإن استطاع الخطاط الناشئ أن يبرز مهارته في التقليد كتب له المعلم عبارة (إجازة) توضح أنه أجاز لهذا الخطاط الناشئ صلاحية التوقيع على الكتابات التي يكتبها. وتقول المصادر التركية إن تقاليد (الإجازة) هذه وضعها زين الدين عبد الرحمن بن الصايغ (769هـ/1368م – 845هـ / 1442م) وظلت مرعية من بعده عهداً طويلاً (أغور درمان، 1999م، 37).

د/ التقليد والمحاكاة في الخط:

التقليد والمحاكاة في فن الخط هما من المراحل الهامة التي يقطعها الخطاط الناشئ في سبيله نحو إجادة الفن والتمرس فيه، فالخطاط الناشئ يجتهد في كتاباته أن يحاكي أستاذه ويحاكي المدرسة التي يتبعها أستاذه. بل إن هناك بعض الخطاطين

الكبار منحوا بعض المتميزين من طلابهم صلاحية وضع أسمائهم على النقول التي يأخذونها عنهم. وهذا ما يعنى منح بالإجازة.

غير أن طبيعة التقليد والمحاكاة قد اختلفت مع مرور الزمان، وأصبح الخطاطون – مع تطور فن الخط وتقدمه – يتحاشون التشبه في الكتابة بأساتذتهم ومع ذلك فقد يرغب أحد الخطاطين الكبار في إبراز مهارته في مجال لم تجر عليه يده فيحاكي أستاذة قديماً وهو في قمة نضجه الفني حتى ولو كانت الطريقة تخالف طريقته؛ فقد كان العماد الحسني يقلد مير على، و الحافظ عثمان يقلد الشيخ حمداً لله، و محمد أسعد اليساري، وعرب زاده سعد الله، يقلدون العماد، وذلك على الرغم من أنهم جميعاً كانوا قد بلغوا مراحل متميزة في الخط. وقد يصعب الأمر كثيراً لاسيما إذا كانت الكتابة المقلدة ليست على سطور مستوية، وتداخلت الحروف فيما بينها وتقاطعت في مواضع كثيرة حتى أصبحت عسيرة المنال مثل قطع التسويد. وتعد قطعة التسويد التي مشقها إسماعيل الزهدي بخط الثلث محاكاة لخط الشيخ حمد الله واضح الأمثلة على ذلك، ولم يحدث أبداً في كتابات التقليد والمحاكاة تلك أن وضع أحدهم عن طريق (الشف) ورقة فوق الكتابة الأصلية وحاول استخراج نسخة مطابقة منها (مصطفى أغور درمان، 1999م، 37).

وقد أولي شيوخ الخط عناية كبيرة لكتابات التقليد والمحاكاة هذه، وكان منهم من تحاشى التصحيح في الكتابة، وفضل في عملية النقل هذه التي تجري بقدرة العين واليد فحسب استخدام المداد الثابت بدلاً من مداد السناج الذي تسهل إزالته من على الورق باللعق أو الكشط لأن الغاية هي الكشف عن القدرة على التقليد والمحاكاة دون الحاجة إلى تصحيح الكتابة.

وفي كتابات التقليد يكتب المُقلِد اسم المُقلَد، أو يضع (إمضاء) المُقلَد كما هي على الكتابة الأصلية، ثم يضيف اسمه إليها. غير أن وضع اسم صاحب الكتابة المقلدة على الكتابة الجديدة ليس شرطاً في كل الأحوال؛ لأن عملية التقليد والمحاكاة ممارسة فنية يقوم بها الشخص لإثبات قدراته وإقناع نفسه أولاً. وهناك أيضاً بعض

الخطاطين أخذوا تراكيب قديمة ثم تناولوها من جديد بطريقتهم الخاصة في كتابة وليس على سبيل التقليد .

وخلاصة القول أن التقليد والمحاكاة في الخط أمر يختلف تماماً عما علية التقليد عند الغربيين في فن الرسم والنحت. ولو أننا نشاهد كثيراً في الشرق أيضاً من يقومون بأعمال النسخ والتقليد بقصد التزوير، ولكن التقليد الذي نتحدث عنه هنا هو التقليد المباح المشروع في فن الخط، وذلك على عكس ما في الفنون الأخرى كالموسيقى والزخرفة والمنمنمات وغيرها فهو – أي التقليد في الخط – بعيد عن سوء النية والاحتيال (أغور درمان، 1999م، 38)

هـ/ قطع التسويد:

في فن الخط يلجأ الخطاط من حين لآخر بقصد الاحتفاظ بقدرته الدائمة على الكتابة والتمرس إلى تناول ورقة ويشرع في كتابة ما يعن له من حروف أو كلمات أو عبارات قد تكون من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبوية الشريفة أو مأثور القول أو غيرها، ثم يعيد على نفس الورقة ما لايعجبه من الحروف أو الكلمات. ويظل يفعل ذلك على الورقة من اليمين إلى اليسار ومن أعلى إلى أسفل وهو يدير الورقة من جوانبها الأربعة دون أن يعبأ لركوب الحروف والكلمات فوق بعضها البعض، حتى تمتلئ مهاد الورقة عن آخرها ويتحول لونها في النهاية إلى السواد من كثرة جريان القلم فوقها وهذه العملية يطلقون عليها اسم التسويد، لأنها بمثابة (المشق) أي التعليم. ولهذا السبب يذيلها الخطاط بعبارة: (مشقه فلان) أو (سوده فلان) بدلاً من عبارة: (كتبه فلان) .

أما إذا تحاشي الخطاط أن تركب الحروف والكلمات فوق بعضها البعض، فأرسلها بدقة ظهر لنا نوع آخر من هذه القطع، يعرف باسم تمرين. والحق أن الغاية من قطع التسويدات وقطع التمرينات واحدة، فلا يختلفان إلا في الشكل.

وقد يلجأ الخطاط لمثل هذه التسويدات والتمارين للبحث من خلالها في الوقت ذاته عن مقاس جديد أو نسبة جديدة، فينتقي من بين الأحرف والتراكيب التي سودها أجملها وأحسنها ليستعين بها فيما بعد في كتاباته كما تعد في الوقت ذاته مصدر إلهام

للخطاطين الناشئين، ينظرون إليها ويختارون لأنفسهم مايروق لهم فيها من حروف وتراكيب.

وتكتب التسويدات بكافة أنواع الخطوط، وإن كان الغالب في كتابتها هو خط الثلث والثلث والنسخ والتعليق. أما الأحبار المستخدمة فهي الأسود في الغالب على ورق فاتح اللون، ونادراً ما تستخدم أحبار وأوراق من ألوان، أخرى، أكثر جاذبية (أغور درمان، 1999م، 38) (شكل 2)

و/ أسلوب خط المصحف:

استقر اسلوب كتابة المصحف الشريف في العصر الحالي على خط النسخ (شكل 3)، غير ان هناك بعض المصاحف تخط بالخط المغربي وهي المنتشرة في منطقة المغرب العربي وبعض دول غرب أفريقيا. وخط النسخ أو الخط النسخي سمي بعدة تسميات منها البديع، المقور، المدور. وهو يجمع بين الرصانة والبساطة ومثلما يدل عليه اسمه فقد كان النساخون يستخدمونه في نسخ الكتب. وقد أطلق عليه اسم خط النسخ لكثرة استعماله في نسخ الكتب ونقلها، لأنه يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة أكثر من غيره، ثم كتبت به المصاحف منذ العصور الإسلامية الأولى، وامتاز بإيضاح الحروف وإظهار جمالها وروعتها. وقد اعتنى الخطاطون المسلمون بهذا الخط كونه استخدم في كتابة القرآن الكريم.

و ينسب اختراعه إلى عبد الله الحسن بن مقلة أخ الوزير أبي على ابن مقلة، وكان ابن مقلة يسميه البديع. وخط النسخ قريب من الثلث من حيث الجمال والروعة والرقة وهو يحتمل التشكيل ولكن أقل من الثلث، ويكتب بخط النسخ القرآن الكريم والأحاديث النبوية ويصلح لبعض اللوحات الكبيرة وقد كتب به على التحف الثمينة المعدنية والخشبية وكُتب به على الجص والآجر والرخام واعتبر عنصراً من عناصر الزخرفة (الجبوري، 1994م، 142).

وخط النسخ يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة أكثر من خط الثلث وذلك لصغر حروفه وتلاحق مداتها مع المحافظة على تناسق الحروف وجمال الرونق (ناجى زين الدين، 1968م، 36).

وتستعمل الصحف والمجلاّت هذا الخط في مطبوعاتها، فهو خط الكتب المطبوعة اليوم في جميع البلاد العربية. وقد طوّر المحدثون خط النسخ للمطابع والآلات الكاتبة، ولأجهزة التنضيد الضوئي في الحاسوب لكتابة الصحف والمطبوعات اليومية، وسمّوه باسماء عديدة منها الخط الذي نضددت به هذه الدراسة.

1. توجد ضوابط عامة لقراءة وكتابة القرآن الكريم، يمكن استنباط آداباً منها وفقاً لمحاور عمل الخطاطين.

بعد العرض التأريخي لأدبيات الدراسة في المباحث الأول، الثاني والثالث، وتحليل المعلومات المتعلقة بموضوع الدراسة، تحقق الدارس من صحة فرضية الدراسة. ذلك أن علماء القرآن الكريم صاغوا قواعد و أوجدوا ضوابط خاصة بالقرآن الكريم، وقد اتفق غالبهم على أن تعظيم القرآن الكريم قراءةً وكتابةً من أُمور الدين الجليلة وإن احتقاره أو تكذيبه يدرج الانسان مدارج الكفر والخروج من المله، وعليه جاءت هذه الدراسة لتقرب وتستخلص وتصيغ أهم آداب كتابة القرآن الكريم وفقاً لمنهجها الاستدلالي/الاستنباطي، لتكون هادياً وملاذاً للخطاطين حال ارتباط عملهم بآيات القرآن الكريم، وقد قسم الدارس النتائج المتحصلة على محورين توافقاً مع طبيعة الاعمال الخطية، اذ ينحصر تعامل الخطاطين مع القرآن الكريم في محورين (محور الاعمال الفنية والتمرينات وقطع التسويد) و (محور كتابة المصحف الشريف).

النتائج:

أ/ أهم نتائج الدراسة:

محور الأعمال الفنية والتمرينات وقطع التسويد:

1. على الخطاط أثناء إجراء التمرينات الخطية على الكلمات والعبارات البعد عن اختيار آيات القرآن الكريم ما امكن له ذلك، والتمرن على أبيات الشعر والحكم والأمثال، حبذا التي لا تحوي لفظ الجلالة.
2. في حال إن أراد الخطاط عمل لوحات فنية تحوي آيات من القرآن الكريم ويستلزم الأمر إجراء تمرينات أولية على هذه الآيات، عليه بعد الفراغ من التمرينات التخلص من أوراق التمرين بصورة مثلى،

وذلك بتجزأة وتفكيك النص بتقطيع حروف الكلمة الواحدة حرفاً حرفاً.

3. يجب اتباع رسم المصحف العثمانى الذى أجمع عليه الصحابة في كتابة الآيات وترتيبها.

محور كتابة المصحف الشريف:

ينبغى لمن أراد أن يكتب مصحفاً أن:

1. يقف على الحكم الشرعى في آداب كتابة القرآن الكريم.
2. يتبع رسم المصحف العثمانى الذى أجمع عليه الصحابة. وأن يكتبه على ترتيبه في السور والآيات.
3. يكون على طهارة في البدن والثوب والمكان، وأن يكتبه بأدب وتعظيم، وأن يحسن خطة ولا يطمس منه شيئاً وأن لا يكتبه بحروف صغيرة بحيث تصعب قراءته.
4. ان يكون متوضئاً خاشعاً متأدباً متبتلاً قلبه حاضراً، و خير العمل ما كان في الثلث الأخير من الليل، ثم الفجر، ثم الصبح، ثم باقي أوقات النهار.
5. ان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ويقرأ البسمله ويستقبل القبلة ما أمكن له ذلك.

ب/ مناقشة النتائج:

إن من أسباب إختيار الدارس لهذا الموضوع ما لحظه أثناء تدريسه لطلاب قسم الخط العربي والزخرفة الإسلامية في كلية الفنون الجميلة والتطبيقية/ جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، ومن خلال ملازمته لكثير من الخطاطين، إذ لحظ الباحث أن البعض من الطلاب و الخطاطين يكتب آيات من القرآن الكريم بغرض التدرب على رسم الحروف صحيحةً أو بغرض إنتاج أعمال فنية، وفي هذا يكتبون الآيات القرآنية بغير رسمها العثماني، أي على القاعدة المألوفة في النطق وبحسب ما جرت عليه العادة في الكتابة اليومية، ومنهم يكتب ما يعن له من حروف أو كلمات أو عبارات قد

تكون من القرآن الكريم أو من الأحاديث النبوية الشريفة أو من مأثور القول أو غيرها بقصد الاحتفاظ بقدرته الدائمة على الكتابة والتمرس، ثم يعيد على نفس الورقة ما لايعجبه من الحروف أو الكلمات. ويظل يفعل ذلك على الورقة من اليمين إلى اليسار ومن أعلي إلى أسفل وهو يدير الورقة من جوانبها الأربعة، ثم بعد الفراغ من العمل يتخلص من هذه الورقة دون أن يعبأ لما قد يكون فيها من آيات قرءانية. و لحظ الباحث ايضاً ان بعض الخطاطين أو طلابهم يكتبون آيات من القرآن الكريم دون إعطائه حقه من التقديس والإحترام، إذ يرى الباحث انه ليس من الأدب مثلاً أن يمسك الخطاط في يده بـ(سجارة) أثناء كتابة القرآن الكريم. كل هذا ساق الباحث إلى البحث في هذه المسالة هادفاً إلى استنباط آداب من أقوال أهل العلم المتفق عليها، لتكون نبراساً للخطاطين أثناء رسمهم لآيات القرآن الكريم، أو عند الشروع في كتابة المصاحف مستخدماً في هذا البحث المنهج الاستدلالي/ الاستنباطي.

ومن خلال الإطار النظري لهذه الدراسة عرض الدارس آراء العلماء في المحافظة على الرسم العثماني، وقد تبين فيها رأيان. الرأي الأول يذهب إلى وجوب المحافظة على الرسم العثماني وعدم جواز كتابته بغيره؛ وعلى هذا الرأي الأئمة الأعلام ومنهم الإمام مالك؛ و الإمام أحمد، وايضاً من القائلين بوجوب المحافظة على الرسم العثماني الامام البيهقي. ويتمثل الرأي الثاني الذي يرى عدم وجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة القرآن الكريم في ما ذكره القاضي الباقلاني؛ إذ قال: (أما الكتابة فلم يفرض الله على الأمة فيها شيئاً، إذ لم يأخذ على كُتاب القرآن وخُطاط المصاحف رسماً بعينه دون غيره، أوجبه عليهم...الخ).

إن الاختلاف بين أهل العلم عادة ما يكون سائغاً ومقبولاً إن تم التعامل فيه بالحجة والمنطق و التسامح والاحترام، لكن هذا لا يعني فتح باب الاجتهاد على مصراعيه لكل باحث كي ينظر في الأدلة ويجتهد في الاستنباط من غير رجوع إلى أقوال العلماء المعتبرين، أو النظر في مذاهبهم، حتى لا يخرج بأقوال جديدة لم يتنبه إليها أفذاذ العلم السابقين. لذلك أورد الباحث آراء اهل العلم الثقات، إذ يتفق معهم في

وجوب الالتزام والمحافظة على الرسم العثماني في كتابة القرآن الكريم، قياساً على وجوب تقديس القرآن كله (رسمه، لفظه، معناه).

لقد أجمع المسلمون على و وجوب تعظيم كتابُ الله بحُسن تلاوته وتصديق الأخباره وامتثال أوامِره واجتناب نّواهيه وإقامة حروفه وحدوده والعمل به، وتعظيم شأنه والسَّير على منهاجه، ومن تعظيم كتاب الله أن لاَ يقرأَه الإنسان وهو جنُب، وأن لا يمس المصحفَ إلاّ على طَهارة؛. ومن تعظيمه إحضار القارئ لقلبه في القراءة والتفكّرُ فيها، ويكره قطع القراءة لكلام الناس، وقياساً على هذا واستباطاً منه يرى الباحث أنه ينبغى لكاتب القرآن الكريم أن يكون على طهارة في البدن والثوب والمكان، وأن يكتبه بأدب وتعظيم، وأن يحسن خطه ولا يطمس منه شيئاً وأن لا يكتبه بحروف صغيرة بحيث تصعب قراءته، ومن الواجب على الخطاطين أو الكُتّاب ان يقف كل منهم على الحكم الشرعي في كيفية كتابة القرآن الكريم. ذلك أن خط القرآن العظيم معجز كلفظه. وبما أن قراءة القرآن الكريم سنة من سنن الإسلام، تستوجب إخلاص النية وحسن القصد وعليها يؤجر المسلم يمكن القياس على ذلك في حكم كتابة القرآن الكريم، فكتابة القرآن الكريم يظهر فيها محوران محور كتابة بعض آي القرآن كما في اللوحات والأعمال الفنية، ومحور كتابة المصحف الشريف كاملاً أو أجزاءٍ منه، وكلاهما يؤجر العبد عليه إن أخلص النية لله تعالى وحسن قصده. لذلك يجب على الخطاط أن يحضر ذهنه ويركز حواس تفكيره ليتدبر معاني القرآن الكريم و يحاول تفهمها ما أمكن له ذلك، فذلك من أهم المقاصد المبتغاة، كما يجب عليه أن يقدر أنه هو المقصود بكل أمر و بكل نهي من أوامر القرآن ونواهيه، فالمسلم من اتعظ بآيات القرآن و جعلها دستوره في معاملاته، و اتبع آدابه وحدد صلته بالناس على هدي أحكامه، وفرق بما جاء فيه بين الحلال و الحرام، فهو نورُ و شفاء.

إن كتابة المصحف الشريف من أجّل الأعمال وأطيبها، ذلك أن الله تعالى كما اصطفى من عباده حفظة للقرآن الكريم والمشتغلين بعلومه، كذلك فإن كتابة المصحف الشريف يصطفى الله لها من هو أهل لها، فليس كل خطاط قادر على كتابة المصحف الشريف حتى ولو كان على أعلى درجات من إجادة رسم الحروف. وعليه يستحسن على من أراد أن يكتب القرآن أن يستحضر النيّة، و يخلص إخلاصاً كاملاً لله تعالى، وأن يتخلص من كل غرض دنيوي؛ وعليه الاستعاذة بالله والبسملة.، (بإستثناء سورة براءة). و تفريغ النفس من شواغلها قبل الإقبال على العمل. فلا يكن أثناء العمل- جائعاً أو عطشاً، أو يعيش في برد شديد أو حر مؤذ، أو جالساً أمام التلفاز أو الراديو أو المسجل، وحصر التركيز أثناء العمل، ومنعه من الشرود والتجوال مع مظاهر الحياة. وإستحضار الخشوع اللائق بكتاب الله. ثم يختار الوقت المناسب لذلك. وأفضل الأوقات ما كان في الثلث الأخير من الليل، ثم الفجر، ثم الصبح، ثم باقي أوقات النهار. وعليه اختيار الجلسة المناسبة، وأفضل الجلسات أن تستقبل القبلة، أو أية جلسة شاء، على أن يظهر فيها توقيره لكلام الله وتذلله وإجلاله له. ثم الطهارة في الثوب والمكان والبدن، و تطهير أدوات الخط وتنظيفها، إذ هي التي يتعامل بها مع القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

المصادر:

1. ابو عبد الله محمد بن اسماعيل **البخاري** (1997م) صحيح البخاري راجعه: الشيخ محمد على قطب، والشيخ هشام البخاري بيروت: المكتبة العصرية، كتاب المناقب، باب نزول القرآن ج 3

2.ابو عمرو عثمان بن سعيد **الداني** (تحقيق، عزة حسن) (1940م) المقنع في رسم مصاحف الأمصار. سوريا: مطبعة الترقى، دمشق.

3.ابو عمرو عثمان بن سعيد **الداني** (تحقيق، عزة حسن) (1960م) المحكم في نقط المصاحف. سوريا: ط. دمشق.

4.ابوالحسين على بن الحسين بن على **المسعودي** (تصحيح، عبدالله الصاوى) (1938م) التنبية والإشراف. مصر: ط. القاهرة

5.ابوالعباس احمد بن على **القلقشندى** (1987م) صبح الأعشى في صناعة الإنشا. بيروت: دار الكتب العلميه.

6. أبوبكر أحمد بن الحسين **البيهقي** (2000م)، شعب الايمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول بيروت: دار الكتب العلمية، الجزء الثاني.

7. ابوبكر زكريا يحيى بن شرف **النووي** (ت: 676هـ)، (1417هـ/ 1996م)، التبيان في آداب كتابة القرآن تحقيق: محمد الحجار بيروت: لبنان، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة.

8. ابوبكر عبدالله بن أبى داود سليمان بن الأشعث **السجستاني** (تحقيق، آرثر جفرى) (1936م) كتاب المصاحف. مصر: طبعة الرحمانية.

9. بدر الدين محمد بن عبد الله **الزركشي** (1957م) (تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم) البرهان في علوم القرآن. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

10. على بن محمد بن **أبن الأثير** (1937م) أسد الغابة في معرفة الصحابة. إيران: المطبعة الإسلامية، طهران.

11. محمد بن منيع الزهرى **بن سعد** (تحقيق، ادوارد سخو) (1322 – 1325هـ) الطبقات الكبير ط. ليدن. يحذف

12.محمد عبد العظيم **الزرقاني** (1995م) - تحقيق: فواز زمرلي. مناهل العرفان في علوم القرآن. بيروت: دار الكتاب العربي

13. محب الدين أبوالفيض محمد مرتضى **الزبيدي** (نوادر المخطوطات تحقيق، عبدالسلام هارون) (1954م) حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق. مصر: القاهرة .

المراجع:

1. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي (د. ت) الإبانة عن معاني القراءات مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر
2. عبد الرّحمن بدوي (1977م) مناهج البحث العلمي الكويت: شركة وكالة المطبوعات.
3. حفني ناصف: (2002م) حياة اللغة العربية، الكتاب الأول: في حروف اللغة العربية مصر: مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، الظاهر.
4. د. عفيف بهنسي: (1979م) جمالية الفن العربي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، سلسلة عالم المعرفة.
5. شعبان محمد اسماعيل (2001م) رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة القاهرة: دار السلام
6. صلاح بن ابراهيم الحسن 2003م الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط. السعودية: دار الفيصل الثقافية
7. غانم قدوري الحمد (1982م) رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية

بغداد: اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، ط، الاولى.

8. لبيب السعيد (1967م) الجمع الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل، بواعثه ومخططاته القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
9. محمد بكر إسماعيل (1411هـ) دراسات في علوم القرآن القاهرة: دار المنار
10. محمود عكاشة (2006م) علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية.

مصر: دار النشر للجامعات، القاهرة/ ط. الاولى

11. مصطفى اوغور درمان (ترجمة: صالح سعداوى) (1990م) فن الخط تاريخه ونماذج من روائعه على مر العصور تركيا: مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، استانبول.

12. مصطفى أوغور درمان (1999م) أمشاق محمود شوقي في الثلث والنسخ. استانبول: اللجنة الدولية للحفاظ على التراث الحضارى الإسلامي.

13. نصر الهوريني (1902م) المطالع النصرية للمطابع العصرية في الأصول الخطية مصر: طبعة المطبعة الاميرية بولاق .

14. يحى وهيب الجبورى (1994م) الخط والكتابة في الحضارة العربية. بيروت: دار الغرب الاسلامى.

المجلات والدرويات العلمية:

1. غانم قدري الحمد: (1986م) موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة العراق: مجلة المورد، ع 4، م 15، ص 43

2. زيد عمر مصطفي (1415هـ): رسم المصحف بين التحرز والتحرر الرياض: مجلة الدارة، ع 3، السنة العشرون، ص 74

3. عبد الخضر جاسم حمادى (1971م) النظام الداخلى لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. مجلة آفاق الثقافة والتراث، سوريا: مجلة المجمع السورى. ص 20.

4. نوح مصطفى الفقير (2012م) كتابة القرآن بأقلام الأعجميين في وسائل الإعلام المعاصرة المرئية والمكتوبة وأثرها في فهم النص القرآني. جامعة مؤتة/ الجناح العسكري كلية الأمير الحسن للعلوم الإسلامية (/http://www.mutah.edu.jo)

الندوات والمؤتمرات:

1. يوسف الخليفة أبوبكر: (1984م) الحرف العربي واللغات الأفريقية داكار: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: جهاز التعاون الدولي لتنمية الثقافة العربية الإسلامية، المعهد الثقافي الإفريقي، وقائع الملتقى العربي الإفريقي حول العلاقات بين اللغة العربية واللغات الأخرى، الخرطوم/ السودان.

مواقع على شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

1. عبد الباري بن عوض الثبيتي (2012/11/25م)/ العلم والدعوة والجهاد/ القرآن والتفسير/ تعظيم القرآن الكريم/ المدينة المنورة/ المسجد النبوي- 1426/4/12 (mktaba.org/vb/showthread.php?t=5398).
2. المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - أيسيسكو - (www.isesco.org.ma)
3. (www.al-mostafa.com) ابوالفرج محمد بن اسحق بن يعقوب ابن النديم: الفهرست.

الاشكال

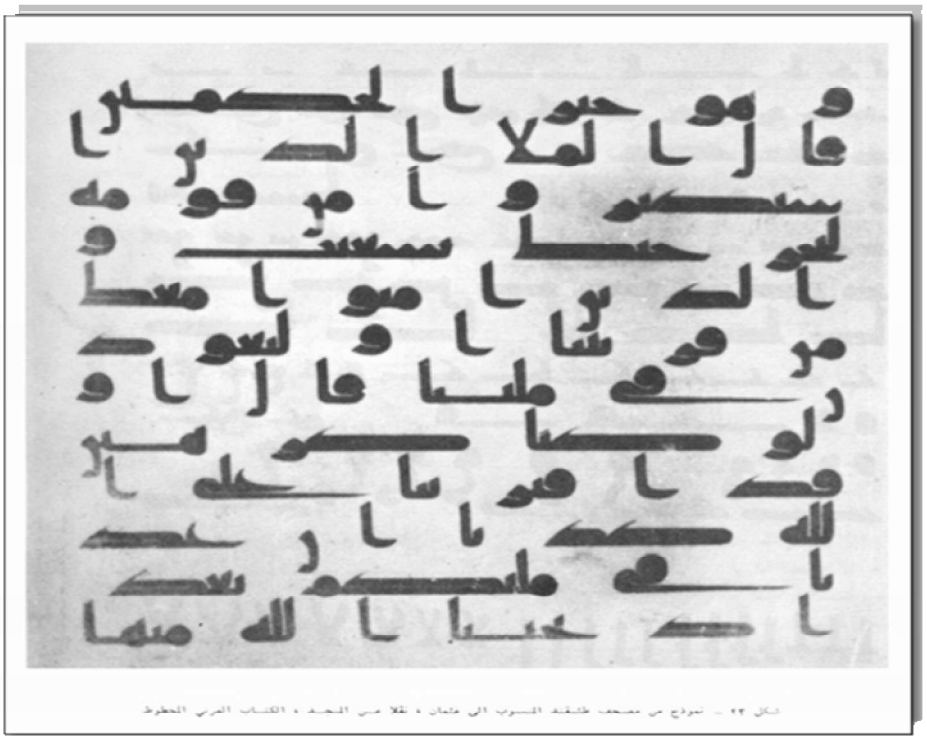

(شكل 1): صفحة من مصحف منسوب إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه

(شكل 2): قطع التسويد

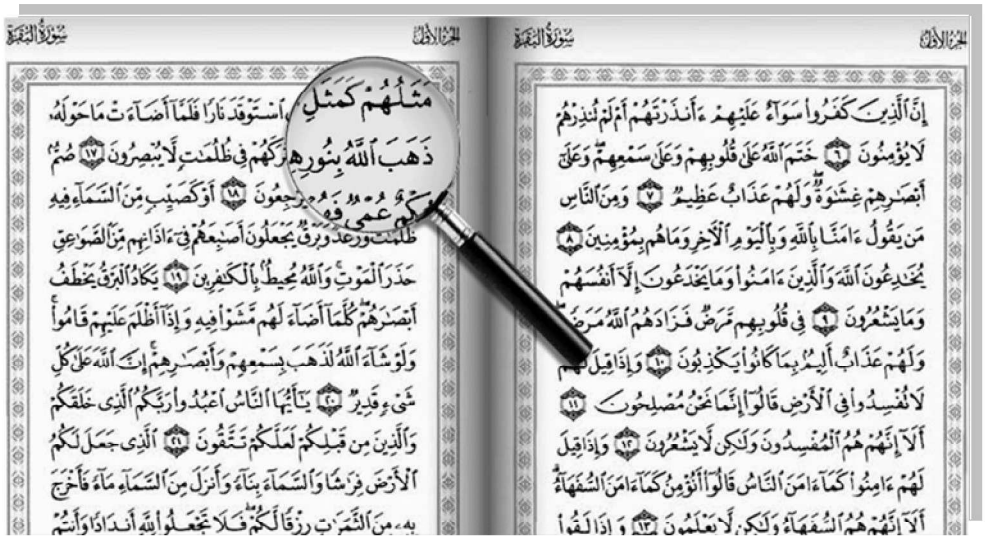

(شكل 3): خط النسخ، اسلوب خط المصحف الشريف

أثر العلاقة مع مصر في بناء التحصينات في مقرة

د. محمد أحمد عبد المجيد
مركز دراسات الآثار والتراث
جامعة وادي النيل

مقدمة:

ظلت العلاقة بين مصر والنوبة عبر تاريخها الطويل سواء كانت سلمية أو عدائية ذات أثر حتمي على سكان النوبة ونمط حياتهم. ولكن كثيرا ما تجاهلت المصادر التاريخية و الدراسات الأثرية في بلاد النوبة تبيان ذلك الأثر، رغم أهميته في الإحاطة بمجمل مكونات التاريخ الثقافي و التراث الحضاري النوبي. وظلت تركز كثيراً على دراسة الجوانب المتعلقة بالسلطة الحاكمة ومؤسسات الحكم المختلفة. ويعتبر العصر المسيحي النوبي الذي امتد من منتصف القرن السادس إلى بداية القرن السادس عشر الميلادي نموذجاً جيداً لدراسة المستويات المختلفة للعلاقات المصرية النوبية، و تتبع تأثيرها على حياة السكان وإنتاجهم الحضاري. و ذلك لثراء بلاد النوبة بآثار هذا العصر كمّاً ونوعاً وانتشاراً.

جاء هذا المقال للتعرف على ما إذا كانت هناك تأثير مباشر أو غير مباشر للعلاقات المصرية النوبية خلال هذا العصر على عامة الشعب فيما يتعلق ببناء التحصينات الدفاعية، خاصة في فترات العداء بينهما، أو فترات الاضطراب الأمني في النوبة. ويتم ذلك بتتبع بناء التحصينات في الفترات الباكرة والكلاسيكية والمتأخرة من العصر المسيحي النوبي. وبيان أنواعها، وأسباب بنائها، وأماكن انتشارها. ومن ثم ربط كل ذلك بالعلاقة مع مصر والأحداث التي صاحبتها.

دخول المسيحية إلى بلاد النوبة وبداية الصراع مع مصر:

دخلت الديانة المسيحية أرض مصر في وقت مبكر، فناهضتها الإمبراطورية الرومانية وتعرض من اعتنقوا المسيحية إلى الاضطهاد، فكان أن هاجر بعض المتحمسين للدين الجديد إلى بلاد النوبة، واثروا على من اختلطوا بهم فاعتنق بعضهم المسيحية. وهكذا بدأت المسيحية تأخذ طريقها إلى بلاد النوبة. وعندما أصبحت المسيحية دين الدولة في مصر، أخذت البعثات التبشيرية تتوافد على بلاد النوبة. ثم أخذ الامر طابعاً رسمياً في عهد الإمبراطور جستنيان (527- 565م) والإمبراطورة ثيودورا كل على مذهبه، ونتج عن ذلك أن اعتنقت نوباتيا وعلوة المذهب الارثوذوكسي (مذهب الطبيعة الواحدة) وهو المذهب الذي تعتنقه ثيودورا، بينما اعتنقت المقرة المذهب الكاثوليكي (مذهب الطبيعتين) وهو الذي عليه جستنيان(شبيكة، 1991: 6- 22).

لم يدم الحال بالنسبة إلى العلاقة الجيدة بين النوبة ومصر في ظل **الديانة المشتركة، التي كان لها دور فاعل في تطور الممالك النوبية. فقد كان لفتح العرب مصر عام 640م أثر عميق على بلاد النوبة. حيث حد بعض من الصلة المباشرة مع العالم المسيحي في منطقة البحر الأبيض المتوسط، وضعف ما كان يصلها من الثقافة والدين بالرغم من أنهم كانوا على اتصال بالثقافة المسيحية في مصر(شيني 1954:5). ولذلك أخذوا في التحرش بالحدود المصرية، وبدأت الهجمات النوبية تأخذ شكلاً مزعجاً مما حدا بالخليفة عمر بن الخطاب أن يأمر واليه في مصر بغزو النوبة. فكانت الغزوة الأولى في عهد عمرو بن العاص والثانية أيام عبد الله بن أبى سرح عام 651م الذي توغل بجيوشه حتى دنقلا، فوجد مقاومة عنيفة انتهت بمعاهدة (البقط) الشهيرة بين عبد الله بن سعد بن ابي السرح وعظيم النوبة (حسن، 1975: 25- 27). وقد نظمت هذه المعاهدة العلاقة بين مصر الإسلامية والنوبة المسيحية حتى عام 1276م (كروباتشيك، 1988: 404).**

في فترة سابقة لدخول الإسلام أرض مصر ظهرت في أقصى شمال النوبة بعض المساكن المسورة في كلابشة وسبقورة وشيخ داؤد وأخميندى، وهى مواقع واسعة ومستطيلة ومحاطة بأسوار من الحجر، وفى أركانها أبراج، وبها واحدة أو اثنتين من البوابات المحصنة. وقد ظهرت هذه التحصينات بعد فترة قصيرة من دخول المسيحية إلى بلاد النوبة (الشكل رقم 1). والجدير بالذكر أن نصاً قد وجد في أخميندى يوضح أن الحصن بنى لحماية الإنسان والحيوان. إلا أن آدمز ذكر بأن الاستيطان المحصن في النوبة الشمالية في هذه الفترة كان يقع فقط عند التقاء طرق القوافل الصحراوية بالنيل (Adams, 1884: 494-95). وكما هو واضح فإنه لم تكن هنالك أي نزاعات حدودية مع مصر. أي أن النوبة عاشت في هذه الفترة في سلام معها مما يدل على صحة ما ذهب إليه آدمز بأنها كانت لأغراض تجارية. وهذا بالطبع لا يتعارض مع النص المذكور آنفاً باعتبار أن الرقيق و الحيوان كانا جزءاًمن مجمل العملية التجارية في تلك الفترة.

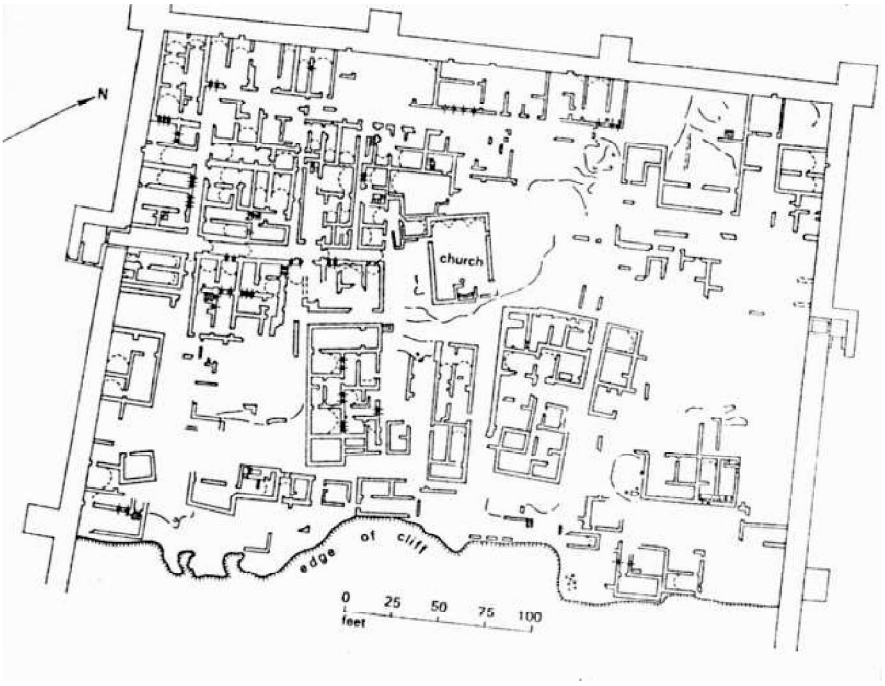

شكل رقم (1) تحصينات إخميندي بالنوبة السفلى

وقد شيدت أسوار منيعة ذات أبراج حول مدينة دنقلا العجوز في أوخر فترة ما بعد مروي بين نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين (Godlewski, 1991: 130-128). وهي مصنفة ضمن التحصينات التي تبنى لحماية مقار الحكم والإدارة. وبنيت تحصينات منطقة الشلال الرابع قبيل تلك الفترة وظلت تستخدم حتى العصر المسيحي المبكر (Paner & Pudlo, 2010: 143) بينما بنيت معظم التحصينات بين دنقلة والأراك في الفترة المسيحية الباكرة وظلت مستخدمة ابان الفترة الكلاسيكية واستخدم بعضها في الفترة المتأخرة. وربما يعزى ذلك لغياب الأمن في هذه المنطقة خاصة في الفترة المسيحية المتأخرة (Zurawski& Phillips, 1999: 65-55). وقد بنيت أيضاً تحصينات المراكز الإدارية في النوبة السفلى في قصر إبريم و جبل عدة وفرص في فترات سابقة للفترة المسيحية المتأخرة ربما من الفترة الباكرة، (عبد المجيد، 2012: 24). الجدير ذكره هنا أن التحصينات التي بنيت في دنقلا العجوز وجبل عدة وفرص لم تكن لعامة الشعب بل لحماية هذه المراكز الإدارية وفصلها من مناطق ارتياد عامة الشعب.

الفترة الكلاسيكية (850-1100م)

شهدت النوبة في هذا العصر تطوراً كبيراً في الجانب الاقتصادي، صحبه تطور ملحوظ في الجوانب المعمارية والصناعية والفنية. وأدى هذا إلى الازدهار في كافة مناحي الحياة في النوبة إلى تحولها من موقع المدافع إلى موقع المهاجم في علاقتها مع مصر. ففي النصف الثاني من القرن العاشر هاجم النوبيون صعيد مصر، ونهبوا أسوان، واحتلوا جزءاً من تلك البلاد حتى إخميم بغرض مساعدة الفاطميين على الاستيلاء على عرش مصر. وبعد انتصارهم ظلت النوبة محتلة صعيد مصر مع تعديل طفيف في الحدود لتكون عند ادفو ((ياكوبليسكي 1994: 241)). وأدى استيلاء الفاطميين على مصر سنة 969م إلى تحسن العلاقة بين النوبة ومصر. وصحبه استقرار كبير في النوبة، ووصلت قمة مجدها وأوج قوتها في أواخر القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر (شيني 1995: 8).

وخلال هذه الفترة تعددت وانتشرت مواقع استيطان عامة الشعب في النوبة، مع غياب تام للتحصينات الدفاعية حول هذه المواقع. وهذا أمر طبيعي لاستتباب الأمن الداخلي وعدم وجود مهددات خارجية على هذه المواقع. غير أن السلطات الحاكمة قد أنشأت العديد من الحصون على ضفتي النيل والجزر في النوبة خاصة في منطقة الشلال الثالث وذلك بغرض التحكم في حركة التجارة النيلية مع مصر وتنظيمها وحمايتها، ومن تلك الحصون حصن شوفين(Osman 1978: 116) (الشكل رقم 2). هذا بجانب التحصينات المشيدة حول مقار الحكم في دنقلا وفرص وجبل عدة وفصر ابريم والتي ذكرت سابقاً.

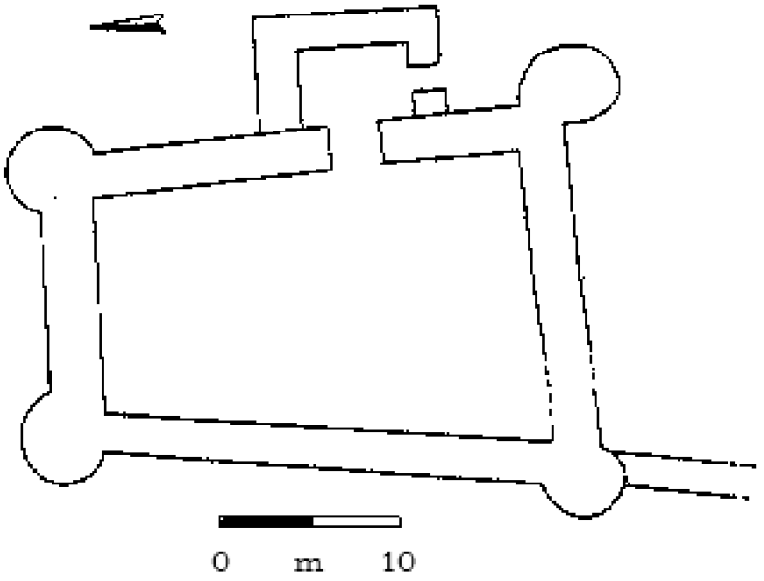

الشكل رقم (2) حصن شوفين بمنطقة الشلال الثالث

الفترة المسيحية المتأخرة في بلاد النوبة (1100-1400م)

ساءت العلاقات مرة أخرى بين النوبة ومصر الإسلامية بأفول نجم الفاطميين وسيطرة الأيوبيين على مقاليد الأمور في مصر. ودخلت النوبة في فترة تدهور مريع أدى إلى نهاية عصر الازدهار وبداية عصر الانهيار، لعدة أسباب سيتم ذكرها تباعاً.

يعتبر الحد الفاصل بين عصر الرخاء والعصر المتأخر تلك الحملة التي سيرها الأيوبيون على بلاد النوبة سنة 1137، والاستيلاء على قصر ابريم، وأسر عدد كبير من النوبيين، وتحويل كنيسة العذراء إلى مسجد، وما صاحبتها من حملات متكررة على بعض المواقع الجنوبية، والتي أدت في النهاية إلى قطع اتصال النوبة بشواطئ البحر المتوسط وإقامة حاجز بينهما (غيطاس، 1987: 123- 24).

لم يحل عقد الصلح (البقط) دون توغل العرب وأقامتهم في بلاد النوبة برغم ما ورد فيه عن وجوب دخول العرب لبلاد النوبة مجتازين غير مقيمين ضمن نصوص تلك المعاهدة (غيطاس، 1987: 107). ففي القرون السبعة التي تلت اتفاقية البقط تسربت قبائل عربية في جماعات وأفراد في يسر وبطء إلى بلاد النوبة طلباً للتجارة وسعياً وراء المرعى (حسن، 1975: 8). وتطورت الهجرة إلى بلاد النوبة بسبب الضغط الشديد الذي تمت ممارسته ضد بعض العربان في فترة الأيوبيين، وبصورة أكبر في فترة المماليك، فأصبحوا سبباً في عمليات السلب وإثارة المعارك مع المؤسسات المحلية والسلطة القائمة (كروباتشيك، 1988: 399- 451).

ويعتبر العصر المملوكي (1250-1517م) نقطة تحول حاسمة في علاقة النوبة بمصر الإسلامية، فقد أختط الملك النوبي داود سياسة هجومية ضد مصر عندما غزا أسوان وعيذاب سنة 1272م. وقد رد المماليك بأن أرسلوا سلسلة من الهجمات العسكرية لوضع حد لهجمات النوبة، ثم لجعل مقرة دولة تابعة لمصر. وتحقيقاً لهذه السياسة استغل سلاطين مصر خلافات البيت الحاكم في مقرة حول العرش وبعثوا بالأمراء النوبيين الذين أسروا وعاشوا في مصر على رأس تلك الجيوش (حسن 1975: 8).

وقد نجح المماليك في عزل الملك داؤود ملك النوبة عام 1276م وإعطاء عرش النوبة لابن عمه شكندة، واستبدال اتفاقية البقط التقليدية بحالة تبعية حقيقية ليصبح شاكندا نائباً وممثلا للمماليك في النوبة. وتحولت بذلك مقرة إلى دولة تابعة لدولة قوية، و بذلك لم تستطيع التحكم في نظامها الداخلي، وافتقدت القدرة حتى على مقاومة البدو النهابة من سكان الصحراء، خاصة العرب الذين شكلوا خطراً حقيقياً، خاصة وأن تسللهم إلى النوبة زاد بصورة حادة، فانعدم الأمن تماماً في النوبة (كروباتشيك، 1988: 404- 6).

وتبرز الاكتشافات الأثرية عدم استتباب الأمن في الفترة المتأخرة على بلاد النوبة. إذ يلاحظ وجود مواقع محصنة قليلة في النوبة السفلى مثل إبريم وفرص ومينارتى ود بيرة شرق تجمع فيها السكان بكثافة كبيرة، واتخذوا منازل بنيت من الطوب الأخضر، تميزت في القرن الثاني عشر بجدارها السميك، وتخطيطها المعقد، والدخول إليها من الأسقف بعد أن حلت الأقبية محل الأسقف المسطحة. ويشير شكل تلك الأبنية إلى استخدامها في حماية الممتلكات من المغيرين، وربما اعتمدوا في الهرب من المغيرين على خفة الحركة. وربما يفسر هذا عدم استخدام الأسوار الدفاعية في النوبة السفلي (غيطاس 1987: 124). وفى مينارتي وجد حصن صغير في الفترة المتأخرة يبلغ طول ضلعه 50 قدماً تقريباً وكان مخصصاً للجوء إليه لكل المجتمع بممتلكاته في حالة المخاطر والتهديد. أما في سرة فقد كان هنالك مجتمع وافد استقر داخل بقايا أسوار قلعة المملكة المصرية الوسطى. ومن جانب آخر فقد ظلت التحصينات التي تقع في قمم الجبال في جبل عدة وقصر إبريم مراكز أساسية للسلطة كما كانت من قبل (Adams 1984: 512-17).

أما منطقة بطن الحجر الصخرية القاسية، المجاورة للنوبة السفلى، الخالية من مواقع الاستيطان إلا القليل من القرى المتناثرة، فتكثر فيها آثار مجتمعات الفترة المسيحية المتأخرة، والتي تشكل حوالي 65٪ من جملة المواقع الأثرية في هذه المنطقة، ولا يوجد بها موقع يوازى المراكز الإدارية الكبرى في قصر إبريم وفرص وجبل عدة، وهناك شك في أن

هذه المنطقة الفقيرة القاسية أصبحت طريقاً للقوافل التجارية في العصور الوسطى، ولكن هناك عدد من اللاجئين قد هربوا إليها من الشمال فارين من الاضطرابات السياسية هناك. وقد كثرت المساكن في القمم الجبلية والصخرية. ولعل طبوغرافية منطقة بطن الحجر تصلح لمثل هذه المجتمعات.

خريطة توضح أهم مناطق بلاد النوبة

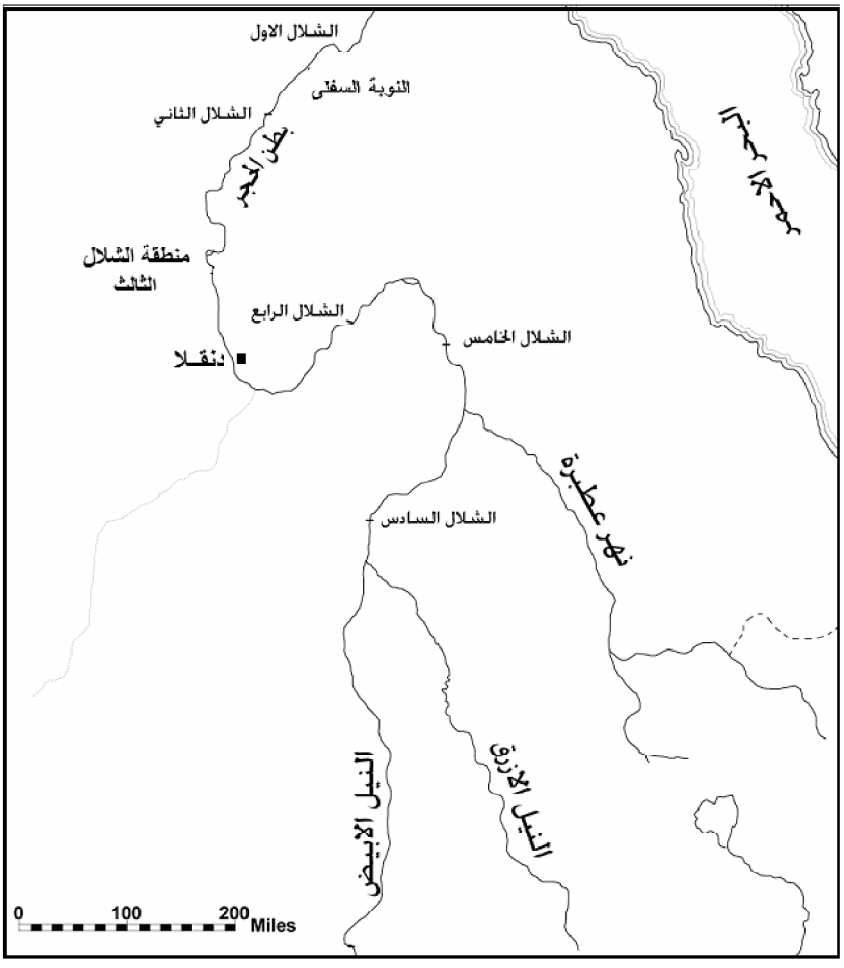

يمكن تقسيم تحصينات منطقة بطن الحجر حسب تخطيطها المعماري إلى ثلاثة أقسام: النوع الأول تحصينات صغيرة ذات تخطيط معماري مربع أو مستطيل لحماية مجموعة صغيرة من السكان وممتلكاتهم. والنوع الثاني عبارة عن مواقع استيطان مسورة بأكملها. حيث أحاط عدد من المجتمعات المسيحية في بطن الحجر قراهم بأسوار دفاعية غير منتظمة في شكلها تحمي تجمعات كبيرة من السكان. وذلك ربما لطبيعة المنطقة الوعرة التي يصعب معها بناء تحصينات منتظمة الشكل. إضافة إلى أن معظم هذه الأسوار الدفاعية قد بنيت لحماية مساكن كانت موجودة من قبل (Adams 1984: 514-15) (الشكل رقم 3).

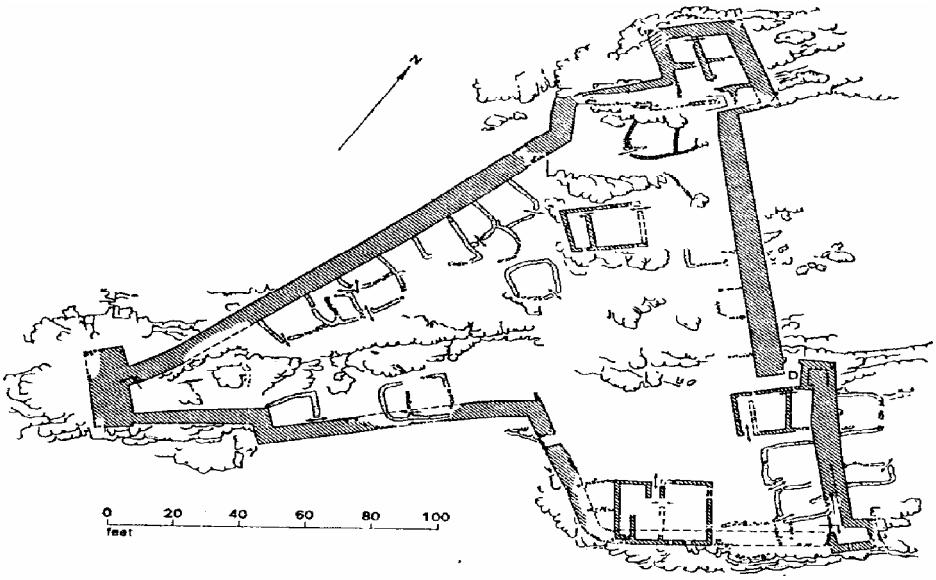

الشكل رقم (3) نموذج لقرية محصنة من سوميت ببطن الحجر

أما النوع الثالث فهو التحصينات ذات الطوابق المبنية في وحدة معمارية واحدة أطلق عليها آدمز اسم البيت القلعة (castle-house). وهي مساكن بنيت بطابقين في الفترة المتأخرة وطورت بميزات دفاعية واضحة جداً من (الشكل رقم 4). ولأسباب واعتبارات أمنية حدثت هذه التطورات في بناء المساكن النوبية. وهذا النوع يظهر بجلاء في مساكن كلبنارتى ودال، التي بنيت بمهارة فائقة تنم عن تجارب كبيرة في بناء مثل هذه المساكن. ويمكن اختيار هذه القلاع كنموذج لمساكن الفترة المتأخرة في النوبة (Adams 1984: 515-116). ومن مميزات هذا النوع انه يمكن استخدامه كأبراج للمراقبة ومخازن للممتلكات المختلفة وحماية لأسرة واحدة أو مجموعة صغيرة من مدافعين عن منطقة محددة.

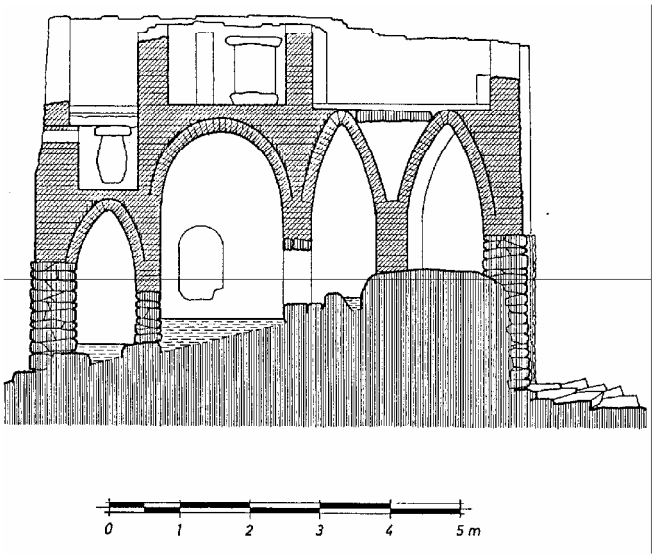

الشكل رقم (4) مقطع للبيت القلعة من كلبنارتي ببطن الحجر.

وقد تكرر نفس الأمر في منطقة الشلال الثالث إذ وجدت العديد من التحصينات الدفاعية التي شيدها السكان النوبيون في الفترة المتأخرة. وهي شبيهة بتلك التي بنيت في منطقة بطن الحجر من حيث الشكل والوظيفة (عبد المجيد 2002: 106- 21).

فقد لجأ السكان في هذه المنطقة إلى بناء البيت القلعة في عدد من المواقع منها ارتندي وملجاب وتينتي. ولجأ البعض الآخر إلى القرى المسورة التي غالبا تكون غير منتظمة الشكل لأنها بنيت في الغالب في شكل متعرج لتضم قرىً بنيت في أكثر من مرحلة، ولم يراع فيها التخطيط المنتظم. ومن أمثلة ذلك في منطقة الشلال الثالث القرى المسورة في ملجاب وآرتندي في (عبد المجيد، 2012: 24) (Edward&Osman2000:18-19).

هذه الأمثلة من القرى المحصنة في منطقة الشلال الثالث تميزت بأسوار طويلة بالمقارنة مع أسوار التحصينات الأخرى، نسبة لأنها بنيت حول قرى كانت قائمة قبل التفكير في إحاطتها بتحصينات. هذا الأمر أدى بدوره إلى أن تظهر التحصينات متعرجة وغير منتظمة الشكل.

بجانب هذه التحصينات فقد شهدت منطقة الشلال الثالث في هذه الفترة تشييد تحصينات دفاعية ذات طابع رسمي شيدت بواسطة السلطة القائمة في دنقلا لتكون خط دفاع أول عن عاصمة مقرة في دنقلا العجوز. مثل تحصينات جبل وهابة التي تتميز بموقعها الاستراتيجي على قمة جبل مطل على الجزء الشمالي من الشلال الثالث مباشرة، (عبد المجيد، 2007: 106).

أثر العلاقة مع مصر في تشييد التحصينات في مقرة:

عطفاً على ما تقدم يمكن القول أن هناك عدة أسباب تجعلنا نستبعد التأثير المباشر للعلاقات النوبية المصرية في بناء هذه التحصينات الدفاعية، أي صد الحملات العسكرية المنتظمة القادمة من مصر. ونحيل أمر بنائها وتشييدها إلى الأثر غير المباشر والمتمثل في خوف النوبيين من القبائل المهاجرة إلى النوبة عن طريق مصر، والتي نشرت الذعر والفوضى والسلب والنهب في كل أرجاء البلاد. ونستنتج ذلك من الآتي:

1. أن النوبيين و بالرغم من وجود ارث كبير لهم في جانب التحصينات التي تعود إلى مختلف فترات الحكم المحلي والأجنبي للنوبة، إلا أنهم لم يلجأوا لأي نوع من

التحصينات طوال فترة الحملات العسكرية القادمة من مصر في الفترة المسيحية المبكرة في النوبة. وربما يعود ذلك إلى أن المسلمين لم يكن لهم رغبة كبيرة في الاستيلاء على النوبة سوى اتقاء خطرها وإيقاف المناوشات على الحدود بينهما. وهذا الوضع غالباً ما جعل المسلمين بعيدين عن الإغارة على عامة السكان وممتلكاتهم.

2. الوضع في بطن الحجر يعد سبباً قوياً لعدم وجود التأثير المباشر للغارات العسكرية المصرية في لجوء السكان النوبيين للتحصينات الدفاعية. وذلك لأن التاريخ لم يسجل لجوء سكان النوبة إلى هذه المنطقة منذ عصر المملكة المصرية القديمة وحتى العصر الإسلامي، رغم كثرة الحملات العسكرية المصرية على النوبة. وهذا الوضع لا يمكن أن يكون سوى لفوضى واضطرابات هددت حياة السكان لفترات طويلة. هذا بجانب أن معظم النظم الدفاعية قد بنيت في الجزر مواجهة للبر وجهة الجنوب. وعليه فمن الواضح أن الخطر على السكان العاديين في النوبة خلال هذه الفترة لم يكن من الحملات العسكرية القادمة من الشمال، بل كان أغلبه من تلك القبائل التي اعتادت السير براً وتوغلت جنوبا ثم وجهت هجماتها نحو الشمال (غيطاس 1987: 125). وهذا يوضح أن هذه التحصينات قد بنيت في هذه المنطقة في الوقت الذي تدهورت فيه مقرة وأصبحت عاجزة عن السيطرة على حدودها والدفاع عن رعاياها من المتسللين وعصابات النهب والسلب.

3. وجود عدد كبير من التحصينات الدفاعية بين الشلالين الثالث والخامس خاصة جنوب دنقلا عاصمة مقرة. ونحن نعلم أن الحملات العسكرية المصرية المنتظمة كانت تستهدف تأديب النوبيين أو الاستيلاء على العاصمة. ولم يسجل التاريخ أي توغل لقوة عسكرية قادمة من مصر جنوب دنقلا العجوز طوال فترة العصر المسيحي إلا في خواتيمه.

خاتمة:

شهدت بلاد النوبة خلال الفترتين الباكرة والكلاسيكية من العصر المسيحي تشييد العديد من التحصينات الدفاعية خاصة في منطقتي الشلال الثالث وبطن الحجر. وتمثلت في حماية التجارة مع مصر وتنظيمها وحماية العاصمة دنقلا وبعض المدن الكبيرة مثل قصر إبريم. وأما في الفترة المتأخرة فقد شيد سكان بلاد النوبة العديد من هذه التحصينات الدفاعية. وقد تنوعت تحصينات هذه الفترة طبقاً للضرورات المختلفة لحماية أنفسهم وممتلكاتهم. ويمكن إجمال أنواع التحصينات الدفاعية في النوبة خلال الفترة المتأخرة في الآتي:

1. **تحصينات صغيرة ذات تخطيط معماري مستطيل أو مربع.**
2. **مواقع استيطان مسورة بحيث يتم إحاطة قرى بأكملها بأسوار منيعة وعادة ما تأتي متعرجة و غير منتظمة حسب طبوغرافية مواقع القرى وتخطيط مساكنها.**
3. **التحصينات ذات الطوابق أو ما يسمى بالبيت القلعة (castle-house) وهي عبارة عن قلاع ذات سمك عريض، مقسمة إلى غرف صغيرة ذات أسقف مقببة بنيت فوقها طابق آخر أو أكثر بنفس مواصفات الطوابق السفلية.**
4. تحصينات شيدت بواسطة مؤسسات رسمية في المملكة في مواقع استراتيجية كالمرتفعات الجبلية على حافة النيل كما في جبل وهابة، وهي تمثل خط دفاع أول عن عاصمة المملكة في الفترة المتأخرة.

إن علاقة النوبة بمصر كانت ذات أثر كبير على مجمل ضروب الحياة في النوبة خلال العصر المسيحي، سلباً كان أم إيجابا، حسب نوع العلاقة بينهما، إلا أن ذلك لم يكن

ذا تأثير مباشر على لجوء عامة سكان النوبة إلى التحصينات الدفاعية، رغم كثرتها خاصة في الفترة المتأخرة.

والأثر غير المباشر لهذه العلاقة على لجوء السكان النوبيين لبناء هذه التحصينات يمكن تلخيصه في أن محاولات الإضعاف والسيطرة على النوبة بجعلها دولة تابعة لمصر الأيوبية ثم المملوكية المتعاقبتين على حكم مصر، قد أفقدت النوبة السيطرة على حدودها. فأصبحت مفتوحة أمام تدفق أعداد كبيرة من القبائل. فأصبحت السلطة النوبية في دنقلا غير قادرة على حفظ أمن مواطنيها في المملكة. فعاث فيها المهاجرون قتلا وسلباً ونهباً وفساداً. فما كان من المجتمع النوبي إلا حماية نفسه بنفسه دون الاعتماد على الدولة. وذلك باللجوء إلى المناطق الصخرية الوعرة والجزر على النيل طلباً للتحصين الطبيعي، ثم تشييد أنواع مختلفة من التحصينات إمعاناً في طلب الأمن والدفاع عن النفس والممتلكات.

المراجع العربية:-

حسن، يوسف فضل 1975 دراسات في تاريخ السودان الخرطوم.

شبيكة، مكي 1991 السودان عبر القرون. بيروت

شيني، بيتر 1954 بلاد النوبة في العصور الوسطي، ترجمة نجم الدين محمد شريف. الخرطوم

عبد المجيد، محمد أحمد 2002 تحصينات العصر الوسيط في منطقة الشلال الثالث. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الدراسات العليا جامعة وادي النيل.

2007 .الخصائص الثقافية لمنطقة الشلال الثالث في الفترة المسيحية: دراسة تطبيقية على العمارة. رسالة دكتوراه غير منشورة.كلية الدراسات العليا جامعة وادي النيل.

2012. تحصينات منطقة الشلال الثالث في العصر الويسط. (550- 1323م). مجلة أدوماتو. الرياض. ص ص 19- 28

غيطاس، محمد 1987 حملة اليونسكو وأضواء جديدة على النوبة. الإسكندرية.

كروباتشيك، ل. 1988 النوبة في نهاية القرن الثاني عشر حتى فتح الفونج في القرن السادس عشر. تاريخ افريقيا العام، المجلد الرابع. اليونسكو ص ص 399- 451

ياكوبيليسكي، س 1994 النوبة في أوج ازدهارها وحضارتها، تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثالث اليونسكو. ص ص 223- 225.

المراجع غير العربية:-

Adams,W.Y.1984 Nubia Corridor to Africa. nd ed. Princeton.

Godlewiski, w. 1991 "The Fortification of Old Dongola Report on 1990 season" Archeologie Du Nil Moyan Vol. 5, pp.103-128.

Paner, H. & Pudlo, A 2010 " Settlement in the Fourth Cataract GAME Concession in the Light of Radiocarbon Analysis" GAM African Reports vol. 7, pp 143-146.

Zurawiski, B. & Phillips, J. 1999 "The Southern Dongola Reach Survey: Results of the First (1998) Season" Nyame Akuma vol. 51 pp 143-146.

Osman, Ali1978 .The Economy and Trade of Medieval Nubia, Dissertation

submitted for Ph.D. at University of Cambridge

Osman,A. & Edwards,D 2000 The Mahas Survey Report 3. Cambridge.

حضارة المجموعة (أ) أو العصر البرونزي المبكر: أصلها وانتشارها

د. أحمد أبو القاسم الحسن
جامعة حائل – قسم السياحة والآثار

مقدمة:

تهدف هذه الورقة لتناول بعض أهم الاشكاليات والقضايا التي لا تزال تواجه الدارسين لحضارة المجموعة أ التي ظهرت في وادي النيل في العصر البرونزي المبكر ما بين 3700 ق.م و2800 ق.م في النوبة السفلى بمنطقة الحدود السودانية المصرية (شكل 1). وتتمثل أبرز هذه القضايا والاشكاليات في أصل هذه الحضارة وتاريخها وإنتشارها الجغرافي وحياتها اليومية وعلائقها مع من عاصرها من الحضارات الأخرى وسماتها الإجتماعية والاقتصادية ونهايتها وأسباب اختفائها.

المصطلح والاكتشافات المبكرة واللاحقة:

في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين كانت المعلومات عن حقب ما قبل التاريخ والفترات التاريخية المبكرة في منطقة النوبة شحيحة جداً، كما أن التركيز في العمل الأثري كان منصباً على الآثار الشاخصة كالمعابد والإهرامات. ولم يحدث استقصاء لآثار منطقة النوبة إلا عند تعلية سد أسوان للمرة الأولى عام 1902م. ويتضح ذلك جلياً فيما كتبه فيقل عن مسحه لآثار منطقة النوبة (Weigall 1907). وعندما قام علماء الآثار بالتنقيب في النوبة المصرية وجدوا آثار حضارات مختلفة، بعضها لم يعرف الكتابة، ولذا لم يهتدوا إلى معرفة منشئيها وأعراقهم، فلجأوا إلى تقسيمها إلى مجموعات حضارية رمز لها بالأحرف. وقد تم اكتشاف المواد الأثرية التي تعود لحضارة المجموعة (أ) لأول مرة على يد رايزنر خلال أعمال حملة المسح الأثري الأول للنوبة في ما بين عامي 1907- 1908م في المنطقة التي تقع ما بين الشلال وباب الكلابشه (Reisner 1910). وقد وضع رايزنر تسلسلاً حضارياً هجائياً لتلك المواد الأثرية النوبية يبدأ بالمجموعة "أ" التي ظن أنها أقدم الحضارات وينتهي بالمجموعة "س".

وهكذا ترسخ استعمال مصطلح المجموعات والحروف أ، ج وس في علم الآثار السودانية منذ ذلك الوقت. وقد حاول بعض العلماء استعمال مصطلحات بديلة لتلك الحروف والمجموعات ولكنها لم تفلح في إزاحة مسميات رايزنر (Junker 1921: 23; Trigger 1965; Adams 1977: 119). وعلى كل حال يبدو أن مصطلح رايزنر هو السائد ويستخدمه اليوم معظم الباحثين ولذا فهو مستخدم كذلك في هذه الورقة، قبل أن نطرح البديل في نهايتها.

خلف فيرث ورايزنر في قيادة الحملة وأكمل المسح حتى وادي السبوع (Firth 1912, 1915, 1927). وجاءت بعد ذلك بعثات أثرية عدة للتنقيب بالنوبة السفلى من بينها بعثة جامعة أوكسفورد تحت إشراف قريفث (Griffith 1921)، وبعثة نمساوية بقيادة يونكر (Junker 1919) وأخرى أمريكية من جامعة هارفارد تحت إشراف بيتز ودنهام (Bates and Dunham 1927).

خلال حملة المسح الأثري الثاني للنوبة (1929- 1934) قام شتايندورف بتنقيبات هامة بمواقع حضارة المجموعة (أ) في عنيبة (Stiendorf 1935). كما قام أمري وكيروان بقيادة حملة إنجليزية للتنقيب بمواقع حضارة المجموعة (أ) في المنطقة الواقعة بين وادي السبوع والحدود السودانية (Emery and Kirwan 1935) (شكل 1).

وعندما وضعت مصر مشروع السد العالي في عام 1955م تطلب الأمر تنفيذ أعمال إنقاذ هائلة للآثار ودراستها في منطقة تمتد من الشلال الأول حتى كوشه في الجنوب (شكل 1). وبدأت في العمل العديد من البعثات من دول مختلفة تحت إشراف منظمة اليونسكو. وقد عرفت تلك الأعمال بحملة إنقاذ آثار النوبة (1959 – 1980). وقد قامت البعثة الاسكندينافية (Nordstrom 1972) بالتنقيب في العديد من المواقع التي تعود لحضارة المجموعة أ حول منطقة الشلال الثاني (فرص، سره، دبيرة، أشكيت صحابة، حلفا دغيم، عبكا وجمي) (شكل 1). ومن بعدها قدمت بعثة معهد الدراسات الشرقية بجامعة شيكاغو للتنقيب في موقع لحضارة المجموعة أ في قسطل

(Williams 1986). وقد أضافت أعمال البعثتين الكثير من المعلومات المهمة عن حضارة المجموعة أ التي هي محور هذه الدراسة.

وكان لنتائج حملة إنقاذ آثار النوبة أثرها العظيم في جذب مراكز البحوث العالمية والجامعات لإجراء الدراسات الميدانية ذات الأهداف العلمية المحددة. فقد كانت هنالك قضايا علمية أثارتها نتائج الأعمال الأولى تطلب تناولها المزيد من البحث الآثاري المخطط خاصة بعد ظهور مناهج البحث الأثري الحديثة. ومنذ التسعينيات من القرن الماضي تمت بعض الدراسات الحديثة متناولة حضارة المجموعة أ مستندة على ما نشر من أعمال سابقة (Smith 1991; Gatto & Tiraterra 1996; Gatto 1997a; 1997 b; 1998a; 1998b; 2000; Nordstrom 1996; 2002; 2004; Rampersad 1999; Takamiya 2005). ومؤخراً ظهرت معلومات جديدة عن حضارة المجموعة أ تم الحصول عليها من أعمال تنقيب ميدانية جرت في المناطق المحيطة بالنوبة السفلى خاصة في الصحراء الغربية لمصر (Gatto 2001-2002; Lange 2003) ومصر العليا (Gatto 2003, 2006a; 2009).

الانتشار الجغرافي:

تقع معظم مواقع حضارة المجموعة أ على ضفتي النيل بين الكبانيه (نحو10 كيلومترات شمال الشلال الأول) وملك الناصر إلى الجنوب من الشلال الثاني وإلى الشمال من شلال دال (Nordstrom 1972: 18, 28) (شكل 1). وإلى الجنوب من شلال دال بنحو 60 كيلومتراً وجدت جبانة يعتقد بأنها تعود لحضارة المجموعة أ (Keating 1975: 67). ولا تزال الحدود الجنوبية لهذه المجموعة الحضارية غير معروفة على وجه الدقة. وقد لوحظ قلة المواقع التي تعود لهذه الحضارة في المناطق الوعرة إلى الجنوب مثل بطن الحجر ودال والتي تضيق فيها الأراضي الصالحة للزراعة والاستيطان. كما لوحظ تمركز إقليمي للمواقع في بعض المناطق الرئيسة: المنطقة الأولى من الشلال الأول حتى متاردول، والمنطقة الثانية من جرف حسين حتى مديج حيث يصب وادي العلاقي في النيل؛ المنطقة الثالثة من كورسكو حتى تاميت؛ المنطقة الرابعة، من تاميت حتى جمي (Gatto 2006c: 64) (شكل 1). وفي السنوات الأخيرة الماضية تم تسجيل

مواقع لحضارة المجموعة أ في المناطق الصحراوية المحيطة بالنوبة السفلى (المصدر السابق نفسه). وتعتقد قاتو بوجود لحضارة المجموعة أ المبكرة شمالاً حتى هيراكونبوليس ومنطقة كوم أمبو (Gatto 2005: 72-5) (شكل 1).

وتشير الدراسات بأن مواقع الاستيطان والمدافن المبكرة لحضارة المجموعة أ تكاد تنحصر في الجزء الشمالي من النوبة السفلى بين الكبانية ودكا (شكل 1). وتشير الدراسات أيضاً إلى إنتشار مواقع الاستيطان والمدافن لهذه الحضارة خلال الفترتين الوسطى (الكلاسيكية) والمتأخرة كلما إتجهنا جنوباً في النوبة السفلى (Nordstrom 1972:29).

طبيعة المواقع:

المستوطنات: المعلومات المتوفرة حالياً عن مستوطنات حضارة المجموعة أ وتعاقبها الطبقي شحيحة خاصة عند مقارنتها بالمعلومات الخاصة بالمدافن. ويعود هذا الأمر أولاً: لوجود المناطق السكنية الدائمة بالقرب من ضفاف النيل حيث توجد الأراضي الصالحة للزراعة وحيث تتعرض لفيضان النيل الموسمي والتعرية وللتدمير من خلال النشاط الزراعي والسكني بواسطة المستوطنات اللاحقة بنفس المنطقة، وثانياً: بسبب بناء المستوطنات من مواد زائلة ولا تدوم طويلاً مثل الطوب اللبن غير المحروق والمواد العضوية، فضلاً عن أن جزءاً من سكان المجموعة أ ربما كانوا رعاة رحل غير مستقرين في مستوطنات دائمة ولا يتركون خلفهم آثاراً وطبقات استيطانية يمكن دراستها. ولذلك فإن جل مانعرفه عن حضارة هذه المجموعة يأتي من المقابر والجبانات التي تقع على بعد أميال قليلة من مجرى النيل. وقد لوحظ وجود مستوطنات حضارة المجموعة أ في الأماكن التي تتمركز فيها المدافن في ثلاثة مناطق هي:

1- بين الكبانية وديبوت، حيث كشف رايزنر عن مستوطنات في مريس وماركوس.

2- (Reisner 1910:215- بين جرف حسين والسيالة حيث كشف عن مستوطنة في دكه (3 .Firth 1915: 9)- وبين أرمينا وصرص (Nordstrom 1972: 134) (شكل 1). وعند قيام حملة إنقاذ آثار النوبة تم التركيز على تنقيب مستوطنات

حضارة المجموعة أ للحصول على مزيد من المعلومات عن طبيعتها. وتشير نتائج الدراسات أن أغلب المستوطنات هي تلك التي لم تترك آثاراً معمارية كالرواكيب وحفر التخزين والأكواخ المشيدة من مواد عضوية مثل أعواد القصب والحصائر وفروع الأشجار والجلود والشعر. وقد استدل عليها بوجود المواقد والرماد والعظام الحيوانية والسمكية في بعض الجزر مثل جزيرة معتوقة وجزيرة شقير. وكذلك عبر روث الحيوانات والكسر الفخارية والأدوات الحجرية والرحي وبيض النعام وأدوات الزينة ونحو ذلك. وكل هذا يشير بأن حضارة المجموعة أ تتميز عن سابقاتها من العصر الحجري الحديث ببداية العمارة المحلية (Adams 1977: 119).

وقد عثر على بعض مبان ذات أساسات حجرية (Nordstrom 1972: 20-21). كذلك تم العثور على منازل مشيدة بالحجر في دكا وأرقين غرب وأبوسمبل غرب ويعتقد بأن ساكنيها ربما كانوا من علية القوم المستقرين على ضفتي النيل. وخلال المسح الذي قامت به حملة إنقاذ آثار النوبة تم اكتشاف عدد من المستوطنات الأكثر تعقيداً بمنطقة عافية (Smith 1965; Lal 1967; Stevenson 2012-a) والرقة. وقد وجد بموقع عافية عدد من المنازل المشيدة بالحجارة (لوحة 1)، أحد هذه المنازل يضم حوالي ست غرف على الأقل لها أرضيات مرصوفة بالطين والحصى. ويعد موقع عافية أكبر قرية لحضارة المجموعة أ تم اكتشافها حتى الآن. ويعتقد تريقر بأن هذه المستوطنة كانت مقراً لأحد الحكام المحليين (Trigger 1965: 77). وقد ألقت قاتو ظلالاً من الشك في نسب مستوطنة عافية هذه لحضارة المجموعة أ، إذ تعتقد أن موقع المستوطنة وعمارتها والأدوات العديدة المصرية التي وجدت في الطبقات السكنية والسطح تشير إلى أن المستوطنة تعود لحضارة نقادة (Gatto 2006c: 68).

كذلك سكن بعض سكان حضارة المجموعة أ الكهوف والملاجئ الصخرية الطبيعية. وقد تم اكتشاف نماذج من هذه المساكن في سرة غرب والسيالة وكورسكو. وقد تميزت مساكن كورسكو بوجود رسوم بشرية وحيوانية ملونة وأخرى منحوتة (Trigger 1965: 77). وفي موقع خور شيخ داود تم العثور على نحو

578 حفرة تخزين (Piotrovsky 1967: 127-140) ويعتقد نوردستروم أن هذا الموقع كان سوقاً أو مركزاً تجارياً (Nordstrom 1972: 21). وفي المناطق الصحراوية المحيطة بالنوبة السفلى تم العثور على مواقع آثار أكواخ موسمية يعتقد بأنها تعود لرعاة أو أشباه رعاة لحضارة المجموعة أ (Gatto 2006c: 68).

وهكذا يتضح أن الآثاريين لم يكتشفوا حتى الآن أية مراكز حضرية (مدن أو بلدات) تعود لحضارة المجموعة أ. ولذلك يعتقد تريقر وأمري بأن معظم السكان كانوا شبه رعاة (Trigger 1965: 99).

وقد أظهرت التنقيبات والمسوحات الأثرية التي أجريت مؤخراً أهمية الحياة شبه الرعوية لجزء من قطاع حضارة المجموعة أ. فقبل بداية الثمانينات من القرن العشرين كان الاعتقاد السائد بأن الاستيطان لهذه المجموعة الحضارية ينحصر على ضفتي النيل ولكن التنقيبات والمسوحات الأثرية التي أجريت في وادي شاو وسهال في منطقة لقيه (شكل 1) بأطراف الصحراء الغربية المصرية تشير لوجود استيطان لهذه المجموعة بالمنطقة (Lange 2006: 109) والتي وجد فيها عظام للماشية والماعز بجانب فخارحضارة المجموعة أ. كذلك أشارت قاتو لوجود فخار لحضارة المجموعة تحت الدراسة في موقع بئر صحرة في شرق الصحراء المصرية (Gatto 2001; Lange 2006: 113).

الجبانات Cemeteries: اعتاد سكان المجموعة أ على دفن موتاهم في جبانات في أطراف الصحراء بالقرب من القرى. ولهذا تشكل الجبانات الجزء الأكبر من مواقع حضارة المجموعة أ. وقد تم تنقيب ما يزيد عن 3000 قبر حتى الآن ولذلك فإن أغلب ما عرف عن هذه الحضارة تم الحصول عليه من الجبانات. وتعد جبانات هذه الحضارة أول جبانات منظمة تظهر إلى حيز الوجود بمنطقة النوبة(Shinnie1996: 51).

أظهرت عادات الدفن الجنائزية تبايناً كبيراً في حضارة المجموعة أ بناء على المكان والزمان والتباين الثقافي الاجتماعي داخل الحضارة نفسها. القبر لعامة الناس في أغلب الأحيان كان عبارة عن حفرة بيضاوية أو دائرية. وأرضيات هذا المقابر كانت

تبلط أحياناً بالطين أو تفرش بالحصير. وكانت المقابر تسقف بالأعواد الخشبية والحصائر وأحياناً بالألواح الحجرية. ولا توجد في أغلب المقابر أبنية فوقية (شكل 3). وتم اكتشاف القليل من المقابر ذات أبنية حجرية فوقية (شكل 4) (Firth 1927; Smith 1962: fig. 14; Stevenson 2012-b:225-247). وقد يضم القبر الواحد أجداث ستة أشخاص توضع عادة في شكل قرفصائي على جوانبهم اليسرى ورؤوسهم بجهة الجنوب ووجوههم متوجة نحو الغرب. وقد لوحظ أن الأجداث بجبانات منطقة الشلال الثاني لها أكفان من جلود الحيوانات بينما نجدها بمنطقة الشلال الأول مكفنة بالحصير أو القماش. ومرة أخرى يلاحظ أن الأجداث في جبانات النوبة السفلى توضع في صناديق خشبية أو على حصائر بينما تلك التي بمنطقة الشلال الثاني توضع على جلود الحيوانات. وقد تم العثور على بقايا أسرة خشبية بجبانة قسطل (Williams 1986).

وجدت في مقابر هذه المجموعة الكثير من المعثورات والأدوات المتباينة والتي قدمت كقرابين للموتى (لوحة 2، 3). وهكذا تميزت هذه المجموعة الحضارية عن سابقاتها من العصر الحجري الحديث بوضع الأدوات القرابينية مع الموتى. وقد ضمت هذه المعثورات والأدوات القرابينية الأواني الفخارية المحلية والمصرية، والأواني الحجرية، والرحي، وألواح الإردواز الحجرية palettes، والحصي النيلي، والصولجانات الحجرية (mace heads)، والأدوات العظمية والنحاسية، وأدوات الزينة والملابس، والفؤوس اليدوية، وبيض النعام، والمباخر، والأدوات الحجرية، والدمى الطينية، والأختام، والأصداف، والبذور وثمار الفواكه مما يشير إلى معتقدهم الديني بوجود حياة أخرى يحتاج فيها الموتى إلى مستلزماتهم من أكل وأدوات.

وقد لوحظ تباين واضح في ثراء المقابر مما قد يعكس تبايناً اقتصادياً وإجتماعياً في حضارة المجموعة أ. فالجبانة رقم 137 في سيالة والجبانة رقم 142 في وادي ناقا بسهل دكه ضمتا مقابر ذات ثراء وتعود للطبقة العليا (Firth 1927) إلا أن الجبانة (ل) بقسطل كانت أكثر تميزاً وثراء ولافتة للانتباه مما أثار إشكالية في

التفسير(Williams 1986). وقد قامت بعثة المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو بالتنقيب في هذه الجبانة في بداية ستينيات القرن الماضي فأظهرت أدلة جديدة غيرت كثيراً من مفاهيم علماء الآثار (Firth 1927; Trigger 1965; Hofmann 1967: 128; Adams 1977: 123) عن حضارة المجموعة أ خاصة فيما يتعلق بطبيعة مجتمعهم ونظمهم السياسية (Williams 1980: 16).

الدراسات الأنثربولوجية الطبيعية:

بالرغم من الحجم الكبير لبقايا الهياكل البشرية التي عثر عليها في مدافن حضارة المجموعة أ في النوبة السفلى في الفترة السابقة لحملة إنقاذ آثار النوبة فإن ما كتب عنها من تقارير قليل جداً. فالدراسات السابقة التي تمت لهياكل هذه المجموعة قام بها كل من إليوت إسميث وودجونز (Smith and Wood Jones 1910a; 1910b) وبطراوي (Batrawi 1935). ودعم هؤلاء الباحثين بدراساتهم فرضية رايزنرلأصول سكان حضارة المجموعة أ ونزوحهم للنوبة السفلى.

وقد تمت محاولاتهم تلك رغم أن علم الأنثربولوجيا الطبيعية لا يصنف الهيكل البشرية على أساس عرقي (race) بشكل حاسم ولا توجد معايير معلومة يتم على أساسها تصنيف هذه الهياكل للتمييز بين عرق وآخر. فوصف سكان المجموعة بأنهم مصريون بيض من جنس قوقازي ليس له أساس علمي.

كذلك قام فاقن نلسن بدراسة الهياكل البشرية لهذه المجموعة والتي تم العثور عليها في نطاق عمل البعثة الاسكندنافية (1970). ولسوء الحظ، فإن معظم المادة التي درسها كانت مهشمة ومهترئة (نحو 105 هيكلاً) وعدد الهياكل الكاملة قليل جداً (ثلاث رجال، سبعة نساء) وبالتالي لم تكن للعينه أهمية إحصائية (Vagn Nielsen 1970: 89). وقد درس نلسن عينته دراسة مقارنة شاملة مع المجموعات النوبية الأخرى في إطار الدراسات السابقة للهياكل البشرية لحضارة المجموعة أ، وسجل بعض الملاحظات عن الأمراض والإصابات للعينة السكانية (المصدر السابق). ولاحظ بناء على الدراسات القياسية الأنثروبولوجية وجود تشابه عام بين سكان حضارة المجموعة أ وج (المصدر السابق: 110).

السمات الاقتصادية والاجتماعية:

شهدت منطقة النوبة السفلى زيادة في الكثافة السكانية خلال حقبة حضارة المجموعة أ نتيجة للتطورات الإقتصادية المهمة التي سبقت والتي تعد طفرة كبرى قياساً بحقبتي عبكا وشبيهة الخرطوم Variant Khartoum بوادي حلفا. وتمثلت هذه التطورات في التوسع في إنتاج القوت عن طريق تربية الحيوانات والزراعة. ويبدو أن الإقتصاد المعيشي subsistence economy لحضارة المجموعة أ اعتمد على الزراعة وتربية الحيوانات. ولا يعرف على وجه التحديد أيهما كان أكثر أهمية إقتصادياً الزراعة أم الرعي (Rampersad 1999: 160). وتشير الأدلة في المواقع الأثرية التي عثر عليها في منطقة لقيه Laqiya إلى أن الرعاة في مجتمع حضارة المجموعة أ كانوا يرتحلون موسمياً إلى المناطق الصحراوية بحثاً عن الكلأ والمرعى (Lange 2003) حيث تم العثور في تلك المنطقة الموسمية على عظام الماشية (Lange 2003; 2006)، كما تم العثور من ناحية أخرى على عظام وروث الماعز والضأن والكلاب بمواقع منطقة الشلال الأول وسهل دكه (Reisner 1910: 110-115; Nordstrom 1972: 23). وتعد هذه أدلة غير مباشرة لاستئناس هذه الحيوانات في غياب الدراسات المتخصصة لعظامها للتعرف على فصائلها. وعلى كل، ورغم عدم وجود أدلة مباشرة، يتفق معظم الدارسين بأن حضارة المجموعة أ كانت في حدها الأدنى مجتمعاً رعوياً (Rampersad 1999: 160).

يبدو أن الزراعة تأتي في المرتبة الثانية بعد تربية الحيوانات في الأهمية وذلك لأن الأراضي الصالحة للزراعة بالسلوكة في النوبة السفلى محدودة وتنحصر على ضفتي نهر النيل. فقد تم العثور على زراعة القمح والشعير والبقوليات في كثير من مواقع حضارة المجموعة أ في فتراتها المختلفة (Reisner 1910; Lal 1967; Nordstrom 1972). وفي عام 1962م عثرت بعثة هندية مشاركة في حملة اليونسكو العالمية في موقع لحضارة المجموعة أ (موقع عافية) على بذور متفحمة لقمح

وشعير وبعض النباتات البقولية مثل البسلة والعدس (Lal 1967). ولكن للاسف لا يوجد تقرير يشير بأن هذه البذور لنباتات مستأنسة وبالتالي نتاج لنشاط زراعي(Stemler and R. H. Falk 1984: 129-138). ولكن يبدو أنه بالإجماع قد تم قبول بذور القمح والشعير هذه كفصائل مستأنسة (Nordstrom 1972: 23). وإذا صحت الأدلة فإن حضارة المجموعة أ تتميز عن سابقاتها من العصر الحجري الحديث بزراعة الحبوب.

وقد لعب صيد الحيوانات البرية والأسماك والمحار وجمع والتقاط الثمار دوراً أقل أهمية حيث تم العثور على صنارات صيد السمك المصنوعة من النحاس والمستوردة من مصر وكانت شاهداً على أن السمك كان يشكل جزءاً من غذاء حضارة المجموعة أ.

ولا شك أن التجارة لعبت دوراً رئيساً في إقتصاد حضارة المجموعة أ. فقد كان للموقع الاستراتيجي لتلك الحضارة في النوبة السفلى دوراً مهماً في القيام بدور الوسيط التجاري بين حضارة نقادة شمالاً والنوبة العليا جنوباً (شكل 2). وقد كان أثرياء وحكام حضارة نقادة في حاجة ماسة ربما للذهب والعاج والأبنوس والبخور والماشية وجلود الحيوانات لتعزيز قوتهم وسطوتهم. ويضيف بعض الكتاب سلعة الرقيق (Trigger 1976: 31; Adams 1977: 137). وهذه السلع ربما حصلوا عليها بالمقايضة والتبادل التجاري مع أهل حضارة المجموعة أ مقابل السلع التي يحتاجونها مثل زيت الزيتون والنبيذ والأجبان والعسل والحبوب والأسلحة والأدوات المعدنية (Nordstrom 1972; Trigger 1976: 38; Adams 1977: 136; Gatto 1998b: 517). والدلالة على ذلك هي الأعداد الكبيرة من جرار الفخار المصرية التي وجدت في مواقع حضارة المجموعة أ والتي كانت تستخدم لنقل وحفظ تلك السلع. وكانت مدن إلفنتين ودكة وقرية خور داؤد من أهم مراكز التجارة بين حضارتي المجموعة أ ونقادة (Nordstrom 1972; Gatto 2001-2002). ويعتقد أن المراكب عبر النيل والدواب عبر الطرق البرية كانت من أهم وسائل النقل التجاري

(Ibid). وقد تم العثور على العديد من الأختام وطبعاتها impressions في مدافن حضارة المجموعة أ. بعض هذه الأختام مصرية الأصل بينما بعضها الآخر محلي الصنعة. وقد لوحظت على جرار الفخار المصرية بعض طبعات الأختام الأمر الذي يشير إلى إدارة مصرية كانت تتحكم في التجارة.

مؤخراً تناولت الباحثة كوينتانا (Quintana 2012: 27-36) قضية وإشكالية تعريف النظم الاجتماعية الاقتصادية لحضارة المجموعة أ وأشارت بان مجتمع هذه الحضارة كان شبه مستقراً واستغل جميع المواد المتاحة في بيئته في النوبة السفلى بحيث مارس الزراعة على ضفتي النيل، والرعي بالمناطق الصحراوية المحيطة به، كما لعب دور الوسيط في شبكة التجارة بين مصر والنوبة العليا ومناطق السافنا.

إعتقد بعض الباحثين السابقين أن التنظيم الاجتماعي السياسي لحضارة المجموعة أ بسيط وغير معقد غير أن هذه الأفكار والمفاهيم قد تغيرت كثيراً في العقود الأخيرة خاصة بعد نشر نتائج تنقيبات المقبرة ل بقسطل. وقد نشر بروس ويليامز مقالاً عن تنقيبات هذه الجبانة كان لها أبلغ الأثر في لفت أنظار الباحثين إلى أهمية هذه الأعمال الميدانية (Williams 1980). يرى بروس وليامز أن حجم جبانة قسطل وثرائها يشير لوجود نظام ملكي في شمال السودان القديم في الحقبة المتأخرة للمجموعة أ (المصدر السابق: 19). كما يعتقد بأن التوسع التجاري ومشاكل الأمن والخطر الخارجي كانت من أهم العوامل الرئيسة في ظهور النظام المعقد بقسطل (Williams 1987: 25).

في عام 1972م لاحظ نوردستروم وجود تمايز وتباين اجتماعي في جبانة عافيه والجبانة رقم127 (Nordstrom 1972: 26). وتبعاً لما عثر عليه في جبانة قسطل والأدلة التي قدمها نوردستروم عن عادات الدفن الجنائزية لحضارة المجموعة أ (Nordstrom 1996; 2002; 2004) يمكننا أن نفترض أن الفترة المتأخرة لحضارة المجموعة أ ربما شهدت درجة عالية من التباين والتنوع الاجتماعي Social diversification وزيادة في الكثافة السكانية. وهناك جدل يدور بين الدارسين حول

طبيعة النظام الاجتماعي السياسي لحضارة المجموعة أ. ويعتقد أوكونر بأن الأدلة الأثرية الاقتصادية والاجتماعية تشير لنشأة نظام ما قبل المملكة proto-kingdom في تشابه لفترة ما قبل الأسرات المتأخرة في مصر (O'Conner 1993: 22). وتعتقد قاتو بوجود مشيخة Chiefdom أو ما يشبه فجر الدولة proto state بقسطل كمركز لها بمنطقة الشلال الثاني مشابهة في ذلك للنظام السياسي لحضارة نقادة (Gatto 2006c: 72).

الصناعة:

الفخار: يعد إستايندورف أول من قام بدراسة جادة لفخار حضارة المجموعة أ (شكل 5) (Steindorff 1935: 26-27). كما تعد دراسة نوردستروم لفخار هذه المجموعة آخر عمل متميز وشامل حتى للأنماط المصرية التي عثر عليها في المواقع (Nordstrom 1972: 81). وقد صنف نوردستروم فخار المجموعة إلى سبعة أنواع (K, M, H, N, D, W). ويمثل النوع ـ (H) الفخار المحلي ذي التقاليد "النوبية" الموروثة. وبنية هذا الفخار تتميز بمساميتها النفاذة ولونها الأسود وبشوائب الرماد وروث الحيوانات. والطريقة المستخدمة في صناعته هي الطريقة اليدوية.

إضافة إلى ذلك يضم الفخار المحلي نوعاً فرعياً بشوائب من الصدف (محار)، وقد عثر عليه في مواقع عبكا ومواقع حضارة المجموعة أ في منطقة وادي حلفا (Nordstrom 1972: 57). وأكثر أنواع الفخار المحلي تميزاً هو ذلك الفخار الرقيق الذي عثر على معظم أوانيه في مقابر المجموعة أ المتاخرة (المصدر السابق). وقد وجد في الكثير من المقابر في النوبة السودانية وأجزاء من جنوب النوبة المصرية. ويتميز هذا الفخار بفوهاته السوداء وزخارفه الهندسية، والمتموجة (rippled) الملونة بالمقرة الحمراء والتي تشبه السلال الحصيرية. وتعد هذه الأواني الملونة أول مجموعة فخارية ملونة في النوبة السفلى. ويمثل فخار حضارة المجموعة أ المتأخرة ذروة في فن وتقنية صناعة الفخار ولا يضاهيه في ذلك إلا فخار كرمة ومروي.

إضافة إلى الفخار الملون يضم الفخار المحلي مجموعة عليها زخارف مضغوطة (impressed) وأخرى محززة (incised patterns) على أبدانها وحوافها وشفاهها

(Nordstrom 1972, Vol. 3.2, plates 24-26). كما يضم مجموعة ذات زخارف معقدة تتكون من معينات (lozenges) ملأى بخطوط هندسية متقطعة وأخرى منقطة.

ومن أميز أنواع الفخار المحلي لحضارة المجموعة أ هو ذلك النمط ذو الزخارف المضغوطة المتعرجة بحدة (زقزاق) وقد شكلت على الأرجح بواسطة قطعة مسننة من صدف أو محار أو ما شاكلها بعمل طبعات على السطح أو الحافة بطريقة الذراع المتأرجح rocker stamping. وهذا النوع من الزخارف له مدى زمني كبير في النوبة إذ كان منتشراً في وسط حضارات العصر الحجري الحديث واستمر حتى بعد نهاية حضارة المجموعة أ في حضارة المجموعة ج والبان قريف وما قبل كرمة وكرمة المبكرة (Nordstrom 1972: 76).

وهنالك إشكالية في تفسير مغزى تشابه فخار حضارة المجموعة أ لفخار حضارة كل من عبكا (الفترة المتأخرة) وما قبل كرمة والمجموعة ج وكرمة القديمة. بل ويعتقد بعض الباحثين بوجود تشابه بينه وفخار العصر الحجري الحديث بأواسط السودان (Rampersad 1999: 315-336). ويرى البعض أن هذا التشابه ربما يشير لاستمرارية حضارية لتقاليد صناعة الفخار بيما يرى آخرون أنه يعكس استمرارية سكانية إثنية حاملة لتلك التقاليد (Adams 1968: 199).

الدمى الأنثوية: إن أهم إنجازات حضارة المجموعة أ لا يمتثل في فخارها المحلي فقط وإنما يتمثل أيضاً في فنون تشكيل ونحت الدمى. فقد ظهرت لأول مرة في النوبة دمى فخارية آدمية أنثوية وحيوانية في بعض المقابر. هذه الدمى لها ما يناظرها من الطين الأحجار والعاج والعظم. وقد لاحظ الباحثون وجود هذه الدمى منذ اكتشاف حضارة المجموعة أ في مطلع القرن العشرين ولكنها لم تحظ بالاهتمام بالدراسة إلا بعد مجيء البعثة الاسكندنافية التي ألقت الضوء على بعض الدمى الصغيرة التي وجدت في مدفن بالقرب من حلفا دغيم (Wenig 1978: 24). وقد أثارت هذه الدمى جدلاً بين الباحثين حول مغزاها وأهميتها (Ucko: 1968: 409; Save-Soderbergh 1973: 228; Firth 1912: 170). ولعلنا نشير إلى أن صناعة هذه الدمى تعود إلى العصر

الحجري القديم الأعلى وهي ما تعرف بتماثيل فينوس التي مثلت بداية الفنون المنقولة (Rice 1987: 8).

الأدوات الحجرية والمعدنية: بالنسبة لتقنية صناعة الأدوات الحجرية يشير نوردستروم بأنها قد شهدت تدهوراً خلال نهاية حضارة عبكا وفترة إزدهار حضارة المجموعة أ (Nordstrom 1972: 21). وتضم الأدوات الحجرية التي عثر عليها نسبة كبيرة من المخارز والأدوات المسننة (denticulate) والمناجل والتي تشير لإنهيار تقنية صناعة الأدوات الحجرية. ورغم ذلك تضم الأدوات الحجرية التي عثر عليها في النوبة السفلى على عينات جيدة وقليلة من النصال (blades) والشظايا (flakes) المصنوعة من حجر الصوان المصري (Hofmann 1967: 103).

كذلك تم العثور على العديد من أدوات الطحن والسحن وأدوات الصقل الحجرية (حصى كروي الشكل) في المقابر والمواقع السكنية (Nordstrom 1972: 21). كما عثر على مدقات حجرية من صخور مختلفة في كثير من مواقع الاستيطان إضافة إلى بلطات (celts) وفؤوس وأدوات مسننة ذات أطراف مدببة في مواقع عدة. وهناك أيضاً بعض الأدوات المصنوعة من الحجر الجيري (gypsum) والتي يعتقد بأنها ربما استخدمت لسحن المقرة أو كمباخر أو مسارج (المصدر السابق).

كذلك كشفت التنقيبات في مقابر النوبة السفلى أيضاً عن عدد من رؤوس صولجانات حجرية (mace heads)، وأشهر تلك الصولجانات تلك التي عثر عليها في المقبرة رقم 137 جنوب السيالة (Firth 1927: 207; Hofmann 1967: 104).

وتضم الأدوات النحاسية التي عثر عليها على إمتداد النوبة السفلى وجنوباً حتى صرص (في منطقة بطن الحجر) فؤوساً ونصالاً وإبراً ومثاقب. وقد عثر على هذه الأنواع أيضاً في منطقة عمل البعثة الإسكندنافية (Nordstrom 1972: 21). كما تضم الأدوات النحاسية أيضاً بعض صنانير صيد السمك (fish hooks) التي عثر عليها في مقابر الكبانية (Junker 1919: 118) وفرص (Griffith 1921: 9; Hofmann 1967: 108).

قضية المجموعة ب:

لقد ضمت جبانات حضارة المجموعة أ القليل من المقابر الفقيرة نسبياً والخالية من البضائع المصرية وفسرها رايزنر بأنها تعود لمجموعة حضارية جديدة أطلق عليها مصطلح حضارة المجموعة "ب" ورتبها في فترة لاحقة هي فترة الدولة المصرية القديمة (Reisner 1910: 332). وهي التي أثبت اسميث بعد دراسة مفصلة أن وجودها غير فعلي وغير صحيح. فالمواد الأثرية التي رأى رايزنر انتماءها للمجموعة ب لم تكن سوى مواد جنائزية خاصة بالمقابر الأكثر فقراً من مجموعة مدافن المجموعة أ ولا يعود تاريخها للدولة المصرية القديمة. ويرى اسميث أنها تعود إلى الفترة المبكرة للمجموعة أ (Smith 1966: 69-124; 1991: 92-111). عليه يمكن القول بأن معطيات الثقافة المادية المتوفرة تشير إلى أن الاختلاف بين نوعي المدافن ليس سوى اختلاف ذي طابع اجتماعي اقتصادي خلال الفترة الباكرة من حضارة المجموعة أ.

تم الاعتماد على الفخار في النوبة للاستدلال على التغير السكاني في حالة المجموعات أ وب وج (Adams 1968: 199). ويعتقد آدمز أن الدليل الفخاري غير مقنع، إذ لا يوجد تغير تقني أو وظيفي للفخار منذ العصر الحجري الحديث إلى المملكة الحديثة. فقد كان الفخار يدوياً من خامة أو طينة متشابهة وهناك استمرارية في الأشكال. وإنحصر التغير في النواحي الفنية الزخرفية واللون (المصدر السابق).

وواضح الآن أن فخار حضارة المجموعة أ هو نتاج مباشر لفخار العصر الحجري الحديث بالنوبة. والدليل الفخاري لتميز فخار المجموعة ب عن فخار المجموعة أ شحيح جداً ولا يدعم فكرة التغير السكاني الذي طرحها رايزنر (المصدر السابق). كذلك يلاحظ أن الفروق بين مقابر المجموعة أ والمجموعة ب كمية وليست نوعية. فقد حوت مقابر المجموعة ب أفقر وأرخص أنواع الفخار. وقد نظر رايزنر إلى ذلك كدليل لانحطاط حضاري. ويعتقد آخرون ان ذلك يشير لتباين اجتماعي اقتصادي ضمن نفس المجموعة السكانية (Smith 1966: 69-124). فالمجموعة ب لأناس فقراء ربما كانوا في خدمة سكان المجموعة أ.

أصل المجموعة أ:

ليس من اليسير التعرف على أصل حضارة المجموعة أ وذلك لشح المعلومات التي تتعلق بالفترة الباكرة لهذه الحضارة. فعندما بدأ المسح الآثاري الأول لآثار النوبة في أوائل القرن العشرين كشف رايزنر عن آثار غير معروفة من قبل ولأن سكانها غير معروفين عرقياً سماهم بحروف هجائية لاتينية تبدأ بالألف ثم الباء والجيم وهكذا. وهذا التقسيم لا يزال قائماً حتى اليوم. وأستخدام رايزنر لكلمة مجموعة تشير بأن لكل حضارة من تلك المجموعات خصائصها السكانية الخاصة بها.

زعم رايزنر أن حضارة المجموعة أ تعود لمهاجرين مصريين، من الجنس القوقازي، أتوا إلى النوبة السفلى في شمال السودان وجنوب مصر في عصر ما قبل الأسرات (Reisner 1910: 319). وقد إعتمد في ذلك على نظرية الهجرات (فرع من فروع النظرية الانتشارية كانت سائدة في الفكر الآثاري في مطلع القرن العشرين) ووفر له كل من إليوت اسميث وود جونز الأدلة والدعم بالدراسات الأنثربولوجية التي أجروها على الهياكل البشرية لحضارة المجموعة أ بخور بهن (Smith and F. Wood Jones 1910 a; b: 16). وقد دعم بطراوي أول الأمر آراء إليوت إسميث ولكنه تراجع عنها بعد ذلك لنقص المعايير المنهجية التي استخدمها إسميث (Batrawi 1945; 1946). ويرى فيركوتير عدم جواز التعويل على الوثائق الأنثروبولوجية التي ترجع إلى تاريخ سابق لعام 1939م لإفتقارها إلى الدقة العلمية، كما أن الهياكل العظمية آنذاك لم تكن توفر في حد ذاتها أساساً لتحديد العنصر (فيركوتير 1981: 764). ومعلوم أن ماخرجي وآخرون (Mukherjee et al 1955) قد قاموا بإعادة دراسة للهياكل العظمية التي تعود للمسح الأثري الأول بالنوبة ولم يدعموا ما ذهب إليه إليوت إسميث وود جونز. وقد وجدت فكرة الهجرة المصرية تأييداً من كل من قريفيث (Griffith 1921: 3) وإمري (Emery 1965: 124). واعتقد قريفيث أن المصريين وفدوا إلى المنطقة كمستعمرين في فترة حضارة جرزة بغرض السيطرة على تجارة المواد الخام واستوطنوا على امتداد المنطقة الممتدة من الشلال الأول حتى جمي جنوب الشلال الثاني. أما أمري فقد سار في نفس الاتجاه فأشار بأن حضارة المجموعة أ بخور بهن هي نتاج

للغزو الفرعوني المصري لمصر الأمر الذي دفع بعض المجموعات المصرية للفرار جنوباً (Emery 1965: 124).

من المؤكد أنه كان لحضارة المجموعة أ إتصال حضاري مع جماعات ما قبل الأسرات (نقادة) والفترة المبكرة للأسرات المصرية. إلا أن هناك الكثير من الأدلة التي تشير بأن حضارة المجموعة أ لها خصائصها الحضارية المحلية المميزة لها وأنها بالتالي لا تمثل هجرة مصرية للنوبة السفلى. فرايزنر مثلاً لم يجد أو لم يبحث عن آثار حضارة العصر الحجري الحديث في النوبة السفلى وإفترض بأن حضارة المجموعة أ هي الأقدم في المنطقة وهي لسكان مهاجرين في فترة ما قبل الأسرات إلى النوبة السفلى. الآن تغيرت الصورة بعد إكتشاف حضارات سابقة للمجموعة أ في النوبة السفلى شكلت جذورها وخلفيتها الحضارية مثل حضارات عبدالقادر (Qada) وشبيهة الخرطوم (Kh. Variant) وعبكا (Nordstrom 1972: 17; Wendorf 1968: 1053). وهذا يشير بأن الفرضيات السابقة غير صحيحة وأن حضارة المجموعة أ تعود لسكان محليين غير مهاجرين، وهم سلالة حضارات قديمة سابقة بالمنطقة (Junker 1919; Shiner 1968: 625; Nordstrom 1972: 28; Adams 1977: 119; Williams 1980; Smith 1991: 101; O'Conner 1993). فمثلاً أبرز شاينر العلاقة القوية بين الصناعات الحجرية في بهن وفي حضارة المجموعة أ بصورة عامة، وبين صناعة عبكا النيوليثية وتوصل إلى محلية مجتمع وحضارة المجموعة أ (Wendorf 1968: 1053).

كذلك أوضح آدمز أن فخار حضارة المجموعة أ هو نتاج مباشر لفخار العصر الحجري الحديث بالنوبة وأواسط السودان ولذلك لا يوجد سبب للإعتقاد بوجود هجرة مصرية (Adams 1968: 199).

وهكذا نجد أن معظم الباحثين يعتقدون بأن أصول حضارة المجموعة أ تعود جذورها لمزيج من ثقافات وتقاليد العصر الحجري الحديث بالنوبة ووسط السودان وأيضاً لتأثير حضارة نقادة المصرية (Bonnet 1997: 37). وبالتالي فإن فرضية رايزنر ومجموعته لم تجد لها دعماً في السجل الآثاري ولم تحظ بالقبول لدى أغلب الباحثين

الذين فسروا الأثر المصري في حضارة المجموعة أ بأنه نتيجة طبيعية لعلاقة حضارة المجموعة أ مع من عاصرها من حضارات في مصر العليا في نهاية عصر نقادة الأولى.

التأريخ والتحقيب:

لا يوجد إتفاق بين الباحثين حول تأريخ المراحل المتعاقبة لحضارة المجموعة أ. وقد قدم الآثاريون آراء عدة لتأريخ حقب حضارة المجموعة أ (جدول 1) ولكن مقترح نوردستروم بتقسيمها إلى حقبة مبكرة وكلاسيكية وأخرى متأخرة نال القبول لدى أكثر الباحثين (Nordstrom 1972: 28-32). وقد ربطت الدراسات تأريخ حضارة المجموعة أ بالتسلسل التأريخي لمصر والذي وضعه كايزر (Kaiser 1957: 69-77). واقترح نوردستروم ووليامز وقاتو تقسيماً للتاريخ الحضاري للمجموعة أ (جدول 1) ولكن يبدو أن تقسيم بونيه أكثر حداثة وربما أكثر دقة من التسلسل التاريخي الذي وضعه سابقوه، وهو كما يلي (Bonnet 1997: 37):

1- الفترة المبكرة 3800- 3250 ق. م: في خلال هذه الفترة ظهرت بواكير حضارة المجموعة أ (معاصرة للفترة المتأخرة للحضارة الامراتية المصرية والفترة المبكرة للحضارة الجرزية) حول منطقة خور بهن حيث وجدت أغنى مقبرة. وتمثل هذه المنطقة الجزء القصي الشمالي لحضارة المجموعة أ. وهذه الفترة المبكرة من حضارة المجموعة أ كانت معاصرة لحضارة العصر الحجري الحديث السودانية والتي تعرف بعبكا والتي سادت في منطقة الشلال الثاني وفي بطن الحجر. هذه الفترة تم تأريخها بناء على أنواع الفخار المصري المستورد من مصر العليا (Adams 1968: 194-215) إذ لم يكن التأريخ بطريقة كربون 14 المشع معروفاً في زمان المسح الذي أجري في النوبة مطلع القرن العشرين.

وعلاقة مصر ما قبل الأسرات بالفترة الباكرة لحضارة المجموعة أ لا تزال غير واضحة. وترى قاتو وآخرون بأن الدراسات التحليلية لمواقع حضارة المجموعة أ بالمنطقة المحيطة بأسوان وتلك التي تمتد جنوباً حتى متردال تشير لشح في المواد الأثرية المحلية وكثرة في المواد المصرية مما يشير بأن هذه المواقع قد تعود

لحضارة نقادة وليس لحضارة المجموعة أ. (Gatto and Tiraterra 1996; Gatto 1997; 1998; 2000; 2006a; 2006b).

وتعتقد قاتو أن الفترة الباكرة لا تحمل خصائص حضارة المجموعة أ والمتمثلة في فترتها المتوسطة والمتأخرة (Gatto 2006a: 23). ويبدو أن ما كان يعتقد بأنه يمثل حضارة المجموعة أ الباكرة ما هو إلا مزيج من حضارتي المجموعة أ ونقادة في المنطقة التي تحيط بالشلال الأول حيث كان التفاعل قوياً ومنتظماً.

2- الفترة الوسيطة 3250 - 3150 ق. م: وهذه معاصرة للفترة الوسيطة للحضارة الجرزية المصرية (Middle Gerzian) أيضاً وتعد فترة التكوين النموذجي لحضارة المجموعة أ (formative phase of the A-Group proper). وفي هذه الفترة عملت المجتمعات على تطوير حضارة متجانسة تتميز بالاتصال الحضاري النشط مع كل من مصر والنوبة العليا. وكان هنالك استمرارية وتطور حضاري اجتماعي متواصل بين هذه الفترة والفترة اللاحقة.

3- الفترة الأخيرة 3150 – 2800 ق.م: وهذه كانت معاصرة لفترة توحيد مصر (نهاية الحقبة الجرزية) ونشوء الأسرة الحاكمة الأولى، أي ما يعرف ببداية فترة الأسرات ونشأة الدولة.

وقد شهدت الفترة الوسيطة والمتأخرة من حضارة المجموعة أ تغييرات وتطورات مشابهة لحضارة نقادة إذ لوحظ زيادة في الكثافة السكانية وممارسة للزراعة وظهور طبقات إجتماعية أكثر ثراء وظهور النظم المؤسسية المصرية (Hierarchical Pharoanic institutions).

وفي خلال هذه الفترة إنتشرت مواقع الحضارة في الجنوب بحيث وصلت إلى منطقة الشلال الثاني. وتوضح الخارطة المرفقة (شكل 2) التوزيع السكاني لحضارتي نقادة والمجموعة أ وما عاصرهما في النوبة العليا (ما قبل كرمة) في نحو 3100 ق.م خلال ما يجب أن يشار إليه في وادي النيل بالعصر البرونزي المبكر. ويوضح الجدول (1) الحقب التاريخية المتعاقبة لحضارة المجموعة أ وما عاصرها من مراحل حضارة نقادة

بمصر العليا. كذلك يوضح الجدول (2) الموقع التأريخي لحضارة المجموعة أ بين ما عاصرها وخلفها من حضارات بمنطقة النوبة.

التأريخ ق. م	المجموعة أ	ما قبل الأسرات (كايزر)
3800- 3600 ق.م	المجموعة أ المبكرة (A1)	نقادة IC-IIA
3600- 3400 ق.م	المجموعة أ المبكرة (B1)	نقادة IIB-D
3400- 3200 ق.م تقريباً	المجموعة أ الوسيطة (IIA-C)	نقادة IID-IIIA
3200- 2900 ق.م تقريباً	المجموعة أ المتأخرة (III)	نقادة IIIB-C

جدول (1) تأريخ حضارتي المجموعة أ ونقادة المصرية

المصدر (Running 2012: 21, Table 1)

التأريخ ق. م	**النوبة السفلى**	**النوبة العليا**
3700 ق.م	المجموعة أ المبكرة	**العصر الحجري الحديث؟**
3500 ق. م		
3500	المجموعة أ الوسيطة	ما قبل كرمة
3100	المجموعة أ المتأخرة	
3100		ما قبل كرمة
3000	فراغ حضاري	

3000		
	فراغ حضاري	ما قبل كرمة
2400		
2400		
	المجموعة ج (1أ ، 1ب)	كرمة المبكرة
2050		
2050		
	المجموعة أ (2أ ، 2ب)	كرمة الوسيطة
1700		
1700		
	المجموعة ج (3)	كرمة "الكلاسيكية"
1550		

جدول (2) تأريخ حضارة المجموعة أ وج وما عاصرهما من حضارات بالنوبة العليا

المصدر (O'Conner 1993: 7, Fig. 1.2)

إضمحلال ونهاية حضارة المجموعة أ:

كان رايزنر، وهو أول من نقب في مواقع المجموعة أ قد افترض أنه بعد نهاية المجموعة الأولى ظهر طور ثقافي جديد أطلق عليه اسم المجموعة ب ظل أهلها يقطنون في الأطراف الشمالية للسودان القديم خلال عصر الدولة المصرية القديمة. إنه وبالنظر إلى غياب أي نوع من المواقع السكنية التي يمكن إرجاعها للمجموعة ب فقد اعتمدت فرضية رايزنر كلياً على التحليل المقارن للمواد التي تم الكشف عنها في المدافن التي يعود تأريخها إلى تلك الفترة. من ثم فإن فرضية وجود النسق الثقافي المسمى المجموعة ب واجه رفضاً في أوساط الباحثين. لذا نجد سودربيرج يذكر بأن " مسألة تحديد تاريخ انتهاء المجموعة أ وزوالها تواجه حتى الآن صعوبات كثيرة. إن دراسة المنطقة الواقعة على ضفتي النيل امتدادا من صرص في الشمال حتى وادي حلفا في الجنوب لم تقدم أية مواد يمكن تحديد انتمائها إلى ما يسمى المجموعة ب. ولا توجد معلومات تفيد بأن

بعثة من البعثات الآثارية العاملة في السودان حققت نجاحاً في تسجيل مثل هذا النوع من المواد"(Save-Soderbergh 1963: 47-69).

يعتقد أن حضارة المجموعة أ إنتهت فجأة وهي في قمة إزدهارها. والتاريخ المتفق عليه من قبل الباحثين لنهاية حضارة المجموعة أ يتوافق مع نهاية الأسرة المصرية الأولى وربما بداية الثانية. ويشير لوجود فجوة تاريخية تقدر بنحو 500 عام إذ أن المجموعة ج والتي خلفت المجموعة أ لم تظهر قبل الأسرة السادسة. وتشير هذه الفجوة لغياب أو توقف الاتصالات الحضارية بين مصر والنوبة في الجنوب.

من المحتمل أن حضارة المجموعة أ إعتمدت على دورها كوسيط في الشبكة التجارية بين مصر والنوبة العليا في استمراريتها وسبل كسب عيشها. ولذلك بدأت حضارة المجموعة أ في التفكك والانهيار خلال حقبة حكم الأسرة المصرية الأولى والتي شهدت إنقطاع وصول السلع التجارية المصرية إلى مواقع حضارة المجوعة أ. ويعتقد تريقر بأن ملوك الأسرة المصرية الأولى الحاكمة ربما سعوا للقضاء على حضارة المجموعة أ كوسيط تجاري لأفريقيا الصحراوية والعمل على إيجاد طريق مباشر للحصول على السلع والبضائع الأفريقية مثل العاج والأبنوس وجلود وفراء الحيوانات (Trigger 1976) والذهب من الصحراء الشرقية (Midant-Reynes 2000; Trigger et al 1983).

وربما نتيجة لذلك أصبح السكان رعاة يتركون خلفهم القليل من المواد الحضارية (material remains). وشهدت منطقة النوبة السفلى في الفترة ما بين عهد الملك جر من الأسرة الأولى (2900 ق. م تقريباً) والأسرة الخامسة (نحو 2374 ق.م) القليل من المستوطنات والمقابر المحلية. وقد تم العثور في بوهين (مقابل مدينة وادي حلفا) على مستوطنة مصرية أرخت للأسرة الرابعة والخامسة من المملكة المصرية القديمة.

يبدو أن الازدهار والثراء خلال الحقبة الأخيرة من حضارة المجموعة أ جاء نتيجة اتساع حضارة نقادة وتوسعها في مصر. وقد لوحظ هذا الازدهار والثراء أيضاً في نفس الفترة في المستوطنات التجارية بسيناء. ونهاية حضارة المجموعة ا يتوافق مع نهاية هذه

المستوطنات التجارية بسيناء. وكل هذه الأحداث تتوافق مع بروز الدولة في مصر. وربما يتوافق ذلك مع ما ذكره حور أحا (Hor Aha) من إخضاعه لتاء ستي (Ta-Seti) أي منطقة النوبة السفلى (شكل 6) (Williams 1986b: 136). كذلك تم العثور على نقش يشير إلى حملة أرسلها الملك المصري جر (نحو 3100 ق. م). ومرت الحملة بالقرب من جبل الشيخ سليمان (Needler 1967: 87-91, fig. 1) حيث خلفت النقش هناك وهو نقش أثار تفسيره الكثير من الجدل بين الباحثين (لوحة 4). يرى البعض أن حملات الملكين جر وحو أحا على النوبة السفلى كانت ذات طابع تجاري، في حين يرى آخرون أن نقش جر يشير إلى إحتلال للسودان القديم من الشلال الأول حتى منطقة وادي حلفا(Ciatowicz 1998: 17-22). وهذا الرأي الأخير الذي يرى بأن مصر استطاعت في عهد أسرتها الأولى من احتلال النوبة السفلى يظل مجرد فرضية لا تجد من الوقائع ما يكفي لدعمها وتأكيدها (النور 2006: 206).

وتشير إحدى الفرضيات أن حضارة المجموعة أ ربما استمرت لتكون حضارة المجموعة ج نظراً لما كان بينهما من ارتباط (Reisner 1910: 333). وترفض آراء حديثة افتراض الهجرة، وترى ان حضارة المجموعة ج هي حصيلة تطور ثقافي للمجموعة أ (Adams 1968: 199).

كشف مؤخراُ بمنطقة الشلال الثالث ما يشير لوجود سكاني نحو 3000 ق. م (Bonnet 1990: 29-31; Honegger 1995: 58-59; Honegger, M., 2004a; Honegger, M., 2004b). إذ قام بونيه في عام 1986م باكتشاف مواقع بمنطقة كرمة أطلق عليها اسم "ما قبل كرمة" وهي معاصرة جزئياً لحضارة المجموعة أ (Bonnet 1988: 5-20). ولا تزال خصائص ما يعرف بما قبل كرمة تحت الدراسة وحقبتها الزمنية الكاملة وحدودها الجنوبية لا تزال غير مؤكدة. ونسبة لأنها تسبق حضارة كرمة فإن تاريخها المتأخر يقع ما بين 2500 إلى 2400 ق.م تقريباً (المصدر السابق). وبذلك فإن ماقبل كرمة يمكن أن تملأ الفجوة الزمنية التي نتجت باختفاء حضارة المجموعة أ (نحو 2400 – 2800 ق. م).

والمواد الحضارية لما قبل كرمة تتمثل في مجموعة من الفخار عثر عليه في مدافن في المنطقة CE12 بوسط الجبانة الشرقية القديمة بكرمة. وقد وصف الفخار بأنه محلي، يشبه جزء من فخار المجموعتين أ وج وفخار كرمة المبكر (Privati 1988: 21-24).

قام برايفاتي بداسة فخار ما قبل كرمة ولاحظ أنه يضم فخاراً أحمراً مصقولاً على السطح الخارجي وله حواف سوداء يشبه بعض فخاريات المجموعتين أ وج. كذلك لاحظ وجود فخار ذو سطح مموج rippled وآخر رقيق يشبه فخار حضارة المجموعة أ. وفي غياب نتائج تحليلات كربون 14 لتأريخ الحقبة المبكرة لحضارة المجموعة أ فإن دراسة فخار لما قبل كرمة تشير لمعاصرة لحضارة المجموعة أ. ويقترح برايفاتي على ضوء ذلك هجرة جنوبية لسكان حضارة المجموعة أ إلى منطقة كرمة بعد حوالي 3000 ق.م في الوقت الذي حدثت فيه فجوة في الاستيطان في النوبة السفلى. وهذا مهم لفهم هذه الفجوة إذ أن ما قبل كرمة يشير إلى ان النوبة السفلى لم تهجر كلية بعد نهاية المجموعة أ. و قد يلقي الضوء على اصول حضارة كرمة التي ربما تعود جذورها للعصر البرونزي المبكر.

مستقبل دراسات حضارة المجموعة أ:

في ختام هذا العرض يمكن القول أنه رغم انتهاء حملة إنقاذ آثار النوبة قبل أكثر من خمسين عاماً ونهاية التنقيبات في مواقع حضارة المجموعة أ بعد غمر منطقة النوبة السفلى بمياه السد العالي إلا ن دراسات حضارة المجموعة أ لم تكتمل بعد. ولا تزال هنك حاجة لنشر نتائج بعض التنقيبات لبعض المواقع والتي لم تنشر حتى اليوم. وعلى سبيل المثال، لا الحصر، لم تنشر نتائج تنقيبات مدافن موقع تنقلا غرب (عافية) Tunqla West والتي تعد مبانيها العلوية Superstructures نموذجاً نادراً لمدافن حضارة المجموعة أ (شكل 4).

رغم تناول هذه الورقة لبعض القضايا والإشكالات العامة التي تواجه الباحثين في حضارة المجموعة أ يبدو أن هنالك المزيد من القضايا والإشكالات الدقيقة التي لا

تزال في حاجة لمزيد من البحث والتقصي والتي سبق أن أشارت رامبرساد (Rampersad 1999: 436-38) إلى بعض منها، ومن أمثلتها ما يلي:

1- طبيعة مدافن الكلاب والحيوانات الأخرى لا تزال غير واضحة. وعندها يجب مقارنتها بشبيهاتها من مواد العصر الحجري الحديث بمنطقة النيل الأوسط.

2- عادة دفن الأطفال في جرار والتي مارسها سكان المجموعة أ لا تزال في حاجة لمزيد من الدراسة والتوضيح خاصة وهناك أمثلة مشابهة في بعض مواقع النيل الأوسط التي تعود للعصر الحجري الحديث (موقع الصور بالقرب من كبوشية مثلاً).

3- لا تزال هناك حاجة للإحصائيات الكمية لمجموعات فخار حضارة المجموعة أ ceramic assemblages. ورغم دقة التصنيف الذي قام به نوردستروم إلا أنه في حاجة لدعم إحصائي من بيانات من مواقع خارج نطاق منطقة البعثة الاسكندنافية SJE.

4- لا نزال في حاجة لتحديد تأريخ الفترة المبكرة من حضارة المجموعة أ بوسيلة كربون 14 المشع أو بأية وسائل أخرى مماثلة، إذ لا بد أن هناك مواد عضوية ضمن معثورات تلك المجموعة يمكن تأريخها.

5- هناك حاجة لإجراء مزيد من الدراسات البيئية النباتية والحيوانية وللحبوب خاصة فيما يتعلق بقضايا استئناس النبات وتدجين الحيوان. والحبوب النباتية خاصة تلك التي عثر عليها بموقع عافية ونتائج دراستها وإشكالات هذا الموقع تم التطرق لها في صلب البحث.

6- إن حضارة المجموعة أ عرفت من خلال الحملات الإنقاذية للنوبة في بداية القرن العشرين ومن ثم خلال حملة إنقاذ آثار النوبة الأخيرة. وأكثر نتائج هذا العمل لم ينشر بعد وظل حبيس الإرشيفات (Stevenson 2012b). والجزء الأكبر الذي لم يتم نشره قد

يكشف الكثير عن العادات الجنائزية وطقوسها وأنماط الاستيطان لتلك الحضارة. وما لم ينشر قد يكشف أيضاً المزيد عن سماتها الحضارية ومجتمعها وطبيعة علائقها المبكرة مع مصر.

7- كذلك تجدرإعادة تقييم وقراءة للمواد الحضارية لموقع قسطل إذ لا توجد محاولة لتقييم الموقع والنظرة إليه من خلال تطور النظام الاجتماعي لحضارة المجموعة أ. ولم يقدم أحد بديلاً لنظرية وليامز الخاصة بالنظام الاجتماعي لذلك المجتمع. ولذلك يبقى الموقع برمته علامة فارقة في حضارة المجموعة أ وفي حاجة لمزيد من الدراسة.

8- تسليط الضوء على الصلات الحضارية بين حضارة المجموعة أ وما جاورها وعاصرها من الحضارات الأخرى في منطقة النوبة العليا والنيل الأوسط والصحاري الشرقية والغربية حولها.

9- توضيح دور العصر الحجري الحديث بوسط السودان في حضارة المجموعة أ خاصة وأن البعض يرى أن حضارة المجموعة مرتبطة بحضارة الشاهيناب وليست الاختلافات بين الحضارتين سوى تنوع إقليمي وزمني (النور 2006: 204).

10- لا تزال علاقة هذه الحضارة في مراحلها المبكرة بحضارة نقادة وشبيهة الخرطوم غير واضحة إذ أن المواقع المبكرة لحضارة المجموعة أ تقع في شمال النوبة السفلى (مقابر خور بهن مثلاً) والتي تم العمل فيها في بداية القرن العشرين، ولم تعثر حملات إنقاذ آثار النوبة التي تمت في فترات لاحقة أية مواقع مبكرة. لذا لا يزال الغموض يكتنف أصل وجذور هذه الحضارة وتاريخها المبكر، مما يتطلب المزيد من البحث.

هذه القضايا والإشكالات قد تشكل في مجملها موضوعات يمكن تناولها بالمزيد من البحث عبر المادة الأثرية المكتشفة من مواقع هذه المجموعة في مستودعات المتاحف، خاصة بعد غياب المنطقة الرئيسة التي غمرتها مياه السد العالي.

الخلاصة والنتائج:

لقد جاءت معرفتنا بحضارة المجموعة أ إثر بداية حملة إنقاذ آثار النوبة في عام 1902 م عند إنشاء خزان أسوان. وبدأ أول عمل مسح لآثار منطقة النوبة السفلى في عام 1907 م عند تعلية خزان أسوان. وكانت أخر تلك الحملات هي الحملة الدولية لإنقاذ آثار النوبة بقيادة هيئة اليونسكو.

كان أول من إكتشف وتعرف على حضارة المجموعة أ وسماها بهذا الاسم جورج رايزنر في بداية القرن العشرين. وتمتد مواقعها من منطقة الشلال الأول عند أسوان إلى الشلال الثاني. وهناك القليل من المواقع التي تعود لأواخر الألف الرابع ق. م وتقع إلى الجنوب من الشلال الثاني في منطقة بطن الحجر. وقد عرفت أغلب سماتها من مقابرها التي حوت على كثير من المعثورات المصرية والتي جلبت عبر التجارة من مواقع حضارة نقادة بمصر العليا. وقد كانت لهذه المجموعة سماتها الحضارية التي ميزتها عن حضارة نقادة المجاورة والمعاصرة لها. المستوطنات السكنية لهذه المجموعة تم التركيز عليها في حملة إنقاذ آثار النوبة في الستينيات من القرن الماضي. وقد كانت في معظمها عبارة عن أكواخ من أغصان وفروع الأشجار وملاجئ صخرية. كما تم العثور على القليل من المنازل ذات الأساسات الحجرية.

وقد تأثرت نتائج التفسير للبينات الأثرية بفكر المدرسة الانتشارية الذي كان سائداً في تلك الفترة كما تأثر التفسير كثيراً بتحيز علماء المصريات للآثار التاريخية وإهمال حقب ما قبل التاريخ التي أرست الأساس للمدنيات القديمة. ويتضح ذلك جلياً في نظرة عالم المصريات رايزنر لأصول وجذور مجتمع حضارة المجموعة أ وقد أثر ذلك المنهج كثيراً في دراسة الحضارات التي شهدتها أرض النوبة.

تشكل المقابر الجزء الأكبر من مواقع هذه الحضارة التي برزت ونشأت في النوبة السفلى نحو 3700 ق. م معاصرة لمرحلة ما قبل الأسرات في مصر. وأستمرت هذه الحضارة حتى نحو 2900 ق.م معاصرة لنهاية الفترة الجرزية وظهور الأسرة المصرية الأولى. وقد كانت في قمة ازدهارها عند اختفائها. وكانت أبرز مراكزها المزدهرة هي قسطل التي تقع في جنوب النوبة السفلى (عند الحدود السودانية المصرية الحالية).

ورغم قيام حملات إنقاذ تراث منطقة النوبة وكشفها للكثير عن الجوانب الحضارية لحضارة المجموعة أ، وتطبيقها للنظريات والمناهج الحديثة التي نتجت من تطور علم الآثار خاصة خلال فترة الستينيات من القرن الماضي إلا أنه لا تزال هناك بعض القضايا والإشكالات التي تناولها البحث والتي نرى أنها في حاجة لمزيد من التقصي والدراسة لتتضح الرؤية في بعض الجوانب الحضارية التي لا يزال يكتنفها الغموض.

المراجع العربية

- النور، أسامة عبدالرحمن. 2006م. **دراسات في تاريخ السودان القديم**. مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي، أم درمان.
- فيركوته، ج. **تاريخ أفريقيا العام، المجلد الثاني**، حضارات أفريقيا القديمة، "ملحق: تقرير عن ندوة (عمران مصر القديمة بالسكان وفك رموز الكتابة المروية): 744 – 775"، إشراف مختار، محمد جمال الدين وجين افريك، اليونسكو.

Adams, W. Y. 1968. "Invasion, diffusion, Evolution?" **Antiquity**, XLII: 194-215.

Adams, W.Y., 1977. **Nubia: Corridor to Africa**, Princeton.

Bates O., Dunham, D. 1927. "Excavations at Gemmai". In: **Harvard African Studies**. Vol. 8, Varia Africana IV, pp. 1121, Harvard University, Peabody Museum, African Department. Cambridge, Massachusetts.

Batrawi. A. M.1935. "Report on the Human Remains". **Service des antiquites de l' Egypt, Mission archaeologique de Nubie 1929-1934**. Cairo: Government Press.

Batrawi. A. M. 1945. "The Racial History of Egypt and Nubia". **Journal of the Royal Anthropological Institute** 75: 81-101.

Batrawi. A. M. 1946. "The Racial History of Egypt and Nubia". **Journal of the Royal Anthropological Institute** 76: 131-156.

Bonnet, C. 1988. "Les fouilles archeologiques de Kerma, Soudan'. **Genava** 36: 5-20.

Bonnet. C. 1997. In D. Wildung, ed. "A-Group and Pre-Kerma", in **Sudan: Ancient Kingdoms of the Nile**: 37-47. Flammarion, Paris.

Ciatowicz, Krzysztof. M. "The Earliest Evidence of Egypt's Expansion into Nubia?". Edited by Henryk Paner, **Gdansk Archaeological Museum, African Reports**, vol. 1: 17-22.

Davies, W. V., Editor. 1991. **Egypt and Africa: Nubia from Prehistory to Islam**. British Museum Press, London.

Emery, W. B. 1961. **Archaic Egypt**. Harmondsworth: Penguin Books.

Emery, W. B. 1965. **Egypt in Nubia**. London.

Emery, W.B. & Kirwan, L.P., 1935. **Excavations and Survey between Wadi es Sebua and Adindan 1929-1931**. Bulaq.

Firth, C.M., 1912. **The Archaeological Survey of Nubia: Report for 1908-1909**. Cairo.

Firth, C.M., 1915. **The Archaeological Survey of Nubia: Report for 1909-1910**. Cairo.

Firth, C.M., 1927. **The Archaeological Survey of Nubia: Report for 1910-1911**. Cairo.

Gatto, M.C., 1997a. "La cultura protostoricadel Gruppi-A in Bassa Nubia (Egitto, Sudan)". **Archeologia Africana – Saggi Occasionali**, 3: 37-46.

Gatto, M.C., 1997b. "Regional differences in the so-called A-Group Culture of Lower Nubia". [in:] Barich, B. & M.C., Gatto (eds.), **Dynamics of populations, movements and responses to climatic changes in Africa**. Rome, Forum for African Archaeology and Cultural Heritage and University of Rome "La Sapienza": 105-111.

Gatto, M.C., 1998a. "A very preliminary review of the A-Groups ceramic material". ***CRIPEL***, 17/3: 105-112.

Gatto, M.C, 1998b. "A-Groups: a Complex Society of Lower Nubia". [in:] Alhaique, C.,Arias, Barich, B.E., Beck, C.W., Conard, N.J., De Grossi Mazzorin, J., Heyworth, M., Krzyzaniak, L., Martini, A., Masseti, M., Negroni Catacchio, N., Patou-Mathis, M., Rarnal, J.P., Striedter, M.K., Tagliacozzo, A., Tillet, T., Vannucci, S., Wendorf, F. & Peretto, C. (eds.) **Proceedings VIII° Congress I USSP – Workshops Vol. 1, Forlì**: 515-519.

Gatto, M.C., 2000. "The most ancient evidence of the "A-

Groups" Culture in Lower Nubia". [in:] KRZYZANIAK, L., KROEPER, K. & KOBUSIEWICZ, M. (eds.), ***Recent Research into the Stone Age of Northeastern Africa***. Poznan, Poznan Archaeological Museum: 105-117.

Gatto, M.C., 2001-2002." Two Predynastic caches at Bir Sahara (Egyptian Western Desert)". **Sahara**, 13: 51-60.

Gatto, M.C., 2003. "Hunting for the elusive Nubian A-Group". ***Nekhen News***: 14-15.

Gatto, M.C., 2005. "Nubians in Egypt: Survey in the Aswan-Kom Ombo Region". **Sudan & Nubia**, 9: 72-75.

Gatto, M.C., 2006 a. "The British Museum/University of Milan geo-archaeological survey project in the Aswan-Kom Ombo region: report of the 2005 field season". [in:] CASINI M. (ed.) ***RISE*** *3*, Cairo.

Gatto, M.C., 2006 b. "The Early A-Group in the north: Upper Lower Nubia, Upper Egypt and surrounding deserts". [in:] CHLODNICKI M., K. KROEPER & KOBUSIEWICZ M. (eds.), **Archaeology of the Earliest Northeastern Africa**, volume dedicated to the memory of Lech Krzyzaniak: 223-243. Poznan.

Gatto, M.C., 2006 c. "The Nubian A-Group: a reassessment". **Archeonil** no. 16 Les civilizations du Soudan ancient. Hommage a Francis Geus: 61-76.

Gatto, M.C. & Tiraterra, F., 1996. "Contacts between A-Groups Nubia and Predynastic Egypt". [in:] Kryzyzaniak L., Kroeper K &Kobusiewicz M. (eds.), **Interregional Contacts in the Later Prehistory of Northeastern Africa**. Poznan: 331-334.

Geus, F. 1984. **Rescuing Sudan Ancient Cultures**. French Unit of the Directorate General of Antiquities and National Museums of the Sudan, Khartoum.

Griffith, F.L., 1921. Oxford Excavations in Nubia. Faras I-II. The Earliest Periods, Proto-Dynastic Settlement and Cemetery. **LAAA**, 8: 1-18.

Hofmann, I. 1971. Zu den sogenanten Denkmalern der Konige Skorpion und Dr am Jebel Sheikh Suliman (Nubien), **BiOr** 28.

Honegger, M., 1995. "Kerma Note sur la reprise des fouilles de l'agglomeration pre-Kerma," Genava XLIII: 58-59.

Honegger, M., 2004a. "The Pre-Kerma: a cultural group from Upper Nubia prior to the Kerma civilization". **Sudan & Nubia**, 8: 38-46.

Honegger, M., 2004b. "The Pre-Kerma period". [in:] WELSBY, D.A. & ANDERSON, J.R. (eds.) **Sudan Ancient Treasures**. London: 61-63.

Junker. H. 1921. "The First Appearnce of Negroes in History". **Journal of Egyptian Archaeology** 7: 123.

Kaiser, W., 1957. Zur inneren Chronologie der Naqada-kultur. **Archaeologia Geografica**, 6: 69-77.

Keating. Rex. 1975. **Nubian Rescue**. London: Hawthorn Books.

Lal, B.B., 1967. "Indian Archaeological Expedition to Nubia, 1962. A Preliminary Report". **Fouille en Nubie** 1961-1963: 97-118.

Lange, M., 2003. "Settlement sites of the A-Group from the Laqiya-Region (Eastern Sahara, Northwest-Sudan)". [in:] Krzyzaniak, L., Kroeper, K. & Kobusiewicz, M. (eds.) **Cultural Markers in the Later Prehistory of Northeastern Africa and Recent Research. Studies in African Archaeology**, vol. 8. Poznan: 105-127.

Lange, M., 2006. "The archaeology of the Laqiya Region (N W-Sudan: Ceramics, chronology and culture". **ACta Nubica**: 107-115.

Midant-Reynes, Beatrix. 2000. **The Prehistory of Egypt: From the First Egyptians to the First Pharaohs**. Translated by Ian Shaw. Blackwell Publishers Ltd, Malden, Massachussetts.

Mukherjee, R; Rao, C. R and Trevor, J. C. 1955. **The Ancient Inhabitants of Jebel Moya**, Sudan. New York: Cambridge University Press.

Myers, O. H. 1958. "Abka Re-excavated". **Kush** 6: 131-141.

Myers, O. H. 1960. "Abka Again". **Kush** 8: 174-81.

Needler, W. 1967. "Rock-drawing on Jebel Sheikh Suliman monument (near Wadi Halfa) showing a Scorpion and Human Figures." **Journal of American Research Center in Egypt** 6: 87-91.

Nordstrom, H.-Å., 1966. "A-Group and C-Group in Upper Nubia." **Kush** 14: 63-68.

Nordstrom, H-A. 1972. **Neolithic and A-Group Sites**. The Scandinavian Joint Expedition to Sudanese Nubia, 3. Upsalla.

Nordstrom, H-A. 1996. "The Nubian A-Group: Ranking Funerary Remains". **Norwegian Archaeological Review** 29/1, 17-39.

Nordstrom, H.-Å., n.d. "The A-Group: core and periphery". **Paper presented at the X International Nubian Conference in Rome**, September 2002.

O'Conner, David. 1991. "Early States Along the Nubian Nile". In (ed.) Davies 1991. **Egypt and Africa: Nubia from Prehistory to Islam:** 145-165. British Museum Press, London.

O'Conner, David. 1993. **Ancient Nubia: Egypt's Rival in Africa**. The University Museum of Archaeology and Anthropology, University of Pennsylvania, Philadelphia.

Piotrovsky, B. B. "The Early Dynasty Settlement of Khor-Daoud and Wadi Allaki, the Ancient Route of the Gold Mines." In

Fouilles en Nubie 1961-1963: 127- 140. Cairo.

Privati. B. 1988. "La ceramique de l'etablissemnt pre-Kerma'. **Genava** 36: 21-24.

Quintana, C. 2012. "The Socio-Economical Character of the A-Group in Lower Nubia (c. 3700-2800 BCE)". **Buried History** 2012, Vol. 48: 27-36.

Rampersad, S.R., 1999. **The origin and relationships of the Nubian A-Group**. University of Toronto. National Library of Canada.

Reisner, G.A., 1910. **The Archaeological Survey of Nubia. Report for 1907-1908**. Cairo.

Rice, P. M. 1987. **Pottery Analysis: A sourcebook**. The University of Chicago Press, Chicago.

Running, M. D. 2012. **Nubian A-Group and Egyptian Naqada Trade Relations in the Predynastic**. A BSC Thesis submitted to the Faculty of The Archaeological Studies Program, Department of Sociology and Archaeology, University of Wisconsin-La Crosse

Save-Soderbergh, T. 1963. Preliminary Report on the Scandinavian Joint Expedition. "Archaeological Investigations between Faras and Gemai, November 1961-March 1962". **Kush**, vol. 11: 47-69.

Save-Soderbergh, T. 1987. **Temples and Tombs of Ancient**

Nubia. Unesco. Thames and Hudson Ltd, London.

Schild, R. M. Chmielewska, and H. Wieckowska. 1968. "The Arkinian and Shamarkian Industries," In **The Prehistory of Nubia**, vol.2, edited by F. Wendorf: 651-767.

Seidlmayer, S. J. 1991. "Beispiele Nubischer Keramik aus Kontexten des Hohen Alten Reiches aus Elphantine" (in:) **Agypten im afro-orientalischen Kontex-Gedenkschrift Peter Behrens**, D. Mendel, U. Claudi (eds.), Cologne: Afrikanistische Areibts papiere, pp. 337-350.

Shiner, J. L. 1968. "The Cataract Tradition". In **The Prehistory of Nubia**, edited by F. Wendorf: 768-790. Dallas: For Burgwin Research Center and Southern Methodist University Press.

Save-Soderbergh, T. 1973. "Preliminary Report of the Scandinavian Joint Expedition. Investigations between Faras and Gemmai, November 1963 – March 1964". **Kush** 15 (1967-68), pp. 211-50.

Shinnie, P. L. 1996. **Ancient Nubia**. Kegan Pau International. London and New York.l

Smith. G. E. 1908. **Anatomical report, Archaeological Survey of Nubia Bulletin** 1: 25-35.

Smith. G. E. 1909 a. **Anatomical report, Archaeological Survey of Nubia Bulletin** 3: 21-27.

Smith. G. E. 1909 b. **Anatomical report, Archaeological**

Survey of Nubia Bulletin 4: 19-21.

Smith. G. E. and F. Wood Jones. 1910 a. **The Archaeological Survey of Nubia: Report for 1907-1908**. Vol. II. Report on Human Remains.

Smith. G. E. and F. Wood Jones. 1910 b. **The Archaeological Survey of Nubia: Report for 1907-1908**. Vol. II. Plates and Plans Accompanying Vol. II.

Smith. G. E., Derry D. E. 1910 a. **Anatomical report, Archaeological Survey of Nubia Bulletin** 6: 9-30.

Smith. G. E., Derry D. E. 1910 b. **Anatomical report, Archaeological Survey of Nubia Bulletin** 7: 19-21.

Smith, H. S. 1962. Preliminary Reports of the Egypt Exploration Society's Nubian Survey. Cairo: Antiquities Department of Egypt.

Smith, H. S. 1965. "Comments" on "Review of Predynastic Development in the Nile Valley", By A. J. Arkell and P. J. Ucko. **Current Anthropology** 6 (no. 2): 163-164.

Smith, H.S., 1966. The Nubian B-Group. **Kush**, 14: 69-124.

Smith, H.S., 1991. The Development of the "A-Group" Culture in Northern Lower Nubia. [in:] Davies, W.V. (ed.), **Egypt and Africa from Prehistory to Islam**: 92-111. London.

Steindorff, G., 1935. **Aniba**. Gluckstadt and Hamburg.

Stemler, A. and R. H. Falk. 1984. "Evidence of Grains from site

of Wadi Kubbaniyah (Upper Egypt)", in **Origin and Development of Food-producing Cultures in North Eastern Africa**, edited by L. kryzaniak and M. Kobusiewicz, 129-138. Poznan Archaeological Museum.

Stevenson, Alice. 2012-a. "Social Complexity Set in Stone? The A-Group Site of Afyeh", **Sudan & Nubia**, Bulletin No. 16: 13-19.

Stevenson, Alice. 2012-b. "The A-Group Cemetery at Tunqala West". **Journal of Egyptian Archaeology** 98: 225-47.

Takamiya, I. H., 2005. 'Egyptian pottery distribution in A-Group cemeteries, Lower Nubia: towards an understanding of exchange between the Naqada culture and the A-Group culture". **Journal of Egyptian Archaeology**, 90: 35-62.

Trigger, B.G., 1965. **History and Settlement in Lower Nubia**. Yale University Publications in Anthropology no.69. New Haven.

Trigger, B.G., 1976. **Nubia under the Pharaohs**. London.

Trigger, B.G., Barry J. Kemp, David O'Connor, Alan B. Lloyd. 1983. **Ancient Egypt: A Social History**. Cambridge University Press, Cambridge.

Ucko, P. 1968. "Anthropomorphic Figurines of Predynastic Egypt and Neolithic Crete with Comparative Material from the Prehistoric Near East and Mainland Greece". **Royal Anthropological Institute Occasional Papers**, 24, London.

Vagn Nielson, O. 1970. **Human Remains: Metrical and Non-Metrical Anatomical Variations. Scandinavian Joint Expedition To Sudanese Nubia**. Vol. 9, edited by T. Save-Soderbergh. Odense: Scandinavian University Books.

Verwers, G. J. 1961. "Trial Excavations in the Faras Region". **Kush** 9: 15-29.

Verwers, G. J. 1962. "The Survey from Faras to Gezira Dabarosa", **Kush** 10: 19-33.

Weigall, A. E. P. 1907. **A Report on the Antiquities of Lower Nubia**. Oxford.

Wendorf, F. 1968. Ed. **The Prehistory of Nubia**. 2 vols. Dallas.

Wenig, S. 1978. **Africa in Antiquity II. The Arts of Ancient Nubia and the Sudan**. The catalogue.

Williams, B. B. 1980. "The lost pharaohs of Nubia", **Archaeology** 33: 14-21.

Williams, B.B., 1986a. **Excavations Between AbuSimbel and the Sudanese Frontier. The A-Group Royal Cemetery at Qustul: Cemetery L**. Oriental Institute Nubian Expedition, vol. III. University of Chicago, Chicago.

Williams, B.B., 1986b. **Excavations between AbuSimbel and the Sudanese Frontier. Keith C. Seele, Director. Parts 2, 3, and 4: Neolithic, A-Group, and Post A-Group Remains**

from cemeteries W, V, S, Q, T and A cave east of Cemetry K. Oriental Institute Nubian Expedition, Vol. IV University of Chicago, Chicago.

Williams, B.B., 1987. "Forebears of Menes in Nubia: Myth or reality", **Journal of Near Eastern Studies** 46: 15-26.

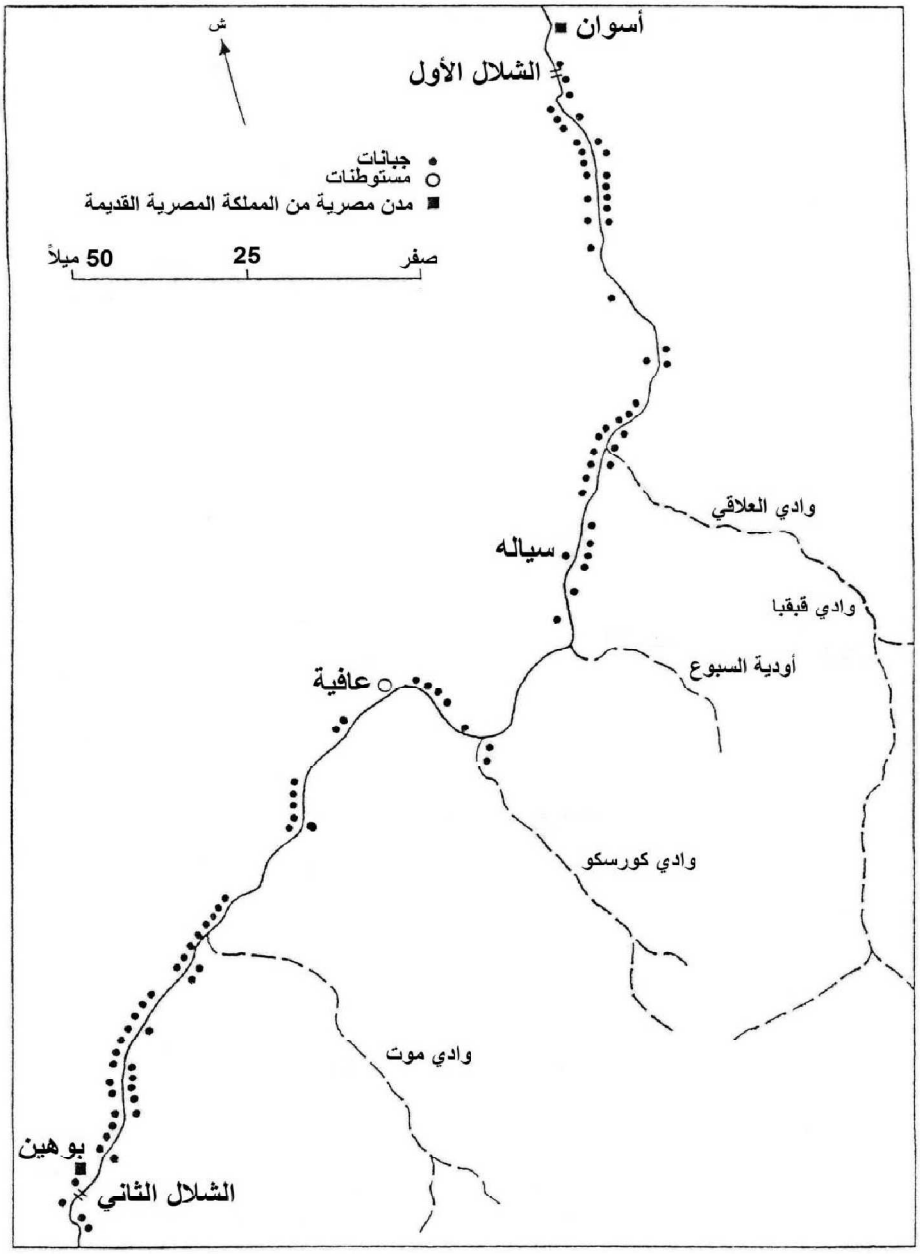

شكل (1) مواقع حضارة المجموعة أ بالنوبة السفلى

المصدر(Shinnie 1996: 45, map 4)

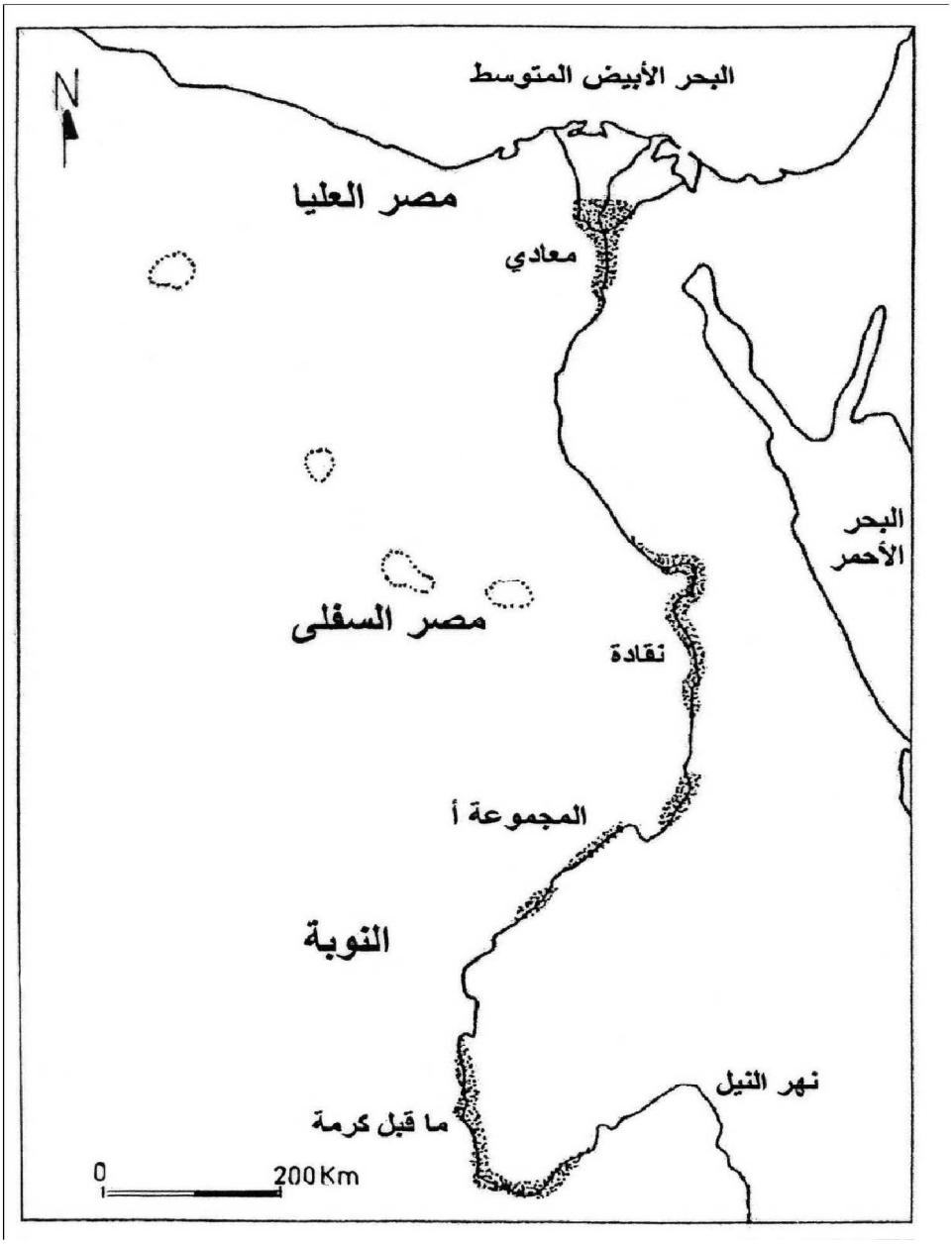

شكل (2) مراكز التجمعات السكانية خلال العصر البرونزي المبكر في وادي النيل المصدر (Davies 1991)

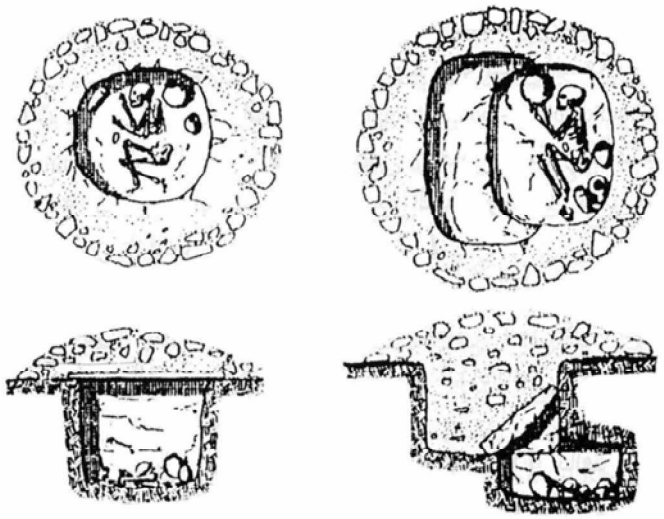

شكل (3) أنماط مقابر المجموعة أ

المصدر(Adams 1984)

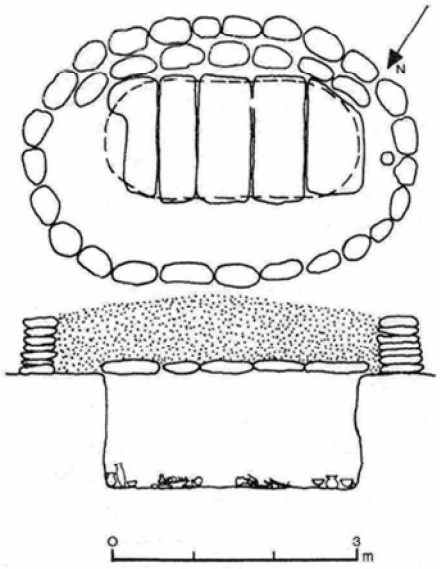

شكل (4) مخطط ومقطع لمدفن لحضارة المجموعة أ من تنكلا غرب بالنوبة السفلى
المصدر(Smith 1962: fig 14)

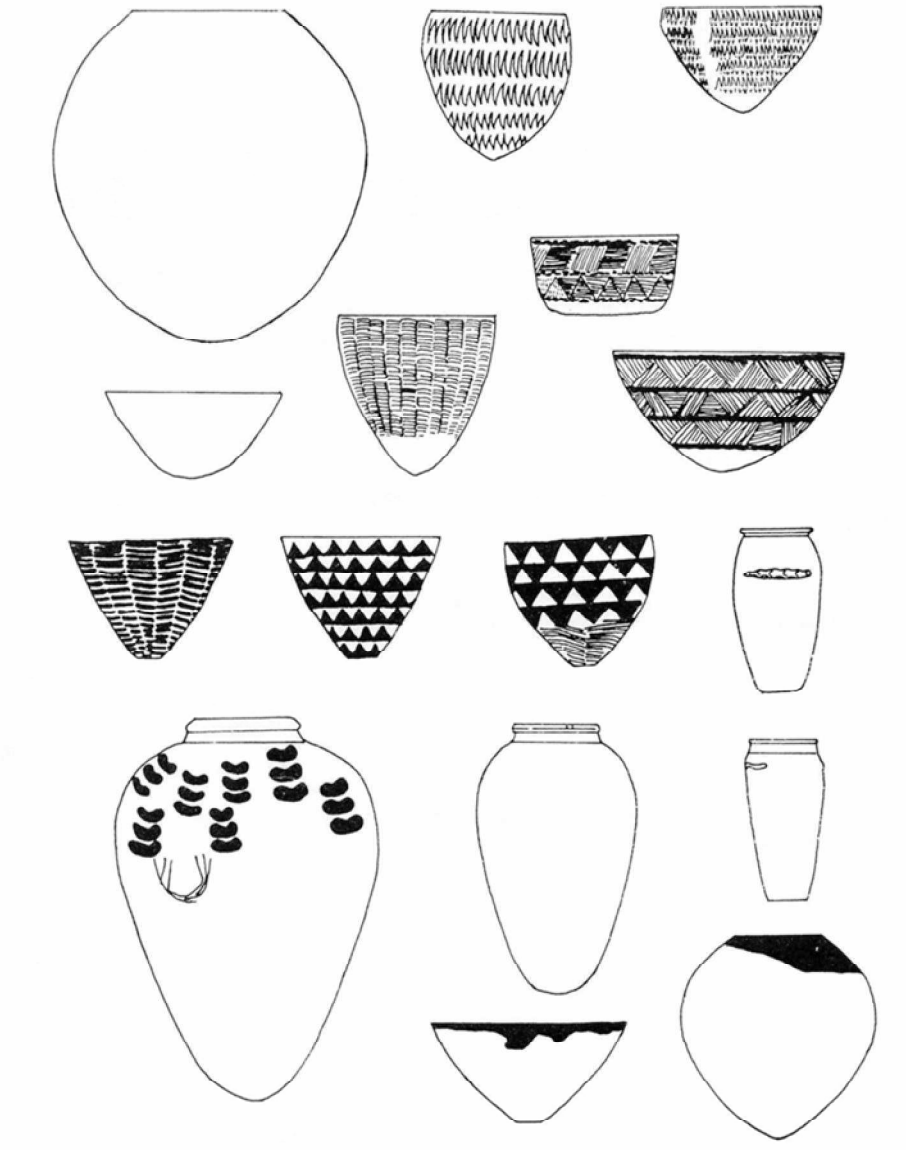

شكل (5) نماذج من فخار المجموعة أ

المصدر(Nordstrom 1972: pls 36-48)

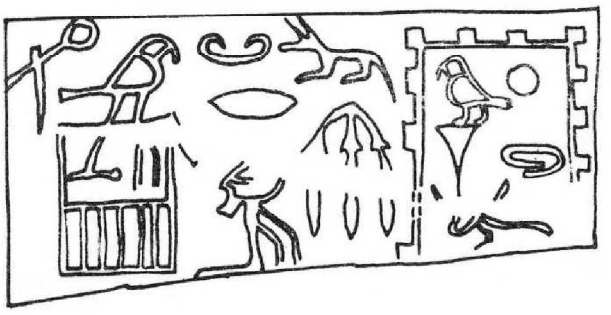

شكل (6) نقش من العاج للملك المصري آحا من الأسرة الأولى
المصدر(Emery 1961: fig. 11)

لوحة (1) مباني سكنية من موقع عافية
(المصدر) : Stevenson, Alice 2012

لوحة (2) قبر من حضارة المجموعة أ المصدر: (20/6/34)

(http://www.numibia.net/nubia/a-group.htm accessed on

لوحة (3) أدوات من حضارة المجموعة أ

المصدر(Save-Soderbergh 1987:179)

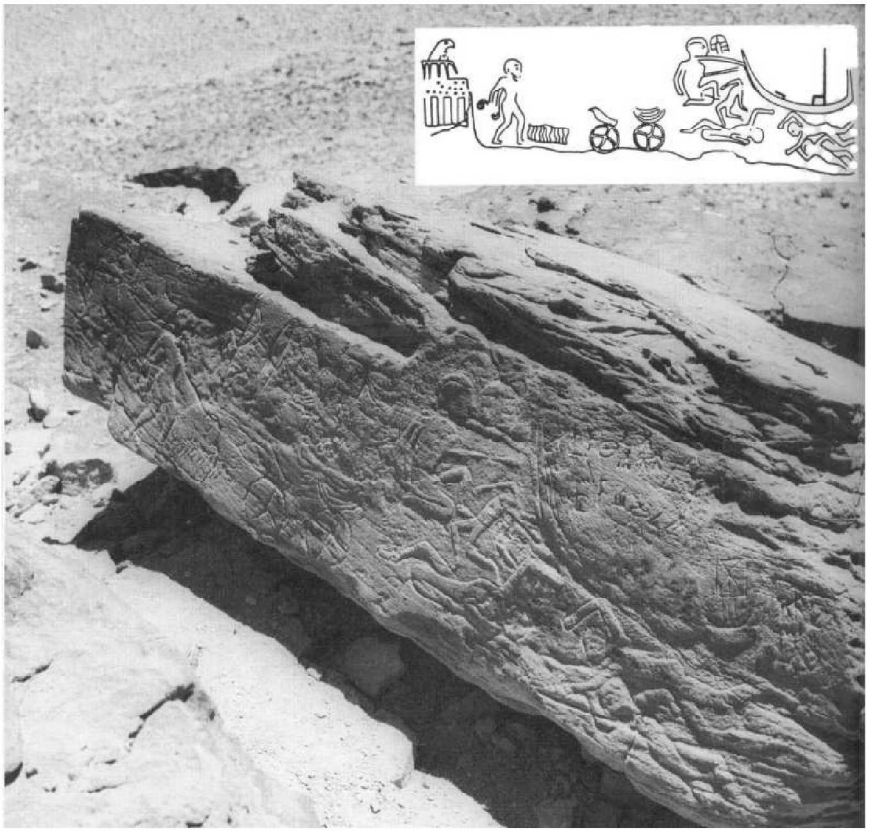

لوحة (4) نقش صخري للملك جر في جبل شيخ سليمان بالقرب من الشلال الثاني
المصدر(Save-Soderbergh 1987:178)

عمرو بن حيان رئيس الحجر في القرن الثاني الميلادي، هل كان حاكماً أم تابعاً؟

Amro Bin Hain, chief of Hegra in the second century AD. Was he a governor or a follower?

د.ضيف الله الطلحي

قسم الاثار والسياحة، جامعة حائل

مقدمة

تقع الحجر في شمال غرب المملكة العربية السعودية، وعلى بعد نحوعشرين ميلاً شمال مدينة العلا، عند خط طول 52 °37 شرقا ودائرة عرض 47 °26 شمالاً(شكل1). والموقع عبارة عن فيضة رملية توجد بها المنطقة السكنية وتحيط بها سلسلة جبلية من تكوينات الصخور الرملية من جميع الجهات.

لقد اكتسب الموقع شهرته من المقابر المنحوتة في الجبال (شكل2) والتي بلغ عددها مائة وثمانية وثلاثون مقبرة طبقاً للإحصاء الذي أجرته وكالة الآثار والمتاحف وقام على تنفيذه المعهد الجغرافي الفرنسي (IGN). ويشمل الإحصاء جميع المقابر بما فيها تلك التي لم تكتمل. إلا أن المقابر الأثرية المكتملة تبلغ ثمانين، منها ستة وثلاثين تحمل نقوشاً. وتتراوح تواريخ النقوش الموجودة على المقابر بين 1- 75 ميلادي (Healy 1993,6). وبالإضافة إلى المقابر يحتوي الموقع على منطقة جبل أثلب والتي تعتبر بمثابة المنطقة الدينية في الموقع، لما تحويه من رموز دينية ومشكاوات بالإضافة إلى الديوان، وهو غرفة بها مساطب للجلوس، إحدى واجهاتها مفتوحة وربما قد تكون استخدمت لإقامة الشعائر الدينية. كما توجد بالموقع مباني محطة سكة حديد الحجاز، وقلعة إسلامية وقد تم ترميمها من قبل وكالة الآثار والمتاحف. كما وأن الموقع مسجل ضمن المواقع المدرجة على قائمة التراث العالمي.

تعود معظم الاثار الشاخصة في الموقع وتلك التي كشفت عنها الحفائر إلى الفترة النبطية، حيث كان الموقع يمثل أقصى حدود المملكة النبطية باتجاه الجنوب، وكان جزءاً مهماً من هذه المملكة. أما أقدم ذكر مدون عن الأنباط فيرد إلينا من ثنايا الحديث عن حملة القائد الروماني أنتيجونوس (Antigonus) على الأنباط، عندما هاجم مدينتهم وكان ذلك في عام 312 قبل الميلاد حسبما أورده ديودور الصقلي (Diodorus Siculus XIX.94). ولقد كانت الصورة التي رسمها عنهم في تلك الفترة تجسد مرحلة البداوة، حيث وصف أقامتهم بأنها في منطقة صحراوية، لايوجد بها أنهر أو ينابيع، وأنهم لايزرعون، أو يبنون بيوتاً، ومن يفعل خلاف ذلك منهم تكون عقوبته الموت (ibid XIX, 93-94).

لايعرف على وجه التحديد الموطن الأصلي للأنباط، ولكن الجزيرة العربية اقترحت على أنها موطنهم (Hammond 1973، 10؛ عباس 1987، 25 ؛ على 1978 : 3). ويلاحظ الأثر العربي في أسماء الأنباط، وفي معبوداتهم التي عرفت في شمال الحجاز مثل: ذو الشرى، اللات، والعزى.

إن كثيراً من جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأنباط لايزال مجهولاً لنا، حيث لم يخلف لنا الأنباط تاريخاً مكتوباً يحكي وقائع حروبهم ويعرج بنا إلى جوانب من مناحي حياتهم اليومية، وندين بالفضل إلى كثير من المعلومات التي نعرفها عنهم إلى مايتم الكشف عنه من آثارهم، وإلى النقوش المدونة على واجهات المقابر، وهي وإن كانت مفيدة، إلا أنها تخص جوانب معينة تتعلق بحقوق الدفن. وجل معلوماتنا عن الأنباط نستقيها من المصادر الكلاسيكية أمثال: ديودور 80- 20 ق م(Diodorus)، وسترابو 64 ق م – 25م(Strabo)، وجوزيفوس(37-97 (Josephus)م).

لقد كان للأنباط نظام حكم ملكي تعاقب عليه عدة ملوك نعرف منهم: الحارث الأول، والحارث الثاني، وعبادة الأول (95- 88 ق م)، ورب أيل الأول (88- 87 ق م)، والحارث الثالث (87- 62 ق م)، ومالك الأول (62- 30 ق م)، وعبادة

الثاني (30- 9 ق م) والحارث الرابع (9 ق م – 40م)، ومالك الثاني (40- 70م)، ورب أيل الثاني (70- 106م).

لقد برع الأنباط في التجارة وأثروا منها ثراء كبيراً، وقد امتدت طرق التجارة عبر الواحات والاودية، وكانت مصادر المياه هاجساً كبيراً تتم مراعاته، وكانت القوافل ترتاح في محطات توفر الماء والغذاء للناس والدواب، بالإضافة إلى الخدمات الأخرى. ومن ثم تطورت هذه المحطات إلى قرىً صغيرة ثم إلى مدن مثل: الفاو، وديدان، وتيماء، والحجر. ومن أهم السلع التي كانت تنقل على طريق التجارة، البخور واللبان. لقد كانت الحجر محطة مهمة على طريق التجارة، بالقرب من ميناء على البحر الأحمر يعرف بأسم القرية البيضاء (Leuce Kome) و في هذا الميناء كانت تفرض الضرائب بواقع 25٪ على البضائع (Periplus 19)، وعندما حول الرومان طريق التجارة من البر إلى البحر، ترك ذلك تأثيراً سلبياً كبيراً على الحياة الاقتصادية النبطية.

وفيما بعد تم ضم المملكة النبطية إلى الإمبراطورية الرومانية في عام 106م، ويبدوا أن عملية الضم هذه قد تمت بطريقة سلمية، حيث لم يرد أي ذكر لمعركة حاسمة جرت، وكل ما ذكر أن حاكم سوريا، كورنيليوس بالما (Cornelius Palma) قام بعملية الضم (Bowersock 1983, 78-84)

موقع الحجر:

حظي موقع الحجر باهتمام العديد من الرحالة والعلماء نظراً لأهميته التاريخية والأثرية، وقد كان في مقدمة هؤلاء، الرحالة الأنجليزي شارلز داوتي(Charles Doughty)، الذي قدم من الشام مع الحجيج المتجهين إلى مكة، فلما وصل إلى مدائن صالح في عام 1876م أقام بها بعضاً من الوقت وسجل آثارها(Doughty, 1888). ثم اعقب دوتي الرحالة الفرنسي هوبر الذي قدم مرة لمفرده عام 1880م، ومرة أخرى بصحبة الالماني أويتنج عام 1884م (Huber 1884).

أعقب ذلك أن قام الفرنسيان جوسين وسافيناك (Jaussen and Savignac) اللذان زارا المنطقة مرتين بجهد مميز حيث كتبا عن آثار المنطقة ودرسا نقوشها بالتفصيل ولاتزال اعمالهما تحظى بتقدير كبير إلى يومنا هذا (Jaussen and Savignac,1909-1914).

وقد تناول عبد الرحمن الأنصاري آثار المنطقة في أطروحته لدرجة الدكتوراه المقدمة إلى جامعة ليدز عن أسماء الأعلام اللحيانية (Al-ansary 1966). كما درست نقوش الحجر من قبل كل من: وينت و ريد (Winnett and Reed 1970)، تلا ذلك زيارة بعثة معهد الآثار بجامعة لندن للموقع وقيامهم بدراسة أولية تناولوا فيها آثار الموقع، وشمل ذلك بعض الكسر الفخارية (Parr *et. al.* 1971).

وقد تم توثيق الموقع وإعداد خرائط تفصيلية له، من قبل المعهد الجغرافي الفرنسي عام 1979م، بتوجيه وإشراف من ادارة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف. كما أشار الجاسر 1981م، إلى المنطقة في أبحاثة.

وكان عبدالله نصيف قد أجرى، دراسة عن منطقة العلا ونظام الري فيها تعرض في هذه الدراسة إلى منطقة الحجر (Nasif 1988).

وقد تم تناول مقابر مدائن صالح ونقوشها في دراسة لاحقة أجراها عبد الرحمن الأنصاري وأحمد غزال و جفري كنج (الأنصاري وآخرون 1984). كما حظيت نقوش الحجر بدراسة مكثفة أجراها جون هيلي (Healey 1993).

بدأت الحفائر الأثرية في الموقع في عام 1986م عندما شرعت إدارة الآثار والمتاحف ببرنامج للتنقيبات الأثرية استمر لمدة خمسة مواسم واسفر عن نتائج جيدة سبرت أغوار المنطقة السكنية62. كما قام سليمان الذييب (1988)بدراسة لنقوش مدائن صالح بالإضافة إلى نقوش أخرى من المنطقة.

---

[62] لمزيد من المعلومات عن حفائر وكالة الآثار والمتحف انظر: اطلال 11 ص ص 57-56: اطلال 12 ص ص 25-33: أطلال 13 ص ص 23-37: أطلال 14 ص ص 25-42.

وقد كان موقع الحجر موضوع دراسة علمية أجراها ضيف الله الطلحي عن الحفريات التي أجريت في الموقع بدأ من عام 1986م فكانت محور رسالة للدكتوراه قدمها إلى جامعة سوث هامبتون عام (Altalhi 2000)

وقد أنجز كل من: الأنصاري وأبو الحسن دراسة تناولا فيها آثار العلا ومدائن صالح (الأنصاري وأبو الحسن 2002). وفي إطار تسجيل آثار الموقع وعناصره المختلفة ضمن مشروع يهدف إلى توثيق ذلك في برنامج نظم المعلومات الجغرافية قامت البعثة السعودية الفرنسية بإنجاز ذلك ضمن برنامج عمل بدأ عام 2001 م (دنتزر 2002).

وقد بدأت بعثة سعودية فرنسية مشتركة أعمال تنقيبات أثرية في الموقع، ونشرت النتائج الموسم الأول (نعمي وآخرون، 2008م)

أهم معالم الموقع:

بدأت الحفائر الأثرية في موقع الحجر من قبل وكالة الآثار والمتاحف، حيث أجرى الموسم الأول عام 1986م، في المنطقة السكنية التي تتوسط الموقع، تلا ذلك أربعة مواسم أخرى متفرقة كان آخرها موسم عام 2002م.

لقد كشفت أعمال التنقيب في المنطقة السكنية عن وحدة سكنية تتكون من سبع غرف (شكل 3)، وقد بنيت أساساتها من حجارة متفاوتة في أحجامها وأسلوب بنائها، . وتنتمي الوحدة إلى مرحلتين سكنيتين متتاليتين. والجدران الخارجية مبنية من الحجارة الرملية وحوى بعضها دعامات حجرية (الطلحي 2004، 45).

تتميز الوحدة بأسلوب بناء بسيط كما أن الجدران لم تكن جميعها كاملة الاستقامة، والأحجار ليست دائماً مشذبة بعناية، وقد استخدمت الأحجار الصغيرة لملء الفراغات بين المداميك مع المونة الطينية. كذلك تحتوي الوحدة على جدران مبنية من الحجر الرملي المحلي تربط بينها مونة طينية، ووجدت أيضاً جدران مبنية من الطين، كما كشفت أعمال التنقيب عن معثورات متميزة من الفخار والعملات والزجاج والخشب والعاج. وقد تم تأريخ هذه الوحدة السكنية بناء على الدلائل الأثرية وخاصة المعثورات المتنوعة ومنها العملات، إلى الفترة بين الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد و الربع الأول من القرن الثاني الميلادي (الطلحي 2004.، 46).

وخلال موسم عام 2002م كشفت أعمال الحفر عن جزء من وحدة معمارية متميزة (شكل4) وللوحدة بوابة في جهتها الغربية، قد تكون هي المدخل الرئيسي، وللبوابة أكتاف على جانبيها مبنية من خمسة صفوف من المداميك الحجرية أسخدم في بنائها المونة الطينية، تبلغ أطوال الكتف الجنوبي(يمين المدخل) 3,1مx60سم بارتفاع يصل إلى 50سم، أما الكتف الشمالي فبلغت أبعاده 7,1مx60سم بارتفاع 47سم. ويلي المدخل عتبة هي عبارة عن قطعتان من الحجارة متجاورتان تتميزان بانتظام أطرافهما. وعند الدخول مع البوابة، يظهر إلى اليمين (الجهة الجنوبية) جدار يمتد من الغرب إلى الشرق بطول 30,3م وسمك 44سم، وقد بني بعناية تتجلى في الحجارة المشذبة، ويتصل بالجدار درج مكون من ثلاث درجات تمثل الثالثة منها عتبة لبوابة أخرى، وقد استخدمت المونة الطينية في بناء درجات السلم، ويقع على طرفي العتبة كتفان وإلى الشمال من هذا الدرج وعلى مسافة 2.5م تقريبا تم اكتشاف نقش لاتيني (أنظر أدناه)، ويؤدي الدرج إلى أرضية مبلطة بالحجارة بأشكال غير منتظمة بعضها مستطيل والبعض الآخر مربع تعرضت بعض أطرافها للتهشم والكسر.

و في منتصف الأرضية المبلطة تقع قطعتان من الحجارة متلاصقتان وتبدوان منتصبتين أطوالهما نحو 31سمx31سم تقريباً، كما تظهر في الركن الجنوبي الشرقي من الوحدة قطع من الحجارة المتناثرة مع المونة الطينية، لعل أهمها حجارة تبدو مكعبة الشكل يصل طول جانبها الشمالي إلى 47 سم والجزء الظاهر من الشرقي إلى 37سم بارتفاع 33سم وتعلوها قطعة حجرية أخرى حزت من أسفلها بشكل مستو وبنفس قياسات سطح الحجر المكعب ليتم وضعها عليه إلا أن طرفها العلوي أقرب للشكل الدائري. وقد تمثلان معا جزءاً من عمود أو قاعدة عمود. ويوجد إلى جوراهما من الجهة الشرقية حوض دائري الشكل كسرت بعض أطرافه، يبلغ قطره 72سم، وهو مجوف من الداخل وعمقه 20سم بحسب الأجزاء الواضحة منه وتغطي الرمال جوفه عدا الجزء الذي أخذت منه القياسات.

وقد عثر في هذه الوحدة على كميات كبيرة من كسر الفخار، بالإضافة إلى منتجات متنوعة من الحجر الصابوني، والحجر، والزجاج، والخرز، والعاج، والعملات.

النقش اللاتيني:

اكتشف النقش اللاتينيي بالقرب من الدرج المؤدي إلى الباحة المبلطة، وكان موضوعاً على الأرض بشكل أفقي والأحرف للأعلى، ووضع تحته حجر على شكل مسطبة للتثبيت، ومع ذلك يعتقد أنه قد نقل من موضعه الأساسي إلى هذا الموضع. وقد كتب النقش على قطعة من الحجر الرملي، الوجه الذي يحمل الكتابة قد صقل بعناية أما الوجه الآخر الذي لايحتوي على كتابة فلم يكن مشذباً بعناية. وتبلغ ابعاد الحجر. 12110 x60x سم، وبخلاف تأثر بسيط في ركنه الأيسر الأعلى فإن مجمل حروفه تبدو واضحة ومقروءة. (شكلا6- 5)

PROSALVTEIMPCAIS-----MA-RELI
ANTONINIAUGARMENIACIPARTH---ME
DICIGERMANICISARMA--IM--I
IVMVETVSTATEDILAPSVMCVITASHE
GRENORVMSVISIMPENDI----TITVITSVB
- -ILIOFIRMANOLEGAVGPRINSTAN
-OPERIPOMPONIOVICTORE7LEGIIICYRETN
- -MISIOCLEMENTECOLLEGAEEIVSCVR
AGENTEOPERARVMAMROHAIANISM
MOCIVITATISEORVM

الترجمة:

تقرأ ترجمة النقش اللاتيني كما يلي:

"لصحة وسلامة الإمبراطور ماركوس أورليوس أنتونيوس أوقستوس، ذو الألقاب: أرمينياكوس، بارثيكوس، جيمانيكوس، سارماتيكوس، قام أهالي الحجر بترميم الساحة والتي خُربت بفعل الزمن، قاموا بذلك بإرادتهم وتحت إشراف ليقاتوس

أوقستي، بروسبراتور، لوليوس فيرمانوس، وإن هذا العمل مقدم وبكل فخر من قبل بومبينوس فيكتور، قائد المائة في الحامية سيرانيكا الثالثة وشريكه نوميسيوس كليمنس، وقام بتنفيذ هذه الإعمال (عمرو) بن حيان رئيس قومه".

دلالة النقش:

ساعدتنا الألقاب الواردة في النقش على تأريخه بشكل مقبول، وبموجبها تم إعادة النقش إلى السنوات الأخيرة من حكم الأمبراطور ماركوس أورليوس (Marcus Aurelius). وبالتحديد الفترة ما بين شهر أغسطس 175الى مارس 180ميلادي، أي قبل 17 مارس 180م، وهو التاريخ الذي توفي فيه القيصر وبدأ حكم ابنه كومدس (Comudus) حيث حاز الأمبراطور على لقب ساماتيوس (*Samatius*) بعد أن انتصر على ثورة ماكومان (Marcoman) في عام 175م. أما اللقب الآخر الوارد في النص جيرمانيكوس (*Germanicus*) فقد مُنح له في شهر مايو من عام 175م.

والنقش الذي بين أيدينا بحالة جيدة ومكتمل، ومن النقوش الرومانية القليلة التي وجدت في منطقة الحجر على وجه الخصوص بل وفي الجزيرة العربية على وجه العموم من فترة الإمبراطور ماركوس أورليوس (Marcus Aurelius).

ويحوي النقش معلومات عن الواقع السياسي في الحجر في القرن الثاني الميلادي، ووجود مجتمع محلي له رئيس محلي أيضاً، وأن الحياة في الحجر استمرت حتى بعد عام 75م، وهو تاريخ بناء آخر مقبرة مؤرخة.

وقد عرفنا من خلال النقش أسماء أشخاص ظهروا لأول مرة في النقوش وفي أحداث التاريخ الروماني في المقاطعة العربية وهم: إليوس فرمانو(Ilio Firmano) والذي من المرجح أن يكون حاكم المقاطعة الرومانية العربية (*legatus Augusti pros- praetore* كما يخبرنا النقش عن اسمين آخرين (بومبونيو فكتور Pomponio Victore) و (نوميسيو كليمنت Numisio Clemente) وهما قد يكونان من قادة سنريكا الثالثة third Cyrenaica وقد استخدموا في هذه الحملة (Bowersock 1983,. 112)، وشاهد الأمر أن االنقش يمدنا باسم عمرو بن حيان.

عمرو بن حيان:

لقد تم تضمين النقش اسم شخصية محلية وهو عمرو بن حيان ونعته النقش برئيس قومه، وذلك في تاريخ يقع بين 175- 180م. وللأسف لم يزودنا النقش بمعلومات إضافية تفصح عن شخصية عمرو بن حيان، سوى اسمه الأول وأسم أبيه وأنه كان رئيس قومه.

ويمكن اقتراح أن عمرو لم يكن سليل الأسرة المالكة التي حكمت الحجر، حيث لم يرد في أسماء الملوك أسم عمرو أو حيان. وبالعودة إلى النقوش المكتوبة في موقع نجد اسم حيان في نقش قصير (الذييب 1988:178): ن م ي و بن حيان. وورد الاسم مرةأاخرى على القبر الفريد (شكل7) (IGN 110) ضمن نقش يمكن قراءته وفق احتمالين:

1. لحيان بن كوزي وذريته
2. لحيان بن كوزي الذي استولى على المكان

والجدير بالذكر أن هذه المقبرة لم يكتمل نحتها. ولقد وضع النقش داخل لوحة (شكل8). ولكن اللوحة أكبر من النقش بكثير، مما يطرح احتمال أن النقش قد عمل لحيازة الملكية، ثم بعد اكتمال القبر كان سيتم تسوية أرضية اللوحة الحجرية ثم كتابة النقش الدائم، والذي من المتوقع أن يحمل معلومات أكبر عن صاحبه وحقوق الدفن والغرامات التي تدفع في حال المخالفة ويكون بمثابة وثيقة الملكية. وهذا هو المتبع في نقوش المقابر الأخرى. غير أن ذلك يحتمل أن القصر الفريد يعد أكبر المقابر حجماً في الحجر وهو لم يكتمل في أجزائه السفلى ولا في غرفته الداخلية لأسباب لانعلمها. ويقترح هيلي أن المالك قد وضع اسمه على القبر تبياناً للحيازة على أمل العودة لاستكمال العمل يوم ما(Healy 1993, 174-175)، فهل ياترى يكون عمرو بن حيان هذا هو ابن صاحب القصر الفريد حيان بن كوزي؟ إن حيان هذا لابد أنه كان شخصية مهمة في الحجر على الرغم من أن النقش لم يذكر سوى اسمه فقط خلافاً لبعض النقوش الأخرى التي تذكر الوظيفة. والدليل على أنه شخصية مهمة في المجتمع أنه بنى أكبر المقابر في الحجر.

إن النقش يبدو وأنه لم يكتمل وأنه قد وضع ربما لحيازة المكان فقط، وهذا التقليد قد عرف كثيراً في الحجر وورد في النقوش (الذييب: 2، 7، 15، 20، 43، 60، 78 الذييب 1988)

أما لفظة رئيس قومه التي وردت في النقش فقد وردت أيضاً في أحد النقوش المتأخرة في الحجر، والذي يعود إلى شهر أب سنة 251 من تاريخ بصرى، أي بداية النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي:

1. هذه المسلة والمقبرة، التي عمل (أنشأ)
2. عدنان بن حبي بن سموأل رئيس (والي)
3. الحجر، ل م ن و هـ زوجته بنت
4. عمرو بن عدنان بن سموأل
5. رئيس (والي) تيماء، التي ماتت في شهر
6. آب، سنة مائتين وخمسين
7. وواحد، (وهي) بنت سنين ثلاثين
8. وثمان

ويذكر النقش شخصيتين مهمتين ارتبطتا بعلاقة نسب وكلتاهما ذات صفة رسميه، الأولى عدنان بن حبي رئيس الحجر والثانية عمرو بن عدنان بن سموأل رئيس تيماء. ويذكر الذييب (1988، 163- 162) أن كلمة رئيس إما أن تكون دليلاً على وجود تنظيم إداري معين، أو أنها تحمل مفهوماً قبلياً عشائرياً. وهذين الرجلين قد يكونان من كبار رجالات العشائر، مما يدل على أن المدينتين فقدتا دورهما الثقافي والاقتصادي ولم يكن لهما أي سلطة مستقلة.

إن ورود اسم عمرو بن حيان في ذيل النقش اللاتيني بعد اسم الامبراطور ماركوس أورليوس وبعد ليقاتوس أوقستي، وكذلك قائد المائة في الحامية سيرانيكا الثالثة بومبينوس فيكتور، وشريكه نوميسيوس كليمنس ليدل على أن عمرو يرتبط

بهذه السلطة القوية الحديثة، ويرد ترتيبه في آخر النقش على أنه رئيس لقومه وهو يؤكد ما اقترحه الذييب من أن اللقبين لايعكسان سلطة مستقلة.

وعلى ذلك يمكن القول أنه بعد سقوط الدولة النبطية في عام 106 ميلادي، بسطت الدولة الرومانية نفوذها، وكان المقيم المحلي عبارة عن رئيس لقومه، وهو وضع أقرب ما يكون إلى مشيخة قبلية، أو مرجع محلي، واستمرهذا الدور إلى بداية النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، حسبما تشير أو يمكن استدلاله من النقوش.

الخلاصة:

لم يكن عمرو بن حيان على الأرجح سليل الأسرة النبطية الحاكمةحيث لم يرد مثل هذا الاسم في ملوك الأنباط. لقد ورد اسم حيان في النقش (IGN 110) على القبر الفريد مما يطرح إمكانية أن يكون عمرو بن حيان هذا هو ابن صاحب القصر الفريد حيان بن كوزي،

ونرى أن كلمة رئيس الواردة في النقش تشير إلى رئيس عشيرة، ولاتشير إلى منصب سياسي بصلاحيات حقيقية. وإن ورود اسم عمرو بن حيان في ذيل النقش اللاتيني قد يشير على أنه رئيس محلي لقومه ولايتمتع بسلطة مستقلة.

لقد بسطت الدولة الرومانية نفوذها على المملكة النبطية وكان المقيم المحلي في الحجر عبارة عن رئيس لقومه أقرب ما يكون إلى شيخ قبيلة، واستمرهذا الدور إلى بداية النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي.

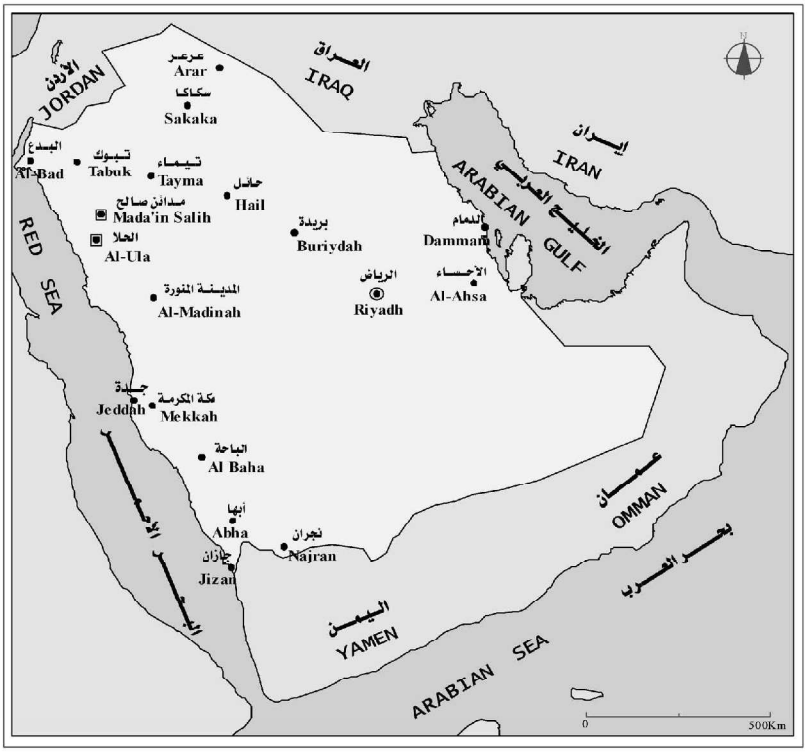

1 خارطة تبين موقع الحجر بالنسبة للمملكة العربية السعودية.

مقبرتان منحوتتان في الصخر، الحجر

الوحدة المعمارية غير المكتملة المكتشفة في الحجر

5 النقش اللاتيني.

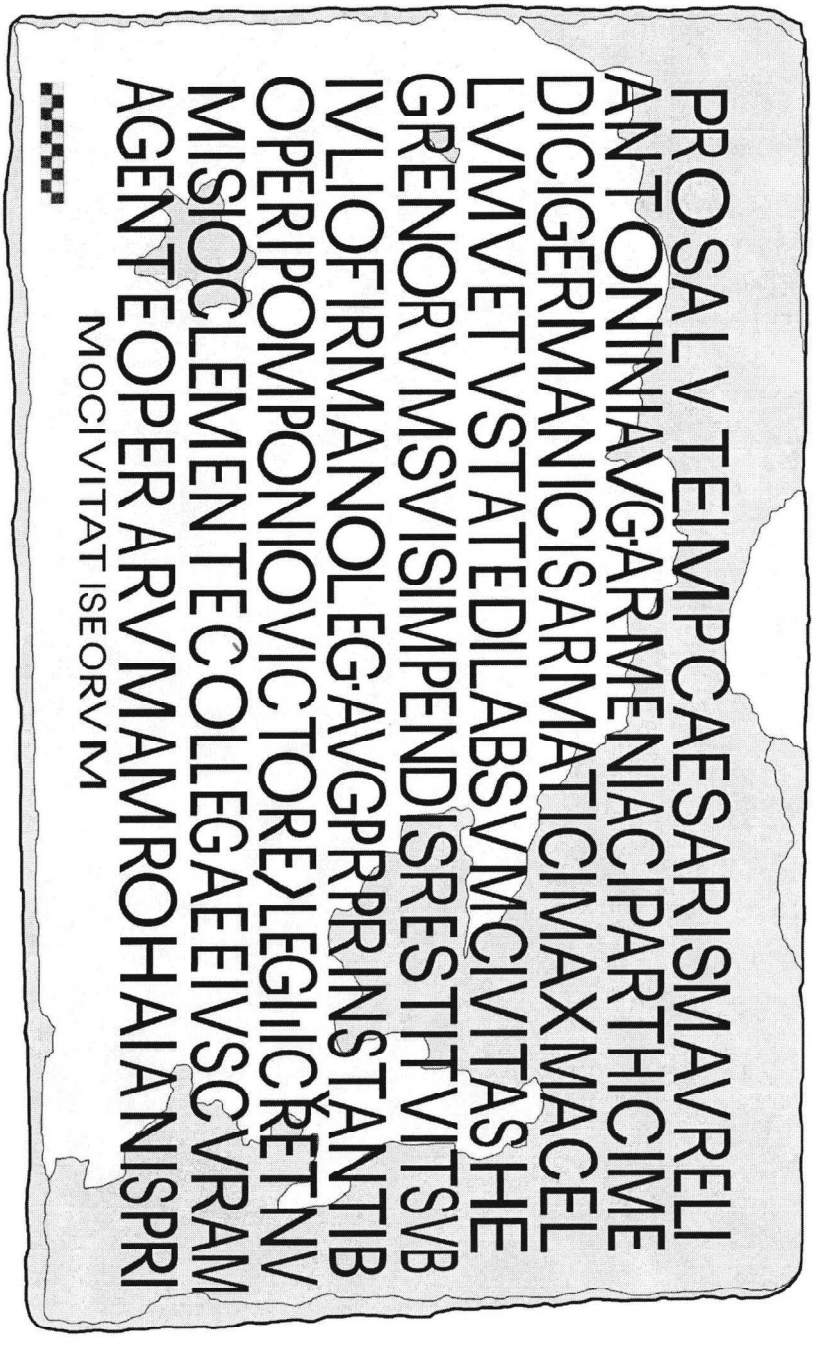

6تفريغ لحروف النقش اللاتيني.

القصر الفريد الحجر

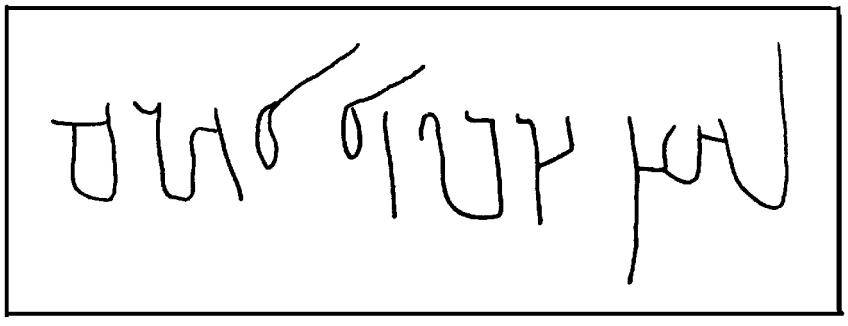

8 النقش المدون على واجهة القصر الفريد، الحجر.

المراجع العربية

1. ألأنصاري، عبد الرحمن الطيب وأبو الحسن حسين، 1423هـ. حضارة مدينتين: العلا ومدائن صالح الحجر، الرياض: دار القوافل للنشر والتوزيع.
2. الأنصاري، عبد الرحمن، وأحمد غزال، وجفري كنج، 1984م. مواقع أثرية وصور من حضارة العرب، الرياض: جامعة الملك سعود.
3. البراهيم، محمد و الطلحي ضيف الله، 1986م."**تقرير مبدئي عن نتائج حفرية الحجر الموسم الاول1406هـ/1986م**، *أطلال* 11: 1409/1988 ص ص 57-56
4. البراهيم، محمد و الطلحي ضيف الله، 1989م."**تقرير مبدئي عن حفرية الحجر الموسم الثاني 1408هـ**" *اطلال* 12: ص ص 25- 33.
5. الجاسر، حمد، 1981م. في شمال غرب الجزيرة، الرياض: دار اليمامة
6. دنتزر، جان ماري وآخرون، 2002." تقرير عن أعمال المشروع الاثري السعودي الفرنسي عام 1422هـ/2001م" أطلال 17، ص 199- 209
7. الذييب، سليمان عبدالرحمن، 1988، نقوش الحجر النبطية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
8. الطلحي، ضيف الله (2004) "نموذج للمسكن النبطي من مدائن صالح"*أدماتو*، 10، ص 35- 48.
9. الطلحي، ضيف الله، 1996، " تقرير مبدئي عن حفرية الحجر مدائن صالح الموسم الرابع" اطلال 14 ص ص 25- 42.
10. عباس، احسان(1987). تاريخ دولة الأنباط. عمان.
11. على، جمال الدين صالح سراج، 1990" تقرير عن نتائج حفرية الخريبة الجنوبية بالحجر- الموسم الثالث1410هـ" اطلال 13: ص ص23- 37.
12. على، جواد (1978). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بيروت.

13.نعمي، ليلى.الطلحي، ضيف الله، فيلنوف، فرانسوا. حفرية الموسم الاول في مدائن صالح. الهيئة العامة للسياحة والاثار. الرياض 2008م

المراجع غير العربية

1. Al-Ansari, A., 1966. A Critical and Comparative Study of Lihyanite Personal Names, Leeds University, Ph.D Thesis , (Unpublished).
2. Al talhi, D. 2000.Mada'in Salih, a Nabataean town in North West Arabia: Analysis and Interpretation of the Excavation 1986-1990,unpublished PhD thesis, University of Southampton.
3. Bowersock, G.W,. 1983. Roman Arabia. Cambridge, Mass, and London: Harvard University Press.
4. The Periplus Maris Erythraei, 1989.translated by Lionel Casson: Princton: Princton University press .
5. Didorus of Sicily in twelve volumes translated by Old Father: Harvard University Press and William Heinemann 1933-1967
6. Doughty , C.,.M. 1936, Travels in Arabia Deserta,.London: Jonathan Cape
7. Hammond, P.C, 1973, The Nabataeans, their History, Culture and Archaeology , studies in Mediterranean archaeology; vol 37.
8. Healey, J. F., 1993.The Nabataean Tomb Inscriptions of Mada'in Salih, Oxford: Oxford university press.
9. Huber, C. 1884. Voyage dans l'arabie central: Hamad,Sammar, Qacim, Hedjaz. Bulletin de la Socite Geographical Journal 76:369-390.
10. Josephus, with an English translation by Ralph Marcus, In nine volumes, Jewish Antiquities, Loeb Classical Library, Harvard University Press,1961

11. Jsaussan, A., and R. Savignac,1909-1914. Mission archaeologiique en Arabie. I,II, Paris

12. Nasif, A.1988 , Al-Ula an Historical and Archaeological Survey with Special Reference to its Irrigation, Riyadh.King Saud University
13. Parr, P. J., G. L. Harding and J.E. Dayton. 1968/9" Preliminary Survey in N. W. Arabia, 1968, *BIAUL* 8/9 , 193-242
14. Strabo, The Geography of strabo, tr.H.L. Jones, Heinemann, 1917
15. Winnett, F.V., and W. L. Reed. 1970, Ancient Records from North Arabia, Toronto& Buffalo: University of Toronto Press

قائمة الاشكال:

1. خارطة تبين موقع الحجر بالنسبة للمملكة العربية السعودية.
2. مقبرتان منحوتتان في الصخر، الحجر.
3. منظور تخيلي للوحدة السكنية المكتشفة في الحجر.
4. الوحدة المعمارية غير المكتملة المكتشفة في الحجر.
5. النقش اللاتيني.
6. تفريغ لحروف النقش اللاتيني.
7. القصر الفريد الحجر.
8. النقش المدون على واجهة القصر الفريد، الحجر.

حول المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات النوبية

(سويسرا، 1-6 سبتمبر 2014م)

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير
قسم الآثار- كلية الآداب
جامعة بحري

بدعوة من جامعة نيوشاتل (Neuchatel) قُيضّ لي أن أشارك في فعاليات المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات النوبية بسويسرا (مدينة نيوشاتل) في الفترة ما بين (1- 6 سبتمبر 2014م. سعدت بهذه الدعوة لسببين:- أولهما: إنها إلى سويسرا الرائعة الجمال والأفضل سمعة في العالم لعام2014م(تقرير شركة الاستشارات العالمية الخاصة "ريبورتيشن إنستيتيوشن") والتي اشتهرت بين بقية أقطار المعمورة بأنها بلد السياحة الأول. وعرفت قبل ذلك بصناعة الساعات (67٪ من إنتاج العالم للساعات) والأجبان الشهيرة في القارة الأروبية، وثانيهما: إنني لم أغادر السودان منذ أربع سنوات خلت بسبب الأعباء الإدارية المتزايدة بجامعة بحري. ورغم أنني ألقيت عصا التسفار مستقراً نهائياً بأرض الوطن ولكن ليس كأعشى قيس راضياً من الغنيمة بالإياب.

بلغ عدد المشاركين في هذا التجمع العلمي العالمي (272) عالماً وباحثاً من مختلف قارات العالم (أفريقيا، آسيا،أروبا، أستراليا وأمريكا الشمالية)، إضافة إلى ما يربو عن (30) آثارياً ومؤرخاً سودانياً، علاوة على (4) آثاريين من جمهورية مصر العربية. بدأ البرنامج العلمي المعد للمشاركين في هذا المؤتمر يوم الأثنين أول سبتمبر 2014م بالتسجيل واستلام بطاقات الحضور بقاعة المؤتمرات الرئيسية بجامعة نيوشاتل.

وإشتمل برنامج اليوم الأول على الاحتفال الرسمي الذي تصدرته الكلمات الرسمية (الترحيبية). وشرّف الجلسة الافتتاحية وزير السياحة والآثار والحياة البرية

السوداني المهندس محمد عبدالكريم الهد وسفيرة السودان بسويسرا رحمة صالح العُبيد ونائب رئيس البعثة السفير محمد المرتضى مبارك، إضافة إلى بعض أفراد الطاقم الإداري للسفارة السودانية بجنيف. وشكر وزير السياحة والآثار والحياة البرية حضور هذا الملتقى العلمي وأثني على مجهوات بعثة الآثار السويسرية العاملة بالسودان التي بذلت جهوداً كبيرة في تسليط الأضواء على حضارة السودان القديم (مملكة كرمة، 2500- 1500 ق.م)، وخص بالشكر رئيس البعثة السويسرية السابق البروفيسور شارلس بونيه والحالي البروفيسور ماثيو هونقر. وأشار في ثنايا حديثه لإمكانات السودان الهائلة في مجال السياحة والآثار والتى تتطلب تضافر الجهود الداخلية والخارجية للارتقاء بهذا المجال خدمة للثقافة والاقتصاد الوطني.

وشكرت سفيرة السودان في كلمتها الحكومة السويسرية وجامعة نيوشاتل المنظمة للمؤتمر ولمعرض الآثار السودانية الذي أقيم على شرف هذا المحفل العلمي المتميز. وتحدث رئيس الجمعية العالمية للدراسات النوبية (مقرها الرئيسي لندن) البروفيسور فانسا روندوت الذي رحب بدوره بالمؤتمرين متمنياً لهم مداولات علمية ذات مردود إيجابي للآثار السودانية. قدمت الأبحاث التي قرأت في المؤتمر تحت عدة رؤوس مواضيع رئيسة شملت عصور ماقبل التاريخ، فجر الحقبة التاريخية، العهد المروي، العصور الوسيطة، الدراسات اللغوية والعمل الميداني (المسوحات والحفريات).

وبدأت الجلسة الأولى (الثلاثاء الثاني من سبتمبر 2014م) التي تصدرتها الورقة العلمية للدكتورة دوناتلا يوساي (رئيس البعثة الإيطالية بالسودان) عن عصور ما قبل التاريخ في أواسط السودان، ومن ثم واصل عدد من الباحثين محاضراتهم عن مواضيع شتى خاصة بفجر الفترة التاريخية وحضارة كرمة. وتوالت جلسات المؤتمر (صباحية ومسائية) خلال أسبوع كامل. ولعل ما يستلفت الانتباه لهذا اللقاء العلمي الحضور المكثف للعلماء والباحثين السودانيين (آثاريين ومؤرخين). ومعظمهم من فئة الشباب حيث قدم نفر غير قليل من هؤلاء أوراقاً بحثية اتسمت بشكل عام بالجدة والتميز والمواكبة باستخدام الوسائل العلمية الحديثة في العمل الحقلي (المسوحات

والحفريات) والمعملي، علاوة على استغلال آخر ماتوصل إليه العلم من وسائل العرض المتعددة (الملتميديا).

وشملت الأوراق العلمية للسودانيين (جامعات: الخرطوم،بحري، النيلين، شندي، دنقلا،كلية النصر التقنية،كلية كمبوني للعلوم والتقنية،الهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية،وحدة السدود بالخرطوم وثلة من السودانيين بالدياسبورا) الذين حضروا جلسات المؤتمر أو أُقرِأت أوراقهم نيابة عنهم (العدد =35). البروفيسورات: عبد القادر محمود عبد الله (الانقسام، التنافس، التآمر والمصالحات في العائلة الملكية السودانية القديمة)، عمر حاج الزاكي (الغزو الأكسومي لأرض المرويين: مهمة محلية خاصة)، على عثمان محمد صالح(اكتشاف عاصمة عيزانا في قلب مروي)، خضر آدم عيسى (الاكتشافات الأثرية الحديثة على امتداد النيل الأبيض – الموسم التاسع)، عبد الرحيم محمد خبير (حرق فخاريات عصور ما قبل التاريخ في السودان)، إبراهيم موسى محمد (تقنية الحديد في مدينة "ماو" المحصنة – أواسط دارفور، الألف الأول الميلادي)، عباس سيدأحمد زروق وجمال جعفر عباس الحسن (موقع نبتي مبكر من حفريات جامعة دنقلا بحبل البركل) والدكاترة: عبد الرحمن على محمد – المدير العام لهيئة الآثار والمتاحف السودانية (إنقاذ الآثار ذات العلاقة بالسدود في السودان)، صلاح الدين محمد أحمد وعبدالله النجار(المشروع القطري-السوداني للآثار " كوشاب ")، انتصار صغيرون الزين (الإسلام في السودان بين التاريخ والآثار)، صديق بابكر أحمد (المخلفات الأثرية الإسلامية في قرية "صحابة" جنوب منطقة دنقلا)، نجود حسن بشير (أضواء على الحفائر بمنطقة مروي)، فوزي بخيت (عادات الدفن في إقليم النيل الأزرق وشرق السودان). عبد المنعم أحمد عبد الله (الأهرامات بين الموت والحياة في السودان: الملكية والشعبية)، إخلاص عبد اللطيف (كرمة في هيراكيوبولس)، يحيى الطاهر فضل (مواقع العصور الحجرية (القديمة والوسيطة) في منخفض القعب غرب دنقلا)، محمد جلال هاشم (المنحوتات الصخرية (القونق) في منطقة المناصير (الشلال الرابع)) والباحثون: معاوية صالح (مستقبل

السدود الجديدة في السودان)، على أحمد (المسح الأثري لمنطقة سودري 2011م:تقرير أولي)، محمد الفاتح حياتي (ودشنينا من منظور حقيقة الدليل الأثري)، فيصل عبد الله (الحفريات الإنقاذية لشرق جبل البركل)، شادية عبدربة ومحمد خضر (أدوات الزينة الأنثوية وإستمراريتها في الحضارات النوبية المعاصرة)، محمد التوم (قلعة الزومة بمنطقة الشلال الرابع)، نعمات عبد الرحمن محمد (الحفاظ على اللغة النوبية بين جيلين)، سناء البطل (الثقافة المادية للإسلام في السودان)، هيفاء الطيب (التواصل المسيحي بين الماضي والحاضر)، محمد سعد وميشيلا بندر (جبانة بربر المروية – دراسة بيوآركيولوجية)، حماد محمد حامدين وعلي عثمان محمد صالح (دور الرخويات في النوبة والسودان القديم)، رحاب خضر (الزينة الشخصية في كوش"8ق.م- 4م)، محمود سليمان (الجبانات المروية في منطقة بربر)، يوسف العُبيد (الأحداث التاريخية والأثرية في مدينتي شندي والمتمة:مسح آثاري داخل حدود المدينتين)، أحمد نصر كبوشية (صناعة الأدوات الحجرية الآشولية في السودان من موقع جبل القريان، شرق أدنى نهر عطبرة) وأماني مسعود (العصر الحجري الحديث في أواسط السودان: مشكل المصطلحات وبعض القضايا الحضارية).

واتسمت مناقشات المؤتمر بالجدية في التناول والعلمية الصارمة في الطرح. وأبرزت الحوارات أهمية الاستئناس بآراء العلماء والباحثين لاسيما من الدول الغربية (أروبا وأمريكا الشمالية) خاصة وأن مشاريعهم العلمية في السودان والتي تطبق أحدث تقنيات البحث ومستجدات العصرنة ستنعكس بالضرورة إيجاباً على الواقع العلمي والثقافي السوداني. وتحضرني هنا مقولة لأحد مفكرينا الرواد وهو رفاعة رافع الطهطاوي صاحب كتاب "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" حيث يذكر نصاً حرفاً "أن الفرنجة قوم ذوي عزيمة يجيدون الصنائع والعلوم البرانية".

ومن أبرز الشخصيات الغربية التي لفتت نظري في هذا التجمع العلمي الكبير والتي لاتزال تقوم بأدوار مهمة في مسار الآثار السودانية وليم آدامز (الولايات المتحدة)، شارلس بونيه (سويسرا)، دترش ويلدونج (المانيا)، لازور توروك (هنغاريا)، راندي

هالاند (النرويج)، وهيرمان بيل (بريطانيا)، حيث شارك هؤلاء بفعالية في جلسات المؤتمر وحواراته رغم تقدمهم في السن خاصة وأن بعضهم قد تجاوز العقد التاسع من العمر وقد وخط الشيب رؤوسهم وحرث الزمان أثلام وجوههم.بيد أن بعضاً من حيوية وروح دعابة لاتزال هناك لم تفارق هذا الرهط من باحثي الخمسينات والستينات والسبعينات الماضية.

ومما يلزم التنويه به، أنه قد أقيم عرض للكتب الجديدة خلال أيام المؤتمر ضمت أعمالاً آثارية عن السودان أصدرتها بعض دور النشر العالمية (بريطانيا، المانيا وبلجيكا). كما وأن منظمي المؤتمر بجامعة نيوشاتل قد أقاموا حفل استقبال على شرف افتتاح معرض آثار مملكة كرمة على شاطئ بحيرة المدينة (نيوشاتل). واستضيف المؤتمرون في رحلة بحرية على متن باخرة في مياه هذه البحيرة الفريدة الجمال.

وعقد في الجلسة الختامية للمؤتمر الإجتماع السنوي التقليدي للجمعية العالمية للدراسات النوبية (السبت السادس من سبتمبر 2014م). ووقف الأعضاء دقيقة واحدة حداداً على أرواح زملائهم الذين انتقلوا إلى الدار الآخرة في الفترة مابين إنعقاد المؤتمر الثاني عشر بلندن (1- 6 أغسطس 2010م) والثالث عشر بنيوشاتل (1- 6 سبتمبر 2014م) وهم: جون الكسندر (بريطانيا)، وتوماس هاج (الولايات المتحدة)، جان لكلانت (فرنسا)، أونقي فيلا(فرنسا)، مايكل بود (فرنسا)، جيب الله على جيب الله (مصر)، سلفتينا برسينا (روسيا)، خضر عبد الكريم أحمد (السودان)، مايكل أزيم (فرنسا)، هيلين جاكوث غردون (الولايات المتحدة)، أمجد بشير على (السودان) ونتاليا يومر نسبييا (روسيا).

وناقشت الجمعية العمومية للجمعية العالمية للآثار النوبية المواضيع المدرجة في جدول أعمالها والتى شملت منشورات الجمعية، العضوية الجديدة، إختيار الأماكن التي ستعقد فيها المؤتمرات القادمة للجمعية. وبعد التشاور والمداولات وتمحيص المقترحات، وافق المؤتمرون على عقد المؤتمر العالمي القادم للدراسات المروية بمدينة

"براغ" عاصمة جمهورية التشيك عام 2016م كما أختيرت العاصمة الفرنسية "باريس" مقراً للمؤتمر العالمي الرابع عشر للدراسات النوبية في العام 2018م. وفي الختام أزجى البروفيسور يوسف فضل حسن رئيس المجلس الأعلى للآثار بالسودان الشكر والتقدير لمنظمي المؤتمر على مابذلوه من جهد لإخراجه بهذه الصورة المشرفة.

وعلى هامش هذا المؤتمر عقد الباحثون السودانيون إجتماعاً ناقشوا فيه الفكرة المقدمة من البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله (جامعة النيلين) والخاصة بتكوين إتحاد يجمع شمل الآثاريين السودانيين بغرض دعم العمل الآثاري في السودان من الناحية العلمية والبحثية.وتم تشكيل لجنة تمهيدية لخدمة هذا الغرض تضم البروفيسور عبد القادر محمود عبد الله (رئيساً)، والدكتور فوزي بخيت(الهيئة القومية للآثاروالمتاحف)(مقررًا) وعضوية كل من البروفيسور عمر حاج الزاكي(أمدرمان الإسلامية)، والدكتورة إنتصار صغيرون الزين(جامعة الخرطوم) والدكتور أحمد نصر كبوشية(جامعة النيلين). وحددت مهمة هذه اللجنة بوضع النظام الأساسي للاتحاد ودعوة الجمعية العمومية لإجازته بهدف تشكيل اللجنة التنفيذية للقيام بالمهام لتحقيق الأهداف التي أنشأ من أجلها هذا الكيان الأكاديمي بغرض دفع مسيرة العمل الآثاري خدمة للعلم والوطن.

خلاصة القول، فقد حقق المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات النوبية الذي عقد بسويسرا (1- 6 سبتمبر 2014م) نجاحاً منقطع النظير سواء على المستوى الأبحاث التي نوقشت بمستوى علمي رفيع أو عبر الإجتماعات التي عقدت بين مختلف العلماء والباحثين بغرض التعاون والتواصل الأكاديمي للإفادة من الخبرات ودفع مسيرة العمل الآثاري في السودان نحو الغايات التي حددت له لإماطة اللثام عن تاريخ هذا القطر العريق الذي لعب أدواراً جد مهمة في مسار الحضارة الإنسانية عبر أطوال التاريخ المختلفة.

وجدير بالإشارة،أن كل مؤتمرات الجمعية العالمية للدراسات النوبية قد عقدت خارج السودان. لذا وجب القول، بأن الوقت قد حان للدخول في دائرة تنظيم مثل

هذه المؤتمرات بالخرطوم خلال السنوات القليلة القادمة سيما وأن هدفها الأول خدمة التراث السوداني الذي هو مناط هويتنا القومية ذات التاريخ المؤثل والمجد التليد. والله المستعان وهو الهادي إلى سواء السبيل.

صور لفعاليات المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات النوبية (سويسرا1- 6 سبتمبر)

ELEMENTS LINGUISTIQUES POUR UNE TERMINOLGIE ARABE

Dr. Fadl Allah Ismail Ali
Professeur Associé, Université Ouverte du Soudan

مستخلص:-

يوضح الباحث في هذه الدراسة بأن القواميس ثنائية اللغة (فرنسي- عربي) ينقصها الكثير في ايجاد المرادف المناسب لكل مصطلح ويرجع ذلك لاختلاف أصل اللغتين بالاضافة إلى التطور المتسارع والانفجار المعرفي الذي يشهده العالم في جانب المصطلحات الحديثة ومدي امكانية اللغة العربية لمواكبة هذا التطور وسعي الباحث لمعالجة هذه المشكلة باستخدام الاشتقاق والاقتراض والقياس والنحت.

Abstract

The Researcher attempts in this study to explain the incompleteness of the bilingual dictionaries (French-Arabic) to find the appropriate equivalence for each term and that refer to different origins of the both languages, besides the rapid development and explosion of knowledge that the world is witnessing in the modern terminology field and the possibility of Arabic Language to cope with this accelerating development, the researcher attempts to tackle this problem by using derivation, borrowing, coinage and analogy.

LE DESORDRE LEXICO-TERMINOLOGIQUE

En réalité, la plupart des dictionnaires bilingues arabe-langue étrangère, comportent des carences lexicographiques évidentes. D'emblée, on constate que ces dictionnaires ne fournissent pas, pour leur immense majorité, la partie arabo-français en complément de la partie français-arabe. Lorsqu'ils le sont, on constate "des différences notables de niveau de langue, de traduction, sans parler des choix différents qui président aux nomenclatures entre la partie arabe –français et la partie française et la partie française-arabe(Lakhdar,1976,p.19).En fait "il n'existe

pas, selon Lakhdar-Ghazal, de dictionnaire (arabe) moderne regroupant la terminologie scientifique et technique actuelle, et donnant des indications linguistiques sur elle: (origine et formation des néologismes, références, contexte, etc.…) (Ibid.,p.20).

Cet état de choses a amené à un chevauchement non contrôlé, d'une part entre le dialectal et le néo-classique et d'autre part entre l'arabe classique et l'arabe moderne. Par ailleurs, l'on peut souvent observer une différence terminologique due aux décalques puisés à leur origine anglaise ou française. Ce décalage terminologique peut se présenter parfois même à partir d'une même langue étrangère. A titre d'exemple(Ibid), quatre dictionnaires bilingues française-arabe donnent au moins quatre terminologies différentes pour le seul terme "cheville" relevant de l'anatomie humaine: le "ᶜurqūb" de '*Manhal*', le "*kahil*" du '*Murid*', le "*kaᶜb*" du '*Belot*' et le "*kursuᶜ*" de '*Mazhar*', Pire encore, ce dernier laisse le soin au traducteur de déterminer lui-même le choix terminologique exact entre trois termes différents qu'il lui livre en vrac: "kaᶜb", "kahil" et "kursuᶜ".

De surcroit, il faut noter que les créations terminologiques et néologiques se trouvent finalement dans le besoin d'une certaine sanction sous forme de référence dans les dictionnaires de langue. Or, il n'est un secret pour personne que les dictionnaires prennent, en général, un certain retard par rapport au mouvement de langue. Pour la langue arabe moderne, ce retard prend une telle ampleur que tout dictionnaire actuel de langue arabe serait largement dépassé et partant inutilisable. Ces retards accumulés à travers les siècles se dressent devant le traducteur arabophone comme un dilemme supplémentaire de connaissance linguistique.

Ainsi, ce désordre qui caractérise actuellement la lexicographie arabe se répercute, bien entendu, sur le travail de la traduction en arabe. Par conséquent, il faut s'attendre à une sorte

de confusion perturbatrice de la communication, notamment sur le plan de la terminologie. Sans entrer dans les détails techniques de la science de l'informatique, le concept même de cette discipline se rend en arabe par, au moins, quatre terminologies différentes:
"*ᶜilmiya*", "*maᶜLūmātiya*", "*hisāb iliktrūni*" et "*ᶜaqL iliktrūni*". Cette confusion terminologique et lexicographique ne facilite guère le travail de vérification linguistique et terminologique que comporte essentiellement le travail professionnel de la traduction.

De même, on reproche à la majorité des dictionnaires bilingues arabes de ne fournir que des équivalences de signification générale au lieu d'une définition linguistique complète. C'est encore Lakhdar-Ghazal qui nous montre que même dans le Supplément du Lisan "les termes scientifiques font l'objet d'une définition encyclopédique et sont suivis de leur traduction en anglais et en français. Le terme scientifique est de ce fait déterminé par sa traduction sans justification linguistique, ce qui ouvre la porte aux abus d'une néologie déjà anarchique"(Ibid. P.20).

Cependant, ce désordre caractérisant l'arabe moderne et reflété dans les ouvrages lexicographiques arabes n'est qu'un symptôme d'un dérèglement beaucoup plus profond qui frappe cette langue non seulement sur le plan lexicographique mais également du point de vue grammatical et syntaxique. Avant de s'attaquer à ces deux derniers aspects problématiques de l'arabe moderne, il convient, pour mieux situer ces divers problèmes, d'opérer une distinction entre la lexicographie et la lexicologie d'une part et la lexicologie et la terminologie d'autre part.

VERS UNE TERMINOLOGIE ARABE

L'usage veut qu'on rende abusivement en arabe, par le même terme "*ulmuᶜ ǧamiyyāt*" les deux disciplines différentes de la lexicographie et de la lexicologie. En fait, il s'agit d'une méprise grotesque car la lexicographie se limite à la technique de

la composition et de la confection des dictionnaires alors que la lexicologie se présente comme une discipline sociologique nouvelle qui participe à plusieurs autres disciplines linguistiques, économiques, historiques, etc.... La lexicologie se donne pour objet d'expliquer "les faits sociaux d'une civilisation ou d'une société donnée par le vocabulaire qu'elle engendre".

De même, il faudrait peut- être dresser un autre linge démarcation entre la lexicographie et la terminologie. Ainsi, comme nous le révèle Robert Dubuc, l'objet de la terminologie "est de fournir des appellations, non des définitions; la terminologie fait de l'encodage, la lexicographie du décodage."(Dubuc, 1978, p.5).

Dans ce même contexte de différenciation entre la lexicographie et la terminologie, soulignons que cette dernière se définit à la fois comme "une technique de recensement provisoire qui élabore des nomenclatures partielles et spécialisées, comme une sémantique simplifiée qui vise à répertorier les termes monosémiques et mono-référentiels en esquivant les difficultés descriptives suscitées par la polysémie et la synonymie, et enfin, comme une description contextuelle limitée qui procède par relevés ponctuels et s'exerce dans des domaines scientifiques étroitement circonscrits."(Page, 1984, p.5).

Toutefois, les structures de la langue arabe ne nous permettent pas, dans l'état actuel de son évolution linguistique, d'opérer cette stricte dichotomie entre la terminologie et la lexicographie. Il n'est guère concevable de fournir en arabe une terminologie sans apporter la preuve de sa validité linguistique et usuelle. Vincent Monteil nous rappelle, à cet égard, que tout "inventaire du vocabulaire technique en arabe confirme les observations éparses, concernant aussi bien les procédés sémantiques ou morphologiques mis en œuvre que l'activité désordonnée des organes de création et d'enregistrement de la terminologie."(Monteil, 1960, p.200).

En effet, un examen objectif de la terminologie arabe contemporaine, notamment technoscientifique, doit s'orienter simultanément dans deux directions à la fois essentielles et complémentaires. Il faut d'une part décortiquer les procédés de création terminologique afin de mieux les adapter aux réalités de l'usage linguistique. Cet effort peut être un prélude à une systématisation rigoureuse de la terminologie arabe. D'autre part, ce serait, à notre sens, une grave erreur d'escamoter dans de telles recherches la nécessaire question de l'enregistrement et de la normalisation de cette nouvelle terminologie, et ce du fait de sa nature sociale décidément hétérogène.

L'ELABORATION TERMINOLOGIQUE

L'étude de l'élaboration de la terminologie technoscientifique en arabe moderne se limite ici à des considérations sur les principes et sur les méthodes qui président a une telle Enterprise. Il ne faut pas s'attendre à une étude terminologique proprement dite, c'est- à -dire spécialisée dans un domaine technique ou scientifique préconçu d'avance. Cette limitation méthodologique nous amène à préciser la spécialité du vocabulaire technoscientifique par rapport au lexique général.

Selon Louis Guilbert, un terme scientifique ou technique se caractérise par le fait qu' "il dénote ou dénomme, tend à être monosémique, jouit d'un rang de fréquence peu élevé dans une mass de vocabulaire indifférencié, se présente plus fréquemment comme un néologisme parce qu'il se crée en liaison avec l'invention des choses.(Guilbert,1973, p.8). Ainsi, le terme technoscientifique arabe- dans sa quête de se doter de cette valeur mono référentielle et spécifique – semble être en passé de s'organiser, en partie, par la spécialisation analogique des schèmes, faute d'un système rigoureux d'affixation. C'est de la sorte que le schème "*fuᶜail*", a titre d'exemple, se spécialise dans la terminologie médicale pour dénommer diverses maladies: "*suᶜal*" = toux, "*guzam*" = *Lèpre*, etc.… De même, il faut noter

l'amplification de la création terminologique des substantifs forges sur des adjectifs empruntes ou arabises: "*sufinyya*" de chauvinisme, "ᶜunsuriya" de racisme.

Cela revient à dire qu'en matière d'innovation lexicale en Arabe, la marge de création inédite de terminologie est très étroite. Tout néologisme repose, en fait, sur une série de rapports de motivation plus ou moins lies a la structure même de la langue arabe: la dérivation linguistique, l'emprunt, la composition ainsi que la récurrence. Ce ne sont la que les cas typiques de ces divers rapports motivationnels.

Aussi, dans la quasi-impossibilité d'une création terminologique ex nihilo, la motivation linguistique reste la règle générale de création, notamment dans le cas d'une langue aussi attachée à ses racines que la langue arabe. Les utilisateurs de la langue assument cette responsabilité collective de forger-par analogie – et d'entériner – par l'usage – les néologismes. Pierre Guiraud constate qu'il ya d'une part une création individuelle motive, consciente et discontinue; d'autre part dissémination collective inconsciente et progressive, d'ou résulte un effacement de la motivation. (Guiraud, 1953, p.41).

La notion de motivation ne vise certes pas à remettre en cause le principe saussurien de l'arbitraire du signe. En fait, Ferdinand de Saussure visait surtout les signes qui ont atteint leur maturité linguistique en rompant définitivement avec leurs attaches génésiaques ou étymologiques. Qui établirait encore la motivation historique entre "ᶜ*cql*" et tous ses dérivés en arabe moderne*:* ᶜ*aglaniyya* – rationalité, *n*ᶜ*agtiliktruni*" ordinateur, etc.… et son sens étymologique de "mettre des entraves aux jambes d'un chameau".

Cet état de chose nous incite à jeter un regard nouveau sur la notion de l'arbitraire du signe linguistique telle qu'elle a été conçue par de Saussure. En fait, comme le souligne Henri Delacroix "Il n'y a pas de langue ou tout soit motive. Toute

langue oscille, comme elle évolue, entre le chaos et le cosmos. Le rationnel et l'irrationnel se combinent dans toutes les langues. (Delacroix, 1930, p.61).

Toutefois, n'est-ce pas de Saussure lui-même qui mous invite à croire que le signe peut être relativement motive! "Le principe fondamental de l'arbitraire du signe, souligne-t-il n'empêche pas de distinguer dans chaque langue ce qui est radicalement arbitraire, c'est-a-dire immotivé, de ce qui ne l'est que relativement."(Saussure,1972,p.61).

Or, c'est sous le signe de cette relativité de la motivation linguistique que nous plaçons notre recherché sur la création et la normalisation terminologiques en arabe moderne. Dans cette perspective, Pierre Guiraud pousse l'analyse jusqu'a affirmer que toute création langagière est Presque toujours motive car "elle repose sur des associations extra-conventionnelles: association naturelle entre le signifiant et le signifie (onomatopées, tropes) associations internes (morphologiques et paronymiques), etc...(Guiraud, 1953, p.38).

Ainsi, les études portent sur la création et l'évolution terminologique ne peuvent pas se passer de l'examen des divers éléments de la motivation linguistique. C'est a ce prix que de telles études pourront prédisposer les termes étudies a une meilleure intégration (morphologique, syntaxique ou phraséologique) dans le système linguistique de la langue arabe.

Notre approche pour aborder cet épineux problème de l'enfantement terminologique s'orient moins vers l'expose descriptif des procèdes linguistiques de la création terminologique dont dispose la langue arabe que vers l'analyse des richesses et surtout des limites qu'incarne chacun de ces procèdes. Nous nous limitons donc aux facteurs linguistiques qui conditionnent cette élaboration terminologique. En fait, nous laissons de cote la problématique complexe des conditions sociales du processus terminologique. De la sorte, notre étude

tachera d'analyser les aspects techno-linguistiques de la production et de l'intégration de la terminologie arabe

Pour la commodité de l'expose, nous avons divise ces procédés en trois grands ensembles auxquels se rattachent, bien entendu, les divers procédés de création analogique: ces grands ensembles sont la dérivation, l'emprunt et la composition. L'ordre que nous établissons ici reflète, dans notre esprit, un ordre d'importance dégressive de ces grands ensembles de création terminologique.

LA DERIVATION LINGUISTIQUE

Comme toute langue sémitique, la langue arabe est une langue a "structure apparente" permettant de repérer "une succession d'éléments phoniques qui en définissent la base lexicale appelée racine"(David, 1966, p.1322). C'est en raison de cette réalité de la racine que la structure du mot dans cette langue est dite apparente. (Ibid.)

En effet, la racine, "cet élément radical essential commun a un groupe de mots étroitement apparentes par le sens", (Cantineau, 1956, p. 120) représente l'un des deux principes sur lesquels se fonde et s'organise largement la structure lexicale de la langue arabe. Cette structure dite dérivationnelle se fonde sur un système de croisement entre une racine porteuse de la signification et son élément actualisant appelé schème.

L'exemple classique maintes fois repris de ce système de croisement linguistique s'offre avec la racine-squelette consonantique- KTB dénotant la notion de l'écriture et ses différents schèmes – moules actualisateurs – *Katib* = auteur ou écrivain, *kitab* = livre ou message et "*maktaba*" = bibliothèque ou librairie, etc.... Le schème constitue ainsi une sorte de moule dans lequel vient couler la racine pour retrouver sa réalité linguistique. Pour un nombre pratiquement infini de racine, la langue arabe compte un peu plus de 150 schèmes. (Cohen, 1966).

De son cote, Wagih H. Abdelraman dénombre 254 schèmes différents dont une trentaine seulement, selon lui, se spécialisent par l'usage. (Abdelrahman, 1974). En fait, on ne peut arriver a ce chiffre qu'en élargissant la notion de schème pour englober tous les moules linguistiques appelés en linguistique moderne morpho sémantèmes.

Il faut noter par ailleurs que le nombre de consonnes constituant une racine arabe est assez variable. Néanmoins, la racine trilitère, c'est-a-dire tri-consonantique s'avère de loin la plus fréquente dans la langue arabe. Elle n'est cependant pas exclusive car cette langue comporte des racines a deux consonnes (37 racines en tout, (Fleisch, 1956, p.56), a quatre consonnes, voire a cinq consonnes. Les racines quadrilatères constituent, par exemple, un peu plus de 1% de l'ensemble des racines attestées dans Le Coran. (Cohen, David, Ibid., 1326)

C'est par le développement de ce procédé de la dérivation linguistique sur laquelle repose, pour l'essentiel, la création terminologique en arabe que cette langue peut résoudre, en grande partie, ses carences terminologiques actuelles. L'effort doit être déployé, en premier lieu, a la multiplication stabilisatrice des racines nouvelles ou renouvelées. Comme l'a démontré Jaean Cantineau, "La racine est une notion actuelle qui, dans Presque chaque langue sémitique, fait partie du système linguistique envisage au point de vue synchronique." Cantineau se réfère ostensiblement aux racines issues des mots d'emprunt en arabe. Un emprunt en arabe comme '*qamis*' (tunique, chemise) atteste dans le bas-latin 'camisa' peut fournir une racine arabe 'QMS' et partant toute une série de schèmes verbaux ou nominaux: '*qammasa*', '*taqammus*', etc.

Ainsi, le système de croisement de racines et de schèmes constitue en arabe une source principale pour la création terminologique. Cela est du, en grande partie, au fait que les autres procédés de création lexicale – préfixation, suffixation,

composition – sont si peu productifs. "La dérivation par préfixe ou suffixe, souligne Cantineau, est assez peu employée; quand on veut tirer un mot, on ajoute rarement au radical du premier un préfixe ou un suffixe: on préfère, en général, remonter a la racine et en tirer sur le modèle d'un schème connu, un autre mot dont le radical sera tout différent de celui du premier mot."

L'évolution de la langue arabe, surtout de ce qui est dit fonctionnel (technique ou scientifique) fait que les différents schèmes de cette langue tendent à se spécialiser, par leur usage respectif, dans un domaine donne ou pour designer une idée bien particulière. Cette spécialisation des schèmes est soumise à des règles morphologiques contraignantes. Elle est de ce fait loin d'être achevée. Bien au contraire, il arrive parfois que les exceptions recensées dépassent largement les règles données. En voici deux exemples qui illustrent bien cette réalité.

Premièrement: le schème '*fiᶜal*' – qui se caractérise par l'alternance vocalique de la racine et du nom d'action '*masdar*' - s'offre comme un exemple-type de la forme des schèmes spécialisés (dénominatif de certaines maladies) Or, ce schème doit, selon une règle de l'ALA,(Hamzaoui,1976,p.452) être dérive des verbes intransitifs comme le démontrent les exemples suivants: schizophrénie: '*fusam*' endocardite: '*sugaf*'.

Cette règle n'est pas respectée car on recense bien des termes de maladies qui dérivent de verbes intransitifs comme *'dubah Ludviq'*: angine de Ludwig, de verbes passifs comme '*zukam*' = rhume, de dénominatifs comme '*guwaf*' = colique et même des termes empruntes comme 'qula' – alkalose.

Notons a cet égard que ce schème se fait concurrencer, dans la dénomination de maladies, par un autre schème '*faᶜal*' qui rend souvent les termes étrangers, a suffixe-ose: (Hamzoui, Ibid.p.453): Lipoïdose = '*saham*', névrose = 'ᶜasab'. Par ailleurs, ces deux schèmes s'avèrent insuffisants pour exprimer toutes les

maladies, au demeurant exprimées d'une manière morphologiquement différente dans les langues étrangères.

Ainsi, on note la suffixation entre autres par le suffixe-ite, par exemple appendicite: inflammation de l'appendice vermiforme du caecum traduit en arabe par un calque sémantique. *Za;ida dudkyya*. M.AS-SIHABI nous propose, par exemple, le schème 'fu^{c}il' pour dénommer certaines manifestations phytopathologiques. Il donne les exemples suivants: *'Rusi^{c} az-zar^{c}'*: asphyxia ou bien *'Hudil al-lawz'*: gui, 'Cette méthode (schème) a la spécialité, affirme-t-il, de dénommer les maladies qui atteignent les plantes.

Deuxièmement: les noms de professions se rend en arabe par le schème 'fi^{c}ala' comme dans '*giraha*' = chirurgie, '*nigara*' = menuiserie, '*hiyaka*' = couture, etc.... La spécialisation de ce schème n'est pourtant pas absolue car étant d'origine dénominative, peut exprimer également la notion de culture comme le démontrent les exemples suivants: '*nihala*' – apiculture, '*nibada*' vinification, etc.... Il faut noter par ailleurs que beaucoup de noms de professions se forment, "en arabe moderne", a partir d'adjectifs de relation qui expriment a la fois le fabricant et le vendeur comme dans les exemples suivants: '*mugawharati*' = 'bijoutier' ou 'joaillier'; '*sa^{c}ati*' = 'horloger'.

Ces deux exemples nous montrent déjà la difficulté que rencontrent l'aménagement de la terminologie arabe et son éventuelle restructuration normalisante. Cette vaste Enterprise linguistique doit se fonder sur un cadre précis de principes émanant de l'usage réel de la terminologie arabe pour en dégager un ensemble cohérent et assez compréhensive des règles qui président a cette spécialisation usuelle de fait. En bref, il faut se garder de suivre a la lettre les règles stipulées hâtivement par l'ALA et ses congénères pour ne pas se buter a l'obstacle de l'usage courant non-conforme mais linguistiquement correct atteste dans la langue usuelle technique ou scientifique. Notons,

enfin, que l'œuvre magistrale de R. Hazaoui, "L'ALA, Histoire et Œuvre", se consacre, à juste titre, à réfuter, avec méthode, les pratiques fixistes et de paternalisme linguistique que s'arrogeait cette illustre institution linguistique.

Ces diverses remarques nous amènent à formuler d'autres réserves théoriques a l'égard de l'étude terminologique de la dérivation. En fait, la dérivation, bien qu'elle soit la Pierre angulaire du système linguistique arabe et de son éventuel renouvellement, ne doit pas nous cacher ses inconvénients, voire ses limites.

Tout d'abord, il faut noter, en ce qui concerne les schèmes, qu'ils sont morphologiquement figes et numériquement limites. En fait, cette limitation n'entame pas, néanmoins, leur capacité a régénérer des multiplications de racines et de mutations fonctionnelles des schèmes eux-mêmes peuvent atténuer les effets sclérosants de cette limitation numérique.

Mais le figement des schèmes ne l'est, dans la pratique, que par rapport à la langue arabe dans sa variété classique. L'arabe moderne peut se montrer à même de renouveler les propriétés des schèmes classiques en les assignant des fonctions et des perspectives nouvelles. A cet égard, l'arabe dialectal peut être une source d'inspiration inépuisable d'enrichissement des schèmes et de leur spécialisation éventuelle. Vues sa souplesse et sa spontanéité qui expliquent sa performance communicative, la langue dialectale arabe grouille d'une terminologie fort intéressante qui mérite et l'étude et peut-être la réhabilitation.

C'est ainsi qu'on relève le schème *'fa ala'* pour dénommer outils, instrument et machine, comme en témoignent et machines, comme en témoignent les exemples suivants:

"*mallaha*" = salière

"*qallama*" = coupe-ongle

"*hassada-daqqaga*" = moissonneuse-batteuse

"Il serait utile, souligne Yousif Elias, dans une perspective du développement et de l'implantation des termes, de tenir compte de l'arabisation populaire et spontanée, surtout lorsqu'elle est conforme au système de la langue arabe"(Elias, 1984. P.13).

D'autre part, il faut enfin admettre que le system de la dérivation arabe, malgré sa précision morphologique et sa créativité lexicale indubitable, revêt, a notre sens, un défaut intrinsèque du point de vue sémantique. Nous visons la le figement de la signification de la racine arabe en raison de la référence perpétuelle a son sens étymologique. Reprenons, pour l'exemple, la racine 'KTB'. Cette racine limite, du point de vue étymologique, le concept de l'écriture dans sa forme uniquement manuscrite. Toutes les techniques modernes de la télé-écriture-télex, télescripteur, etc.... doivent être rendu en arabe, abstraction faite de l'emprunt et des paraphrases couteuses et parfois approximatives. Une issue possible pour préserver à l'arabe sa sobriété expressionnelle, serait de recourir à de nouvelles racines forgées et linguistiquement entérinées pour exprimer ces techniques nouvelles. L'exemple-type de telles racines est 'BRQ' exprimant l'idée de la télégraphie.

En fait, le lien étymologique perpétué par le système de la dérivation en arabe crée un rapport logique mais contraignant a l'acte même de l'enfantement terminologique. Ce rapport systémique peut se transformer, si on le conserve sans tenir compte de l'évolution sémantique de la langue, en une tare linguistiquement génétique. C'est parce que les mots évoluent et changent perpétuellement de sens et de signification que l'étymologie ne doit pas être génératrice d'une sclérose sémantique de racines arabes. Grace à cette vérité linguistique universelle, la racine arabe ne peut être "l'étoile fixe dans le ciel sémitique.L'exemple de la racine BRQ en est l'épreuve: entre sa signification étymologique (éclair) et celle usuelle (télégraphier) la langue a accompli une évolution sémantique irréversible. C'est

encore Pierre Guiraud qui souligne que la "motivation étymologique n'est pas nécessaire pour la transmission de sens de base qui repose sur une association conventionnelle, et elle reste toujours susceptible de s'effacer. (Guiraud, 1953, p.38).

En effet, l'obscurcissement de la motivation étymologique sous l'effet de mise en circulation du terme crée est un préalable pour que celui-ci réussisse son évolution sémantique. Réitérons ici l'exemple du terme "*Ihsa*" = statistique, qui remonte, étymologiquement, aux cailloux avec lesquels le bédouin comptait jadis ses moutons. L'oubli de l'étymologie n'est-il pas la condition même de l'émancipation terminologique? Ce processus simple illustre bien le chemin que traverse toute langue pour se dépasser, pour franchir son propre cadre systémique et pout se consacrer à s a fonction principale de la communication.

En résumé, on peut dire qu'en matière de création terminologique dérivationnelle, on se sert de la motivation linguistique pour créer un certain degré d'acceptabilité nécessaires a l'adoption linguistique du terme propose par (et pour) la communauté linguistique concernée. Toutefois, ce type de motivation ne doit pas être conçu comme une fatalité. Bien au contraire, il doit s'effacer pour libérer le terme de ses strictes attaches motivationnelles. C'est à ce prix qu'un terme peut accéder à son arbitraire, autrement dit a sa maturité linguistique.

Ces propose laissent entrevoir le paradoxe fondamental du langage humain, c'est qu'il se sert de l'arbitraire, de l'absurde conventionnel pour exprimer des idées concrètes et conséquentes. Entre le concept-signifie – de cheval et son signifiant – image acoustique /Shoval/ l'arbitralité est quasi-complète. Cela nous démonter que la langue doit se libérer de ses propres relations, qui l'enferment sur elle même (dérivation, étymologie, etc.…) pour qu'elle puisse créer d'autres types de relations enter les choses et les idées qu'elle est censée exprimer. L'idéal d'un code

linguistique ne serait-il pas d'être entièrement symbolique, c'est-a-dire arbitraire et conventionnel!

L'EMPRUNT

Les emprunts linguistiques aux langues étrangères (*isti*^{c}*ara*) font souvent l'objet d'une xénophobie Presque universelle. Ainsi, en arabe, a titre d'exemple, les emprunts son appelés '*dahil*' intrus. De même, les autres peoples non-arabophones sont désignés indistinctement par le terme '^{c}*agam*' qui signifie littéralement sourds ou an aphones.

S'agissant de l'emprunt en arabe classique, Rached Hamzaoui souligne a juste titre que "sa négation (l'emprunt linguistique) ou le refus de l'approcher procédait, en arabe classique, non seulement d'un theologisme étroit mais également d'un bédouinisme linguistique caractéristique d'une société fermée. (Hamzaoui, 1975, p.368). Cette méprise, certes par méconnaissance de l'autre, ne peut que renfermer la langue dans ses propres limites. Or, les emprunts linguistiques, notamment du vocabulaire, se dressent d'emblée comme un paramètre essentiel pour mesurer le degré de communicabilité socioculturelle entre les diverses communautés linguistiques. Marcel Cohen souligne que "la principale marque linguistique des communications entre les peoples et leur langue est dans les emprunts de vocabulaire."(Cohen, Marcel, 1971, p. 62).

En effet, la communication des idées entre les homes apparait comme une manifestation évidente de leur union profonde et exige, à cet égard, l'invention et l'échange mutuel des signes linguistiques porteurs de conceptions nouvelles ou renouvelées. Dans ce cadre précis, les emprunts linguistiques concernent, en grande partie, les dénominations étrangères d'objets fabriques ou naturels (exotiques) de techniques, de modes, d'idéologies, etc.

Cependant, les emprunts linguistiques ne s'introduisent pas dans une langue quelconque sans déclencher un certain nombre

d'effets déstabilisateurs – entre autres phonétiques et morphosyntaxiques a l'encontre de la langue emprunteuse. Au lieu de les considérer systématiquement comme un Cheval de Troie linguistique, il vaut mieux savoir les accepter en vue de leur intégration dans le système de la langue concernée. Il ne suffit pas de se mettre sur la défensive, de se retrancher derrière les critères linguistiques établis par Suyyuti et bien d'autres philologues arabes dans le seul but de démasquer toute forme étrangère – "*dahil*" a la langue arabe. L'arabisation linguistique doit remettre en cause ces méthodes irréalistes, surannées et de surcroit fort peu utiles. Dans une perspective strictement terminologique, l'étude des emprunts doit se consacrer plutôt a l'examen des origines, des procédés d'adaptation et d'intégration, des possibilités de les substituer de vocables arabes nouveaux ou exhumes.

Cependant, les emprunts étrangers, notamment de vocabulaire, ne sauraient guère dévoiler leur origine éminemment sociale. "Les mots empruntes, écrit A. Meillet, ne le sont pas en principe par la langue générale. C'est dans le groupement particulier qu'on emprunte le mot."(Meillet, 1951, p254). Chaque corporation professionnelle développe, pour les besoin de l'intercommunication, un jargonparticulier et incompréhensible des autres. Ainsi, le jargon des mécaniciens soudanais, à titre d'exemple, développe tout un vocabulaire professionnel occasionnellement élaboré ou l'emprunt direct des langues estrangères reste la règle générale. Selon ce jargon, la pedale d'embrayage se dit tout simplement '*kalats*' (de l'anglais clutch). De meme '*sasi*' et '*kabut*',) du français châssis et capot). '*faramiL*': dispositifs de freinage (de l'italien farmala).

Pour ces divers emprunts "spontanés", l'arabe moderne fournit toute une panoplie de termes – officiels et savants – ignores dans leur immense majorité des usagers intéressés. C'est

ainsi que le dispositif de freinage se nomme en arabe moderne '*kabih*', de même on désigne l'accélérateur par le terme '*musari*^{c}'.

En effet, le drame de la langue arabe se situe largement au niveau des ce dédoublement omniprésent qui caractérise le systeme de désignation d'objets et de concepts: l'un spontané dit dialectal et l'autre recherché et savant dit classique '*fasih*'. Inopportune et déroutante pour l'esprit (du traducteur), cette division aboutit a l'établissement de deux systèmes terminologiques distincts pour ne pas dire concurrents.

Quoi qu'il en soit, la langue arabe néo-classique tout comme le dialectal, recourt, chacun a sa manière, a l'emprunt linguistique pour construire son propre fonds terminologique. L'élaboration d'une méthodologie nouvelle d'adaptation et d'intégration de la terminologie empruntée, dans son ensemble, peut paraitre comme une orientation réaliste pour parer cette dichotomie terminologique de fait qui caractérise la langue arabe actuelle.

Par ailleurs, l'adaptation des emprunts repose en grande partie sur leur accommodation phonologique et morphologique au système linguistique en question. C'est ainsi que l'occlusive labiale sourde] P] se transforme en arabe en une occlusive labiale sonore, ex.: '*bolis*' police (ce terme se dit également '*surta*' en arabe moderne). De même la fricative labiodentale sonore] V] se plie a son tour en une spirante labiale sourde [f]. En outré, plusieurs noms d'unité scientifique se sont introduits dans le système phonétique- morphologique de l'arabe: *'amb-r'*: Ampère, '*wat*': Watt, '*folt*' Volt, etc... Il arrive souvent qu'un mot emprunte par l'arabe se transforme pour le besoin de l'adaptation phonologique. L'exemple de '*kahraba*': électricité, emprunte au persan '*kahrob*a' démontre la mutation que subissent certaines voyelles d'une langue a l'autre.

Par ailleurs, l'intégration de l'emprunt terminologique dans le system de l'arabe moderne doit passer par une remise en cause

de ce cloisonnement artificiel qui ne cesse de séparer l'arabe dialectal de celui littéraire ou néo-classique. La réhabilitation du dialectal doit s'insérer a notre sens, dans un cadre global d'une politique commune d'aménagement linguistico-terminologique. Il ne doit en aucun cas s'agir de dresser l'un contre l'autre ou faire triompher l'un au détriment de l'autre. L'efficacité de la communication en langue arabe selon des règles linguistiques précises, nouvelles ou renouvelées, peut constituer le mot d'ordre dans un tel vaste programme linguistique.

Cependant, l'emprunt linguistique, comme nous l'avons déjà invoque, n'est pas sans un effet déstabilisateur des structures linguistiques d'une langue hyper-emprunteuse telle que l'arabe moderne. Il s'agit en fait de traiter, avec discernement, la question du calque linguistique.

Selon une définition d'Alain Rey, le calque "est un emprunt dans lequel une forme acquiert un nouveau signifie sur le modèle de la relation signifie-signifiant observe dans la langue source. (Rey, 1979, p 283). En réalité, le calque constitue un exemple typique du phénomène d'interférence linguistique entre deux langues. Schématiquement, on peut distinguer entre deux types de calque: sémantique ou morphologique (sémantico-morphologique). Le calque sémantique apparait comme un transfert du "sens" d'un mot emprunte sans que cela ne se double d'un emprunt morphologique du mot emprunte, comme le démontrent maints exemples en arabe moderne:

"*mina'gawit*": aéroport
"*hamilat ta'irat*" " porte-avion
"*garar*": tracteur
"*sikkahadid*": chemin de fer, etc.…

D'autre part, le calque morphologique est, en fait, un calque parfait dans le sens qu'il est à la fois morphologique et sémantique. Nous le désignons ici par morphologique pour mettre en valeur l'aspect de l'emprunt de sa forme linguistique

comme dans l'exemple suivant: ‘samphoniyya’. En outré, on peut rattacher aux calques morphologiques ce que nous avons appelé 'emprunt estropie'. Comme le démontre l'exemple suivant: '*aLkuhuL*': alcohol (de l'arabe *algawal*) (voir infra, p. 59). A cet égard, il faut noter que les emprunts estropies ne sont pas forcement une mauvaise chose pour la langue emprunteuse. En effet, ils lui permettent de récupérer ses racines lointaines, et a économiser ainsi-même si cela comporte une altération phonétique évidente l'effort d'inventer ou de reforger un nouveau signe linguistique. Ainsi, le processus de l'emprunt linguistique montre bien le dynamisme de ce procédé et sa contribution a un éventuel enrichissement inter linguistique.

Cependant, les effets déstabilisateurs de l'emprunt sur le système linguistique de la langue emprunteuse ne sont pas seulement morphologiques mais également syntaxiques. Il s'agira en fait de savoir les intégrer convenablement dans le system syntaxique de l'arabe moderne.

LA COMPOSITION

Electroencéphalographe: *'gihaz ras amuh'*, phytopathologie: *'ilm armrad annabat'*, acide désoxyribonucléique (AND ou DNA dans la terminologie angolsaxone): *hamid aldizoksyribonuklik* – généralement traduit en arabe par une abréviation calquée: '*hdn*'- trois exemples traduits en arabe soit par un emprunt sémantique ou par tout un calque morphologique. Les termes composes en langues étrangères trouvent, tant bien que mal, leurs expressions correspondantes dans la langue arabe. Ce constat nous permet de nous consacrer plutôt à la position que prend la langue arabe face a la question de la composition linguistique.

En effet, la question de la composition en arabe ne prend sa dimension problématique que par rapport à l'importance que revêt ce procédé dans les langues étrangères, notamment dans les langues romanes. Jouissant d'un fonds linguistique, notamment

étymologique, Gréco-latin Presque inépuisable, ces langues disposent d'un énorme potentiel de création terminologique par la réactivation associative d'un ou plusieurs éléments savants que comportent ces langues. En outré, dans ces langues, le terme compose fonctionne dans l'énoncé "sans aucune ambiguïté, comme un mot unique, que l'un des deux éléments ne puisse être affecte des marques grammaticales qui caractérise sa classe a l'état libre.

La langue arabe, elle, doit recourir a plusieurs moyens linguistiques pour exprimer ces réalités nouvelles et, de plus en plus, multidimensionnelles par le fait même de leur nature composite. Selon Henri Fleisch, la composition "consiste à faire un seul mot de deux ou plusieurs mots réunis. Le véritable compose construit un mot nouveau ou l'on perd la conscience linguistique des composants. L'Arabe est défavorise sur ce point. (Fleisch, 1956, p156). En fait, la résistance qu'éprouve l'arabe a l'égard de la composition linguistique, revient, a notre sens, a ce que le mot arabe garde intrinsèquement, du point de vue sémantique, son autonomie propre.

Il ne faut donc pas s'étonner de cette position relative que prend la langue arabe. Chaque langue a ses propres procédés de composition fondes sur des principes logiques spéciaux. C'est ainsi que "la puissance de composition à peu près illimitée de l'allemand est compensée par une indigence de dérivation qui fait contraste avec la puissance de la dérivation et la pauvreté de la composition (moins grande qu'on le croit généralement) des langues romanes. Que gagne ou perd l'expression de la pensée a l'emploi de l'un ou l'autre de ces divers procédés. (Darmesteter, 1979, p 30).

L'Arabe moderne doit s'adapter a ce procédé susceptible de contribuer a son enrichissement terminologique. Or, l'intégration de la composition linguistique dans la morphologie arabe doit disposer de règles précises pour régir les éléments constitutifs des

termes composes et ce dans le but d'éviter l'hypnose linguistique que constitue l'existence même du modèle linguistique du terme étranger compose.

Dans cette perspective, une règle générale de la composition arabe serait de respecter, en priorité, la motivation sémantique dans la création des mots composes. En effet, même s'ils gardent leur unité significative "les mots composes sont motives parce que leur forme s'explique partiellement par sa relation avec celle du mot simple dont ils sont dérivés ou composes. Il s'agit d'une motivation relative (de Saussure) ou intralinguistique (Ullman)."(Minjiane, 1982, p 163). Ce type de motivation est évident, dans l'exemple suivant: '*barma'i*': amphibique.

Cependant, l'arabe classique compte a peu près plus de cent mots composes. Les exemples les plus connus sont quelques termes islamiques tells que '*basmala*': Professerer le nom de Dieu, "*bism il-Lahi* ar – *rahman* ar-*rahim*", "*hawqaLa*": dire, "*La hawla waLa qwa iLa billahi…* Ces termes composes sont formes en fait par un telescopage des deux premiers mots de certaines phrases rituelles.

En arabe moderne, la composition se fait sentir plutôt dans la langue scientifique et se manifeste avec l'émergence massive des termes composes arabes attestes dans les divers vocabulaires technoscientifiques.

Toutefois, on distingue, en langue arabe, deux types de formation terminologique par le procédé de la composition: la composition partielle (*naht*), et la composition intégrale (*mazg*).

La composition partielle consiste à "tailler" sur les mots constitutifs de la nouvelle entité lexicale créée. C'est ainsi que se tronque la dernière partie syllabique de l'un des éléments constitutifs (généralement celui qui vient en tête) comme le démontrent les exemples suivants:

'*kahromagnatisi*' : électromagnétique

'*Bitrukimia'i''* : pétrochimique

D'autre part, la composition intégrale consiste à conserver l'unité syllabique des termes associes dans la formation de la nouvelle entité lexicale. En cas général, ce procédé s'effectue en arabe par calque sémantique ou morphologique, comme dans les exemples suivants:

'*sbgra'i*' : colloïde
'*saykologiyya*' : psychologie

En effet, l'arabe moderne, qui recherché a transmettre, avec authenticité, les données et les acquis des sciences exactes de plus en plus complexes et interdisciplinaires et avec son souci de concilier la concision et la précision de l'expression scientifique, tend à puiser a fond dans ce procédé terminologique qu'est la composition. Cet afflux pléthorique de termes composes n'est certes pas sans incidence sur les structures morphosyntaxiques de l'arabe moderne. A cet égard, voici quelques cas de ce bouleversement profond que subit actuellement la langue arabe:

1. On note un phénomène d'"hybridation" morphosémantique du lexique arabe technoscientifique. L'enterination, par calque, des suffixes étrangers est monnaie courante. A un suffixe étranger correspond, de fait, un "suffixe" arabe. Le cas le plus fréquent est celui de l'adjectif:

"*hamid al-kibritik*" : acide sulfurique
"*fikrologi*" : idéologique

Par ailleurs, les unités de mesure offrent un terrain riche d'exemples de maints calques morphosémantiques:

"*kilomitr*" : kilomètre
"*kilogram*" : kilogramme

Il faut noter, par ailleurs, qu'une partie de la terminologie arabe moderne utilisée notamment dans l'administration, se sert d'une variété de termes composes a partir de suffixes turcs désignant, par exemple, le nom de métier: le suffixe

turc "gi" ; "*muhwalgi*": aiguilleur 9chemins de fer) et les noms de lieu "hana" ; "safahana": dispensaire, etc.…

2. La forme adjectivale en arabe moderne s'enrichit, par une forme de composition assimilée, d'une forme nouvelle.
Il s'agit, en fait, des expressions asyndétiques comme dans l'exemple suivant:
(*saruh*) *ard gaw* : (missile) sol-air.

3. L'emploi du préfixe en arabe moderne semble être en passé de s'institutionnaliser. Comme le précise Harald List, "l'emploi fréquent de préfixe est assez curieux pour une langue scientifique dont le principe de base est le croisement entre une racine qui porte le sens général et un schème qui le modifie. (List, 1978, p 21).

En effet, l'arabe moderne offre plusieurs exemples de mots composes avec des préfixes les plus divers tells que La, *gayr*, etc.… En ce qui concerne le préfixe La, List nous révèle une explication fort intéressante. "C'est probablement, suggère-t-il, par contamination de deux langues indoeuropéennes, du grec et du persan, qu'à été introduit en arabe le préfixe La. C'est ce préfixe, tout simplement réactivé ou de nouveau emprunte (cette fois par le truchement du turc) et légitime par le calque classique qu'on trouve en arabe moderne 'La-*sar^{c}i*' ": illégitime, *'La-ahlaq'*: immoral. (Idem).

Quoi qu'il en soit, nous croyons que les procédés de la dérivation, de l'emprunt et de la composition ne suffisent pas a eux seuls – bien qu'ils soient, plus ou moins, tributaires de l'élaboration des terminologies arabes technoscientifiques – d'apporter de l'harmonie et de la stabilité a ce que Monteil appelle l'anarchie sémantico-morphologique de l'arabe moderne.

BIBLIOGRAPHIE

1. ABDELRAHMAN, Wagih 'al-Luga wa wadᶜ al-mustalahat al-gadida' in 'al-Lisan al-ᶜarabi', 1974.
2. CANTINEAU, Jean, 'Racines et Schemes', in Mélanges, William Marcais. Paris, 1956.
3. COHEN, David, 'Les Langues Chamito-sémitiques', in Le Langage, Encyclopédie de la Pléiade, 1966.
4. COHEN, Marcel, 'Matériaux pour une sociologie du langage', 2 tomes, Paris Maspero, 1971.
5. DARMESTETR Arsène, 'La vie des mots étudiés dans leur signification', Paris, Champs Libres 1979.
6. DELACOIX, Henri, 'Le langage et la pensée', Librairie Félix Alcan, 1930.
7. DUBUC, Robert, 'Manuel pratique de terminologie', Montreel, Linguatech, Paris, 1978.
8. ELIAS, Yousif, 'Transfert de technologie et formation des terminologues arabophones' (communication), Centre de Traduction et d'Arabisation de I 'Université de Khartoum, 1984.
9. FLEISCH, Henri, 'L'Arabe classique, esquisse d'une structure linguistique', in Mélanges de I 'Université Saint-Joseph, n° 33, Beyrouth 1956.
10. GUILBERT, Louis, 'La spécificité du terme scientifique et technique', in 'Langue Française' n° 17, Les vocabulaires techniques et scientifiques, Paris, Larousse, 1973.
11. GUIRAUD, Pierre, 'Langage et théorie de la communication', Paris, Klincksieck, 1953.
12. HAMZAOUI, Rachid, 'L'Académie de Langue arabe du Caire, Histoire et œuvre', Publication de I Université de Tunis, 1975.

13. LAKHDAR-GHAZAL, Ahmed, 'Méthodologie Générale de I 'arabisation de niveau', Rabat, 1976.
14. LIST, Harald, 'Le langage militaire on arabe contemporain, thèse de 3e cycle, Université Paris TTT, 1978.
15. MARTINET, André, Eléments de linguistique générale', Paris, Armand Colin, 1980.
16. MATORE, Georges, 'La méthode en lexicologie', Domaine français, Paris, Didier, 1976-128 p.
17. MELLET, Antoine, 'Linguistique historique et linguistique générale', Paris, Klincksieck, 1951.
18. MINJIANE, KIVORQUE, 'al-Naht qadiman wa haditan', in aL-Lisan al-ᶜarabi' n 3, Rabat, 1982.
19. MONTEL, Vincent, 'L'Arabe moderne', Paris, Klincksieck, 1960.
20. PAGES, Alain, 'L'Apparition néologique' in Banque des mots, n° 28.
21. REY, Alain, 'La terminologie' Paris, PUF, 1979.
22. SAUSSURE, Ferdinand de, 'Cours de linguistique générale', Paris, Payot, 1972.

Guidelines for Authors

Human studies journal is a half-year publication representing articles in the field of social sciences and humanities aiming to pursue research and form a meeting for ground exchange of opinions. The Journal welcomes articles, books, reviews and scientific reports.

* Submitted manuscripts should be written in Arabic, English or French, in the range of 7500 words (ca.25 pages). Typed in an A4 size paper along with a CD or 3.5 disk.
* The manuscripts should not have been published previously and should not be published elsewhere, in full or in part, without a written permission from the chief editor.
* References should be cited according to the Harvard University style of citation (the American style) (the surname year, p.), that's in case of references written in non-Arabic languages, or even in case of the classical /medieval Arab authors, such as Al-Tabari. The names of modern Arab authors should be written in its treble form, as (Amira Alaa El-Din Salih 2008, p.109).
* The bibliography should be arranged at the end of the text in the following order, in case of non-Arab authors and classical/medieval Arab writers: family name, the first two names year of publication, title of the book or article, (in case of book, name and place of publisher. In case of article journal serial number and article pages number). In case of modern Arab authors, the name should be written in its treble form.
* Submitted manuscripts would be evaluated by specialists in the field. If accepted, articles can be subjected to minor modifications.
* Each author is entitled to obtain 3 copies of the journal in which his/her article is published.
* The views expressed in the papers are the sole responsibility of the authors.

* Manuscripts will not be returned to their authors.
* Corresponding address: P.O.box:58 Karima, Sudan.

e-mail: magazinearts@yahoo.com
Fax: 0249231822954
Tel: 0249231820098

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة